عادَ القولُ في الخوارِج[1]

قال: والأزارقةُ لا تُكَفِّرُ أحداً من أهل مقالتِها في دار الهِجْرَةِ إلّا القاتِلَ رجلاً مسلماً، فإنَّهم يقولون: المسلمُ حُجَّةُ الله، والقاتِلُ قَصَدَ لِقَطْعِ الحُجَّةِ.

ويُرْوَى أنَّ نافعاً مَرَّ بمالكِ بنِ مِسْمَعٍ في الحرب التي كانت بين الأَزْد وربيعةَ وبني تَميمٍ، ونافعٌ مُتَقَلِّدٌ سيفاً، فقام إليه مالكٌ فضربَ بيدِه إلى حِمَالة سيفِه وقال: ألَا تَنْصُرُنا في حربنا هذه؟! فقال: لا يَحلُّ لِي، قال: فما بالُ مُؤْمِنِي بني تميمٍ يَنصرون كُفَّارَهم[2] في هذه الحرب؟! فأمْسكَ عنه. وخَرج بعدَ ذلك بأيامٍ إلى الأَهْوازِ، فلمَّا قُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِمَّنْ بخَازِرَ من الخوارِج في أيامِ ابن المَاحُوزِ كَرِهَ بَبَّةُ القتالَ، وأقام حارِثةُ بنُ بَدْرٍ الغُدَانيُّ بإزاء الخوارِج، يناوِشُهم على غيرِ وِلايةٍ، وكان يقولُ: ما عُذْرُنا عندَ إخواننا من أهل البصرة إنْ وَصَل الخوارجُ إليهم[3] ونحن دونَهم؟ فكتب أهلُ البصرة إلى آبن الزُّبير يُخْبِرونه بِقُعُودِ بَبَّةَ، ويسألُونَه أن يُوَلِّيَ [٦٢٣] والياً، فكتبَ إلى أنَسِ بنِ مالكٍ أن يُصلِّيَ بالناسِ، فصلَّى بهم أربعين يوماً، وكَتَب إلى عُمَرَ بنِ عُبَيْدِ الله بنِ [١/٢٤٩] مَعْمَرٍ فولَّاه البصرةَ، فلَقِيَه الكتابُ وهو يريد الحجَّ، وهو في بعضِ الطريقِ، فرجَعَ فأقام بالبصرة، ووَلَّى أخاه عثمانَ محاربةَ

---

(١) قوله «عاد القول في الخوارج» من أ وحدها.

(٢) كذا في الأصل وأ. وفي سائر النسخ: «كفاركم».

(٣) في أ: إليهم الخوارج.

الأزارِقَةِ، فخرج إليهم في اثني عشرَ ألفاً، ولقيه حارثةُ فيمن كان معه، وعبيدُ الله ابنُ المَاحُوزِ في الخَوارِج بِسُوقِ الأَهْوازِ، فلمَّا عَبَرُوا إليهم دُجَيْلاً نهضَ إليهم الخوارجُ، وذلك قُبَيْلَ[1] الظُّهْرِ، فقال عثمانُ بنُ عُبيدِ الله لحارثةَ[2]: أَمَا الخوارجُ إلاَّ ما أَرى؟ فقال له حارثةُ[3]: حَسْبُكَ بهؤلاءِ، فقال: لا جَرَمَ والله لا أَتَغَدَّى حتى أُناجِزَهُمْ! فقال له حارثةُ[4]: إنَّ هؤلاءِ لا يُقاتَلُونَ بالتَّعَسُّفِ، فأَبْقِ على نفسِك وجُنْدِكَ، فقال: أَبَيْتُمْ يا أهلَ[5] العراقِ إلاَّ جُبْناً! وأَنتَ يا حارِثةُ! ما عِلْمُكَ بالحربِ؟ أنتَ والله بغيرِ هذا أَعْلَمُ! يُعَرِّضُ له بالشَّرابِ! فغَضِب حارثةُ فاعتزلَ، وحاربَهم عثمانُ يومَه إلى أنْ غابتِ الشمسُ، فأَجْلَتِ الحربُ عنه قتيلاً، وانهزَم الناسُ، وأخذَ حارثةُ الرايةَ، وصاحَ بالناسِ: أنا حارثةُ بن بدرٍ، فثاب إليه قومُهُ، فَعَبَرَ بهم دُجَيْلاً، وبَلَغَ فَلَّ عثمانَ البصرةَ، وخاف الناسُ الخوارجَ خوفاً شديداً، وعَزَلَ ابنُ الزُّبير عُمَرَ بنَ عبيد الله، ووَلَّى الحارِثَ بنَ عبدِ الله بنِ أبي رَبيعةَ، المعروفَ بالقُبَاعِ[6]، أحدَ بني مَخْزومٍ، وهو أخو عُمَرَ بنِ عبد الله[7] بنِ أبي ربيعةَ المخزوميِّ الشاعرِ، فقَدِمَ البصرةَ، فكَتَبَ إليه حارثةُ بنُ بدرٍ يسألُه الوِلايةَ والمَدَدَ، فأراد تَوْلِيَتَهُ[8]، فقال له رجلٌ من بَكْرِ بن وائلٍ: إنَّ حارثةَ ليسَ بِذاك[9]، إنَّما هو شَرَّابٌ[10]، وفيه يقولُ رجلٌ من قومه:

---

(١) في الأصل وف وظ وي: قبل.

(٢) في أ: لحارثة بن بدر.

(٣) كذا في أ. وفي سائر النسخ: حارثة بن بدر.

(٤) كذا في الأصل وأ. وفي سائر النسخ: حارثة بن بدر.

(٥) في أ: «أبيتم أهلَ».

(٦) بهامش أ ما نصّه: «المهلبيُّ: القُبَاعُ مكيالٌ واسعٌ، وبه لُقِّبَ الحارثُ بن عبدالله القُباعَ، وكان ابن الزبير ولّاه البصرة فنظر إلى مكاييلهم الذي يقال له القَنْقَلُ فقال: إنّه لقُبَاعٌ، فلقّب القُبَاعَ».

(٧) «ابن عبدالله» من أو ب.

(٨) في أ: فأراد أن يوليه.

(٩) كذا في أ. وفي هـ: بذلك. وفي سائر النسخ: لذلك.

(١٠) في أ: إنما هو صاحب شراب. وفي ب و س ود وف: إنما هو رجلٌ شرّابٌ.

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ حـارثـةَ بـنَ بَـدْرٍ يُـصَلِّي وهـو أكْـفَـرُ من حِـمَـارِ
أَلَـم تَـرَ أنَّ لِـلْفـتـيـان حـظّاً وحَـظُّك في البَغـايـا والعُقـارِ[1] [٦٢٤]

فكتب إليه القُبَاعُ: تُكْفَى[2] حَرْبَهم إن شاء الله. فأقام حارثةُ[3] يدافِعُهُم، فقال شاعرٌ من بني تميمٍ يَذْكر عثمانَ بنَ عُبيدِ الله بنِ مَعْمَرٍ ومُسْلِمَ بن عُبَيْسٍ وحارثةَ بنَ بدرٍ:

مَضَى آبْنُ عُبَيْسٍ صابِراً غيرَ عاجزٍ وأعْقَبَنـا هـذا الحجـازيُّ عثمـانُ
فأرْعَدَ مِنْ قَبْـلِ اللقاءِ آبنُ مَعْمَـرٍ وأبْـرَقَ والبَـرْقُ اليَمـانِيُّ خَـوَّانُ
فَضَحْتَ قُـرَيْشاً غَثُّهـا وسَمينَهَـا وقِيـلَ بنـو تَيْمِ بنِ مُـرَّةَ عُـزَّلَانُ
فلولا آبنُ بـدرٍ للعِـرَاقَيْنِ لم يَقُمْ بمـا قـام فيـه للعِـرَاقَيْنِ إنْسـانُ
إذا قيل مَنْ حَامِي الحَقِيقَةِ أوْمَأَتْ إليه مَعَدٌّ بالأُنُوفِ وقَحْطانُ [٢/٢٤٩]

***

قوله «فأَرْعَدَ» زعمَ الأصمعيُّ أنه خَطَأ، وان الكُمَيْتَ أخطأَ في قوله[4]:

أَرْعِـدْ وَأَبْـرِقْ يـا يَـزيـ ـدُ فما وَعِيدُكَ لِي بضَائِرْ[5]

وزعم أنَّ هذا البيتَ الذي يُرْوَى لمُهَلْهِلٍ مصنوعٌ مُحْدَثٌ، وهو قولُه[6]:

---

(١) كذا في ب وهامش أ. وفي سائر النسخ: «والقمار». ونسب البيتان في الأغاني ٤٠١/٨ - ٤٠٢ لعلقمة بن معبد المازني. وبهامش الأصل: «هو معبد بن علقمة المازني»؟.

(٢) في د و ي وف وظ: «تكفيني»، وهو تحريف.

(٣) في أ وهـ: الحارث، وهو تحريف.

(٤) ديوانه ٢٢٥/١. وانظر تخريجه في أدب الكاتب ٣٧٤ وزد عليه: سمط اللآلي ٣٠٠، والأشباه والنظائر للخالديين ١٠٢/١.

(٥) في س وف وي وظ: أبرق وأرعد.

(٦) العقد الفريد ٢١٧/٥.

أَنْبَضُوا مَعْجِسَ القِسِيِّ وأَبْرَقْـ ـنا كما تُوعِدُ الفُحولُ الفُحولاَ[1]

وأَنَّه لا يُقالُ إلّا «رَعَدَ وبَرَقَ»: إذا أَوْعَدَ وَتَهَدَّدَ! وهو «يَرْعُدُ ويَبْرُقُ» وكذلك يُقالُ: «رعَدَتِ السماءُ وبَرَقَتْ» و«أَرْعَدْنا نحن وأَبْرَقْنا»: إذا دَخَلْنا في الرَّعْدِ والبَرْقِ، قال الشاعرُ:

. . . . . فَقُلْ لأبِي قابوسَ ما شِئْتَ فأَرْعُدِ[2]

ورَوَى غيرُ الأصمعيِّ «أَرْعَدَ وأَبْرَقَ» على ضُعْفٍ[3].

وقوله «والبَرْقُ اليَمانِيُّ خَوَّانٌ» يريدُ: والبرقُ اليمانيُّ يخونُ. وأجودُ النَّسَبِ إلى اليَمنِ «يَمَنِيٌّ» ويجوزُ «يَمانٍ» بتخفيف اليَاء، وهو حَسَنٌ، وهو أكثرُ في الكلامِ[4]، تكونُ الأَلِفُ عِوَضاً من إحدى الياءَين، ويجوزُ «يَمَانِيٌّ» فاعلم[5]، تكونُ الأَلِفُ زَائدةً وتُشدَّدُ الياءُ، قال العبَّاسُ بن عبد المُطَّلِبِ[6]:

[٦٢٥] ضَرَبْنَاهُمُ ضَرْبَ الأَحَامِسِ[7] غُدْوَةً بكُلِّ يَمَانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّمَا

***

ثُمَّ إنّ حارثةَ لمَّا تفرَّق الناسُ عنه أقام بنهر تِيرى، فَعَبَرتْ إليه الخوارجُ،

---

(١) في أ وس: «كما تُرْعِدُ» ولعله تحريف. والإنباض جذب الوتر ليرن، ومعجس القوس مقبضها أو موضع السهم منها. عن رغبة الأمل ٨/٨.

(٢) صدره كما في أمالي القالي ٩٦/١:

إذا جاوزتْ من ذات عرق ثنيَّةً

(٣) بل كلاهما صحيحة، وقد حكى اللغتين أبو عمرو وأبو عبيدة. انظر إصلاح المنطق ١٩٣، واللسان (رعد).

(٤) في أ وهـ: وهو في أكثر الكلام.

(٥) ليس في الأصل وف وظ وي.

(٦) البيت من كلمة له في الوحشيات ٦٧ وروايته:

وزعـنـاهـم وزع الخـوامس غـدوة . . . . . عضّ صمّما

(٧) في هـ: «الخوامس». وفي د: «الأحاميس». والأحامس: الشداد.

فهربَ أصحابُه فخرج يَرْكُضُ[1]، حتى أَتَى دُجَيْلًا، فجلس في سفينةٍ، واتّبعه جماعةٌ من أصحابِه، فكانوا معه، وأتاه رجلٌ من بني تميمٍ وعليه سلاحُه، والخوارجُ وراءَه وقد تَوَسَّطَ حارثةُ، فصاحَ به: يا حارِثَة[2]! ليس مثلي ضُيِّعَ، فقال للملّاح: قَرِّبْ، فَقَرَّبَ[3] إلى جُرُفٍ[4]، ولا فُرْضَةَ[5] هناك، فَطَفَرَ[6] بسلاحه في السفينة، فساخَتْ بالقوم جميعاً.

فأقام[7] ابنُ المَاحُوزِ يَجْبِي كُوَرَ الأهوازِ ثلاثةَ أشهرٍ، ثم وَجَّهَ الزُّبَيْرَ بنَ عليٍّ نحوَ البصرة، فضجَّ الناسُ إلى الأَحْنفِ، فأتَى القُبَاعَ فقال: أصلَح الله الأميرَ، إنَّ هذا العدوَّ قد غَلَبنا على سَوادِنا وفَيْئِنا، فلم يَبْقَ إلَّا أن يَحْصُرَنا في بلدنا حتى نموتَ هَزْلًا، قال: فسَمُّوا رَجلًا، فقال الأحنفُ: الرأيُ لا يُخِيل[8]، ما أرى لها إلا المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفْرَةَ، فقال: أوَ هذا رأيُ جميعِ أهل البصرة؟ اجْتَمِعُوا إليَّ في غَدٍ. وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ، وعَقَدَ الجِسْرَ لَيَعْبُرَ إلى ناحيةِ البصرةِ، فخرج أكثرُ أهلِ البصرةِ إليه، وقد اجتَمع للخوارج أهلُ الأهوازِ وكُوَرِها، رغبةً وَرَهْبَةً، فأتاه البصريون في السُّفُنِ وعلى الدوابِّ ورَجَّالةً، فاسْوَدَّتْ بهم الأرضُ، فقال الزبيرُ لمَّا رآهم: أَبَى قومُنا إلَّا كُفْراً، فقطعوا[9] الجسرَ، وأقام الخوارجُ بالفراتِ بإزائِهم،

---

(١) في أ: فهرب وأصحابه يركض، وهو خطأ. وفي ف: فهرب عنه أصحابه فخرج.

(٢) في أ وب: يا حارث.

(٣) في الأصل: قرَّ به. وفي س ود وهـ: فقر به.

(٤) الجرف: ما أكل السيل من شق الوادي والنهر، وجرف الوادي ونحوه من أسناد المسايل إذا نخج الماء في أصله فاحتفره فصار كالدحل وأشرف أعلاه.

(٥) الفرضة: محطّ السفن.

(٦) أي وثب.

(٧) في أ: وأقام.

(٨) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: كلُّ شيء اشتبه عليك فهو مُخيلٌ، وقد أخال يُخيل، قال الشاعر:

الحقُّ أبلجُ لا يخيلُ سبيلُه ... والصدقُ يعرفُه ذوو الألبابِ»

(٩) في ي وف وهامش الأصل: فقطع.

وآجتمعَ الناسُ عند القُبَاعِ، وخافوا الخوارجَ خوفاً شديداً، وكانوا ثلاثَ فِرَقٍ، فَسَمَّى قومٌ المهلَّبَ، وسَمَّى قومٌ مالكَ بنَ مِسْمَعٍ [١/٢٥٠]، وسَمَّى قومٌ زِيادَ بنَ عَمرِو بنِ الأشرفِ العَتَكِيَّ، فصرفهم، ثم اخْتَبَرَ ما عندَ مالِك[١] وزيادٍ، فوجدَهما مُتَثَاقِلَيْنِ عن ذلك[٢]، وعاد إليه مَنْ أشار بهما وقالوا: قد رَجَعْنَا عن رأينا، ما نَرَى لها إلاَّ المُهَلَّبَ، فَوَجَّهَ الحارثُ إليه فأتاه، فقال له: يا أبا سعيدٍ، قد تَرَى ما
[٦٢٦] رَهِقَنَا[٣] من هذا العدوّ، وقد آجتمع أهلُ مِصْرِكَ عليك، وقال الأحنفُ: يا أبا سعيد، إنَّا واللهِ ما آثرناك بها ولكنَّا لم نَرَ مَنْ يقومُ لها[٤] مَقَامَك، فقال له الحارثُ ـ وأَوْمَأَ إلى الأحنفِ ـ: إنَّ هذا الشيخَ لم يُسَمِّكَ إلاَّ إيثاراً للدِّين، وكلُّ مَنْ في مِصْرِكَ مادٌّ عَيْنَهُ[٥] إليك، راجٍ أن يَكشفَ اللهُ عز وجل هذه الغُمَّةَ بك، فقال المهلَّبُ: لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ، إنِّي عندَ نفسي لَدُونَ[٦] ما وَصَفْتُمْ، ولستُ آبِياً ما دَعَوْتُم[٧] إليه على شُروطٍ أشترطُها[٨]، قال الأحنفُ: قُلْ، قال: عَلَى أنْ أنْتَخِبَ مَنْ أحببتُ، قال: ذلك[٩] لَكَ، قال: وَلِي إمْرَةُ كُلِّ بلدٍ أَغْلِبُ عليه، قال: وذلك[١٠] لَكَ، قال: وَلِي فَيْءُ[١١] كُلِّ بلد أَظْفَرُ به، قال الأحنفُ: ليس ذلك[١٢] لَكَ ولا لَنَا، إنما هو فَيْءٌ للمسلمين[١٣]، فإن سلبتَهم إياه كنتَ عليهم كعدوِّهم، ولكن لك أن

---

(١) في ب ود: مالك بن مسمع.

(٢) في أ وس وي: ذاك.

(٣) بهامش أ ما نصُّه: «ورَهِقَنا أي غَشِيَنا، يقال: رَهِقْتُ الرجلَ: إذا غَشِيتَه بمكروهٍ رَهَقاً».

(٤) من الأصل وي.

(٥) في ب وس ود: عينيه.

(٦) في الأصل وي: دون. وبهامش الأصل كما في المتن.

(٧) كذا في أ وهـ. وفي سائر النسخ: مما دعوتم.

(٨) في د وهـ وي: أشرطها.

(٩) في أ وي: ذاك.

(١٠) كذا في الأصل وهـ. وفي سائر النسخ: وذاك.

(١١) بهامش أ ما نصُّه: «قال ابنُ شاذان: الفَيْءُ: غنائمُ المشركين، والفعل منه أفاء الله علينا فيئهم إفاءةً».

(١٢) في أ: ذاك.

(١٣) في ٣ وب وس وهـ: فيء المسلمين.

تُعطيَ أصحابَك من فَيْءِ كُلِّ بَلدٍ تَغْلِبُ عليه ما شئتَ، وتُنْفِقَ منه[1] على محاربةِ عدوِّك، فما فَضَل عنكم كان للمسلمين، فقال المهلبُ: فَمنْ لي بذلك[2]؟ قال الأحنفُ: نحن وجماعةُ[3] أهلِ مصرِك، قال: قد قَبِلْتُ، فكَتَبوا[4] بذلك كتاباً ووُضِعَ على[5] يَدَيِ الصَّلْتِ بنِ حُرَيْثِ بنِ جابرٍ الحَنَفِيِّ، وآنتَخَبَ المُهَلَّبُ من جميع الأخماسِ، فبلغت نُخْبَتُهُ آثني عَشَر ألفاً، ونَظروا ما في بيت المال، فلم يكن إلاَّ مِائَتَيْ ألفِ درهم، فعَجَزَت، فبعثَ المهلبُ إلى التُّجَارِ فقال[6]: إنَّ تجارتَكم مُذْ[7] حَوْلٍ قد فسَدَتْ[8] عليكم بآنقطاعِ موادِّ الأهوازِ وفارسَ عنكم، فَهَلُمَّ فبايعوني وآخْرُجُوا معي أُوَفِّكُمْ إن شاء الله حقوقَكم، فَتاجَرُوه، فأخذ من المال ما يُصْلِحُ به عسكرَه، وآتَّخذ لأصحابه الخَفَاتِينَ والرَّاناتِ المَحْشُوَّةَ بالصُّوف، ثم نَهَضَ وأكثرُ أصحابه رَجَّالةٌ، حتى إذا صار بحذاء القوم أَمر بسُفُنٍ فأُحْضِرتْ وأُصْلِحتْ، فما آرتفعَ النهارُ حتى فُرِغَ منها، ثم أَمَرَ الناسَ بالعُبور إلى الفُراتِ، [٦٢٧] وأَمَّر عليهم ابنَهُ المُغيرةَ، فخرج الناسُ، فلما قاربُوا الشاطىءَ خاضتْ إليهم الخوارجُ[9]، فحاربهم المغيرةُ ونَضَحَهم بالسهام حتى تَنَحَّوْا، فصار هو وأصحابُه على الشاطىء، فحارَبُوهم فَكَشَفُوهم وشَغَلُوهم، حتى عَقَدَ المهلبُ الجِسْرَ، وعَبَرَ والخوارجُ مُنْهَزِمُون، فَنَهَى الناسَ عن اتِّباعهم. ففي ذلك يقول شاعرٌ من الأَزْدِ:

---

(١) من الأصل وب وهـ وف وي. وزاد في ف وي: «ما شئت».

(٢) في الأصل وب وس وي وهـ: بذاك.

(٣) في أ: نحن وأميرك وجماعة.

(٤) في هـ: فكتبوا له.

(٥) في ي وهامش الأصل: في.

(٦) ليس في أ.

(٧))

(٨))

(٩) زاد في ف: فحاربوهم.

إنَّ العِـراقَ وأَهْلَهُ لـم يَـخْبُـروا ... مثلَ المُهَلَّبِ في الحُروب فَسَلَّمُوا
أَمْضَى وَأَيْمَنَ في اللِّقَـاءِ نَـقِيبَـةً ... وَأَقَلَّ تهليلاً إذا مـا أَحْجَمُـوا[1]

«التهليلُ»: التكذيبُ [٢/٢٥٠] والانهزامُ.

وأَبْلَى مع المغيرة يومئذٍ عَطِيَّةُ بنُ عَمْرٍو العَنْبريُّ، وكان من فُرْسان بني تميمٍ وشجعانهم[2]، فقال عطيةُ:

يُـدْعَى رجـالٌ للعـطاءِ وإنَّمـا ... يُـدْعَى عَـطِيَّـةُ للطِّعـانِ الأَجْـرَدِ

وقال الشاعرُ:

ومـا فـارسٌ إلاّ عَـطِيَّـةُ فَـوْقَـه ... إذا الحربُ أَبْدَتْ عن نَواجِذِها الفَمَا[3]
بِـهِ هَـزَمَ اللهُ الأَزَارِقَ بـعـدَمـا ... أَبَاحُوا من المِصْرَيْنِ حِلاًّ ومَحْرَمَا[4]

***

فأقام المهلَّبُ أربعين يوماً يَجْبِي الخَراجَ بِكُوَرِ دِجْلَة، والخوارجُ بنهرتِيرَى،

---

(١) في أ ود وي: أحجموا.
وبهامش الأصل ما نصه: «بعده:

فـلو أنهم حـلفـوا فـلم يـتـحـللوا ... إلا بـدرك فَـعَـالـه لم يـأثـمـوا
أمـر الـذيـن إذا فـقـدت يـهـمـهـم ... أمـر الـعـراق وأمـر مـن يـترمـرم
أمـا ذوو شـرف الـعـراق فـإنهم ... كـانـوا لـفـقـدك قـد تخـلى مـنـهـم
فـكـفـيـتـهـم نـقض الأمـور وعـصـبـهـا ... فـتـوسـدوا عـصـم الـنـسـاء ونـومـوا»

(٢) في ي: وشجعانهم.
(٣) بهامش أ ما نصُّه: «قال يعقوبُ بنُ السِّكِّيتِ: الحربُ أُنْثى، وتصغيرُها حُرَيْبٌ بغير هاءٍ، لأنهم إنما قالوا حربٌ من المُحارَبَةِ، ثم صُيِّرَتِ اسماً للوَقْعَةِ، فكانت مذكَّراً سُمِّيَ به مُؤَنَّثٌ، فَصُغِّرَ على أصله، ولو صَغَّرْتَه بالهاء فقلتَ حُرَيْبَةٌ ونَوَهَّمْتَ أنه لم يكن اسماً إلاّ لِمَا سُمِّيَ به كنتَ مُصِيباً».
(٤) بهامش الأصل ما نصُّه: «بعدهما:

أقـام لهـم بـالـرمـح حـتى تـكـسّـرت ... أنـابـيـبـه والـسـيـف حـتى تحـطما
فـتى لم يـزل مـذشـب يخـفـق فـوقـه ... لـواء بـه يـهـدي الخـميس الـعـرمـرمـا»

والزبيرُ بن عليٍّ منفردٌ بعسكره عن عسكر آبنِ المَاحُوزِ، فقَضَى المهلَّبُ التِّجَارَ وأعْطَى أصحابَه، فأسرع[1] الناسُ إليه[2] رغبةً في مجاهدة الخوارج، ولِما في الغنائم[3] والتجارات[4]، فكان فيمن[5] أتاه محمدُ بنُ واسِعٍ الأزديُّ، وعبدُ الله بنُ رَباحٍ[6]، ومُعاويةُ بنُ قُرَّةَ المُـزَنِيُّ - وكان يقـولُ[7]: لو جـاء الدَّيْلَمُ مِن ههنـا [٦٢٨] والحَرُورِيَّةَ مِن ههنا لحاربتُ الحروريةَ - وأبو عِمْرانَ الجَوْنِيُّ، وكان يقول: كانَ كَعْبٌ يَقُولُ: قَتيلُ الحرورية يَفْضُلُ قَتِيلَ غيرهم بِعَشَرة أَنْوارٍ[8].

ثم نَهَضَ المهلبُ إليهم إلى نهر تِيرَى، فَتَنَحَّوْا عنه إلى الأهواز، وأقام المهلبُ يَجْبِي ما حَوالَيْهِ من الكُوَرِ، وقد دَسَّ الجَواسِيسَ إلى عسكر الخوارِجِ، فأَتَوْه بأخبارهم ومَنْ في عسكرِهم، فإذا حُشْوةٌ[9] ما بين قَصَّـابٍ[10] وصَبَّاغٍ ودَاعِرٍ[11] وحَدَّادٍ.

فَخَطَبَ المهلبُ الناسَ وذَكَر[12] مَنْ هُناكَ، ثم قال[13] للناس: أَمِثْلُ هؤلاءِ

---

(١) في ي وف: فسارع.

(٢) في أ: إليه الناس.

(٣) في ف: في مجاهدة الخوارج طمعاً وفي الغنائم. كذا.

(٤) في أ وس: وللتجارات.

(٥) في ف: ممن.

(٦) في أ وب وس: «رياح» وهو تصحيف. وانظر الإكمال ٤/١٢.

(٧) زاد في أ وهـ: «يعني معاوية».

(٨) بهامش الأصل ما نصُّه: «يقال: إذا قتل أحدٌ ظلماً جاء يوم القيامة يقدمُه نورٌ، فإن قتله مشرك جاء يوم القيامة ونوران يقدمانه [في الأصل: يقدمه] فإن قتله حروريّ جاء يوم القيامة وعشرة أنوار تقدمه».

(٩) في د: فإذا هم حشوة. وبهامش أ ما نصُّه: «قال المهلبيُّ: حِشْوَةُ الناس: رُذَالُهم، يقال: فلان من حشوة الناس ومن حشوة بني فلان».

(١٠) في أ: قصّارٍ.

(١١) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: الدُّعَرُ: الفسادُ، دَعِر العودُ يَدْعَرُ دَعَراً: إذا نَخِر. وبه سمّي الدُّعَّارُ من الناس، ورجلٌ داعرٌ».

(١٢) في أ وب ود وف: فذكر.

(١٣) في أ: وقال.

يَغلبونَكم على فَيْئِكم؟! فلم يَزَلْ مقيماً حتى فَهِمَهُمْ وأَحْكَمَ أَمْرَهُ وقَوَّى أصحابَه[1]، وكثرتِ الفُرْسانُ في عسكره، وتَتامَّ إليه زُهاءُ عشرينَ ألفاً.

ثم مَضَى يَؤُمُّ سُوقَ الأهوازِ، فاسْتَخْلَفَ أخاه المُعارِكَ بنَ أبي صُفْرَةَ على نهر تِيرَى، وفي مُقَدَّمَتِهِ المغيرةُ بنُ المهلَّب، حتى قارَبَهُمُ المغيرةُ، فَناوَشُوه، فانكشفَ[2] عنه بعضُ أصحابِه، وثبتَ المغيرةُ بَقِيَّةَ يومِهِ وليلتِه، يُوقِدُ النيرانَ، ثم غادَاهم القتالَ، فإذا القومُ قد أَوقدوا النِّيرَانَ[3] في ثِقْلَتِهِ[4] متاعِهم، وارْتَحَلُوا عن سوق الأهواز، فدخلَها المغيرةُ، وقد جاءَت أوائلُ خيلِ المهلَّب[5]، فأقام بِسُوق الأهواز، وكتب بذلك إلى الحارثِ بنِ عبد الله بنِ أبي رَبيعة كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعدُ؛ فإنَّا منذُ[6] خرجنا نَؤُمُّ هذا العدوَّ في نِعَمٍ من الله متصلةٍ علينا[7]، ونِقْمةٍ مِنَ الله متتابعةٍ عليهم، نُقْدِمُ ويُحْجِمونَ[8]، ونَحُلُّ ويَرْتَحِلُونَ، إلى أَن حَلَلْنَا بِسُوقِ[9] الأهوازِ، والحمدُ لله ربِّ العالمين، الذي [٦٢٩] من عنده النصرُ، وهو العزيزُ الحكيمُ.

فكتب إليه الحارثُ: هَنِيئاً لك أَخَا الأَزْدِ، الشَّرَفُ في الدنيا، والذُّخْرُ في الآخرةِ، إن شاء الله.

(١) كذا في أ وحدها. وفي سائر النسخ: وأحكم اصحابه.
(٢) في الأصل: حتى انكشف.
(٣) قوله: «ثم غاداهم.. النيران» من أ وف. و«القتال» ليس في ف.
(٤) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ، الثِّقْلَةُ والثُّقِلَةُ والثُّقَل: أثقال القوم ومتاعهم وما حملوه على دوابّهم، والجمع أثقالٌ».
(٥) في الأصل وب ود وي: «أوائل الخيل خيل المهلب».
(٦) في ب وس ود وهـ: مذ.
(٧) من أ وف ود.
(٨) في ي: ويحجمون. وبهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: قال أبو زيد والأصمعيُّ: أَحْجَمَ الرجلُ عن الأمر إحجاماً، وأَجْحَمَ إجحاماً: إذا تأخَّر عنه، بمعنى واحد».
(٩) في أ وهـ: سوق.

فقال المهلبُ لأصحابه: ما أَجْفَى أهلَ الحجاز! أَمَا تَرَوْنَهُ عَرَف[1] اسمي واسمَ أبي وكنيتي؟!

وكان المهلَّبُ يَبُثُّ الأحراسَ في الأمْنِ، كما يَبُثُّهم[2] في الخوفِ، ويُذْكِي العُيونَ [١/٢٥١] في الأمصار[3]، كما يُذْكِيها في الصَّحَارِي، ويأمرُ أصحابَه بالتَّحَرُّزِ، ويُخوِّفهم البَيَاتَ، وإن بَعُدَ منهم العدوُّ، ويقولُ: احْذَرُوا[4] أن تُكادُوا كما تَكِيدون، ولا تَقُولوا هَزَمْنَا وَغَلَبْنَا، فإنَّ القومَ خائفون وَجِلُونَ، والضرورةُ تَفْتَحُ بابَ الحِيلةِ، ثم قامَ فيهم خطيباً فقال:

أيُّها[5] الناس، إنكم قد عَرَفْتُم مذهبَ هؤلاء الخوارِج، وأنَّهم إنْ قَدَرُوا عليكم فَتَنوكُمْ في دينِكم، وسَفَكوا[6] دماءَكم، فقاتِلُوهم على ما قَاتَلَ عليه أولَهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ صلوات الله عليه، فقد لَقِيَهُمْ قبلَكم الصَّابرُ المحتسبُ مُسْلِمُ بن عُبَيْسٍ، والعَجِلُ المُفَرِّطُ عثمانُ بنُ عُبَيْدِ الله، والمَعْصِيُّ المخالَفُ حارثةُ بن بَدْرٍ، فقُتِلوا[7] جميعاً وَقَتَلُوا، فَأَلْقَوْهُمْ بِحَدٍّ وَجِدٍّ[8]، فإنَّما هُمْ مَهَنَتُكُمْ وعبيدُكم، وعارٌ عليكم ونقصٌ في أحسابِكم وأديانِكم أنْ يغلبَكم هؤلاءِ على فَيْئِكُم، وَيَطَؤُوا حَرِيمَكُم.

ثُمَّ سار يُرِيدُهُمْ، وَهُمْ بِمَنَاذِرَ الصُّغْرَى، فَوَجَّهَ إليهم[9] عبيدُ الله بنُ بَشِيرِ بنِ

---

(١) في أ: يعرف.

(٢) في دوي: يبيّت... يبيّتهم.

(٣) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: يقال: بثَّ الخيلَ يبثُّها بثّاً: إذا فرّقها، وكلّ شيء فرّقته فقد بثثته. ويقال: أذكيت الحربَ والنار وغيرهما: إذا أوقدتها».

(٤) في ب ود وهـ: انظروا.

(٥) في أ: يا أيّها.

(٦) في ب وس ود وهـ: أو سفكوا.

(٧) كذا في أ وهـ. وفي ي: وقتلوا. وفي سائر النسخ: قتلوا، بلا الفاء.

(٨) في أ: بجد وحد.

(٩) ليس في أ.

المَاحُوزِ رئيسُ الخوارجِ رجلاً يقال له واقِدٌ، مَوْلًى لآلِ أبي صُفْرَةَ من سَبْيِ الجاهلية، في خمسين رجلاً، فيهم صَالِحُ بنُ مِخْراقٍ، إلى نهر تِيرَى، وبها المُعارِكُ بنُ أبي صُفْرَةَ، فَقَتَلُوه وصَلَبُوه، فَنَمى الخبرُ إلى المهلَّب، فَوَجَّهَ ٱبْنَهُ المغيرةَ، فدخل نهرَ تِيرَى وقد خرج وَاقِدٌ منها، فٱسْتَنْزَلَه فدَفَنَه[1]، وَسَكَّنَ الناسَ، وَٱسْتَخْلفَ بها[2]، ورجع إلى أبيه وقد حَلَّ بِسُولافَ، والخوارجُ بها، فَوَاقَعَهُمْ، وَجَعَلَ على بني تَميمٍ الحَرِيشَ بنَ هِلَالٍ، فخرج رجلٌ من أصحابُ المُهَلَّبِ، يقال له عبدُ الرحمن الإسْكافُ[3]، فَجَعَلَ يَحُضُّ الناسَ وهو على فرسٍ له صفراءَ، [٦٣٠] فَجَعَلَ يأتي الميمنةَ والميْسَرَةَ والقَلْبَ، فَيَحُضُّ[4] وَيُهَوِّنُ أمرَ الخوارِجِ، ويَخْتالُ بين الصَّفَّين، فقال رجلٌ من الخوارج لأصحابه: يا معشرَ المهاجرين، هل لكم في فَتْكةٍ فيها أُرْيَحِيَّةٌ؟ فحملَ جماعةٌ منهم على الإسكافِ، فقاتَلهم وحدَه فارساً، ثم كَبَابِه[5] فرسُهُ، فقاتلهم راجلاً، قائماً وبارِكاً، ثم كَثُرَتْ بِهِ الجِرَاحَاتُ، فَذَبَّبَ[6] بسيفه، وَجَعَلَ يَحْثُو في وجوههم التُرابَ[7]، والمهلَّبُ غيرُ حاضرٍ، ثم قُتِلَ. وحَضَرَ المهلَّب فأُعْلِمَ[8]، فقال للحَرِيشِ وَعَطِيَّةَ العَنْبَرِيِّ: أَسْلَمْتُمَا[9] سيدَ أهل العسكرِ، لم تُعِينَاه ولم تَسْتَنْقِذَاهُ، حسداً له، لأنه رجل من الموالي! وَوَبَّخَهُمَا، وَحَمَلَ رجلٌ

---

(١) في أ: ودفنه. وفي الأصل: فاستنزل عمه.

(٢) في الأصل: فيها. وفي هـ: بها رجلاً.

(٣) بهامش الأصل ما نصُّه: «وإنما سمّي الإسكاف لأنه رمى طائرين فشكّهما جميعاً فقيل: شككتهما كما يشك الإسكاف إذا خرز فسمّي بذلك».

(٤) في أ: فيحض الناس.

(٥) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: يقال: كبا الرجلُ والفرسُ وغيرهما: إذا عثر. ومن كلامهم: لكل صارمٍ نَبْوَةٌ، ولكل جوادٍ كَبْوَةٌ».

(٦) بهامش أ ما نصُّه: «قال الأصمعيُّ: يقال: ذَبَّب يُذَبِّب تذبيباً فهو مُذَبِّبٌ: إذا أسرع في السير. وذُباب السيف حَدُّه». وما نقل عن الأصمعي لا يصحّ أن يفسر به قوله: «فذبّب بسيفه». وذبَّب: أكثر الذبّ.

(٧) في أ: يحثو التراب في وجوههم.

(٨) في ب وس ود وي وف: وأعلم. وفي أ: فأخبر.

(٩) في أ: أسلمتما.

من الخوارج على رجلٍ من أصحابه فقَتَله، فحمل عليه المهلَّب فطعنه فقَتَله[1]، ومالَ الخوارجُ بأجمعهم على العسكرِ، فانهزمَ الناسُ، وقَتَلوا سبعين رجلاً وقُتِلَ فيهم[2]، وثبَتَ المهلَّبُ، وَأَبْلَى المغيرةُ يومئذٍ وعُرِفَ مكانُهُ. ويقال: حاصَ المهلبُ يومئذٍ حَيْصَةً[3]. وتقولُ الأزْدُ: بل كان يَرُدُّ المُنْهَزِمَةَ ويَحْمِي أدبارَهم، فقال رجلٌ من بَنِي مِنْقَرِ بنِ عُبَيْدِ بن الحارثِ بنِ كَعْبِ بن سَعْدِ[4] بنِ زيد مَنَاةَ بنِ تميمٍ: [٢/٢٥١]

بِسُولافِ أَضَعْتَ دِماءَ قَوْمِي وطِرْتَ على مُواشِكَةٍ دَرُورِ[5]

قولُه «مُوَاشِكَةٍ» يريدُ سريعةً. ويقال: نحنُ على وشْكِ رَحيلٍ. ويقال: ذَمِيلٌ[6] مُوَاشِكٌ: إذا كان سريعاً؛ قال ذُو الرُّمَّةِ[7]:

إذا مَا رَمَيْنَا رَمْيَةً في مَفَازَةٍ عَراقِيبَهَا بِالشَّيْظَمِيِّ المُوَاشِكِ[8] [٦٣١]

و«دَرُورٌ» فَعُولٌ مِنْ دَرَّ الشَّيْءُ: إذَا تَتَابَعَ.

وقال رجلٌ من بني تميمٍ آخَرُ[9]:

---

(١) في أ: وقتله.

(٢) «وقتل فيهم» ليس في أ.

(٣) في س وف وي: يومئذ المهلب. وفي د وي: جاض.. جيضة. وبهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: الحَيْصُ: الحَيْدُ، حاص يَحيصُ حيصاً: حاد. وكذلك جاض بالجيم والضاد مثلُه».

(٤) «ابن سعد» ليس في الأصل وأ وهـ.

(٥) سيأتي البيت مع آخر ص ١٣١٣ منسوبين لأبي حرملة العبديّ. وروايته ثمة: «بدولاب أضعت».

(٦) الذميل: ضرب من سير الإبل.

(٧) سلف البيت ص ٩٨٩.

(٨) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: الشَّيْظَميُّ: حادٍ طويلٌ. والمُواشِكُ: المستعجلُ، وهو مُفاعِلٌ من الوَشْك».

(٩) بهامش الأصل ما نصُّه: «أنشده المدائنيُّ لمُجاهِدِ بن عُصَيْم المنقري. وأورد بعد البيت الثاني:

كأنَّ دموعَ عينيكَ يابنَ غَصْمٍ خريرُ المنجنون سقى الديارا
إذا أعطيتَ تَجْفافاً ورمحاً وقالوا اقدم فإنك لن تضارا
أماصِعُ دونهم بالسيف صلتاً إذا ما وافق الحرب استنارا =

تَبِعْنَا الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعاً ... يُزَجِّي كُلُّ أَرْبَعَةٍ حِمَارَا
فيا نَدَمَى على تَرْكِي عَطَائِي ... مُعَايَنَةً وَأَطْلُبُهُ ضِمَارَا[1]
إِذَا الرَّحْمَنُ يَسَّرَ لِي قُفُولاً ... فَحَرَّقَ في قُرَى سُولاَفَ نَارَا

قوله: «الأعورَ الكذَّابَ» يعني المُهَلَّبَ، ويقال عارتْ عينُه بسهمٍ كان أصابها. وقال «الكذَّابَ» لأنَّ[2] المهلَّبَ كان فقيهاً، وكان يعلمُ ما جاء عن رسولِ الله ﷺ من قوله: «كلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ[3] إلَّا ثلاثةً: الكذِبُ في الصُّلحِ بين المُسْلِمِينَ[4]، وكذبُ الرجلِ لامرأته يَعِدُها، وكذِبُ الرجلِ في الحربِ يَتَوَعَّدُ وَيَتَهَدَّدُ»[5]، وجاء عنه ﷺ: «إنما أنتَ رجلٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا، فإنَّما الحربُ خَدْعَةٌ»[6].

= على قوم هم قتلوا عليّاً ... وعثماناً وهم قتلوا براراً
بمنزله ثوى الإسكاف فيها ... وخطّت للفتى القيسي دارا»

وكان فيها: «إذا أعطيت تجلعافاً» وهو تحريف. والتجفاف: ما جلّل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح، وقد يلبسه الإنسان. وأماصِعُ: أقاتل وأجالد.

(١) بهامش أ ما نصُّه: «قال المهلبيُّ: الضِّمارُ خلاف العيان. ابنُ شاذان: الضِّمار: النسيئة، ومنه حديث عمر ابن عبد العزيز: «فإنه كان مالاً ضِماراً» أي غائباً عن أهله. وكلُّ غائب ضِمارٌ. والضِّمارُ: ما لا يُدْرَى أيكون أم لا، ومنه قولهم: أضْمَرْتُ الشيءَ: أخفيتُه».

(٢) في ي: بأنَّ.

(٣) زاد في أ وهـ: «كذباً».

(٤) في أ وب وس: بين الرجلين. وفي د: بين الرجلين المسلمين.

(٥) أقرب لفظ لما رواه ما أخرجه أحمد في المسند ٤٥٤/٦ من حديث أسماء بنت يزيد أنّها سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: يا أيُّها الذين آمنوا ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار؟ كلُّ الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال: رجل كذب على امرأته ليرضيها، أو رجل كذب في خديعة حرب، أو رجل كذب بين امرأين مسلمين ليصلح بينهما. وأخرجه بغير هذا اللفظ أحمد في المسند ٤٥٩/٦، ٤٦١، والترمذي في كتاب البر برقم ١٩٣٩.

(٦) الحديث رواه ابن هشام في السيرة ٢٤٠/٣. وقوله ﷺ: «الحرب خدعة» أخرجه البخاري برقم ٣٠٢٨ - ٣٠٣٠، ومسلم برقم ١٧٣٩، ١٧٤٠، وأبو داود برقم ٢٦٣٦، والترمذي برقم ١٦٧٥، وابن ماجه برقم ٢٨٣٣، ٢٨٣٤، كلهم في كتاب الجهاد، وأحمد في المسند ٨١/١، ٩٠، ١١٣، ١٢٦، ١٣١، ١٣٤ و٣١٢/٢، ٣١٤، و٢٢٤/٣، ٢٩٧، ٣٠٨ و٣٨٧/٦، ٤٥٩. وهو في كشف الخفاء ٣٥٥/١ برقم ١١٢٦، والمجتنى ٢٣، ونثر الدر ٢٤٦/١، والنهاية ١٤/٢.

وقال عليه السلام في حرب الخَنْدق لسعدِ بنِ عُبَادَةَ وسعدِ بنِ مُعاذٍ، وهما سَيِّدَا الحَيَّيْنِ الأوْسِ والخَزْرَجِ[1]: «إيْتِيَا بَنِي قُرَيْظَةَ، فإنْ كانُوا على العهد فأعْلِنَا بذلك[2]، وإن كانُوا قد نَقَضُوا ما بيننا وبينَهم[3] فَالْحَنَا لي لَحْناً أعْرِفُه، ولا تَفُتَّا[4] في أعْضَادِ المسلمين، فرجَعَا بغَدْرِ القومِ فقالا: يا رسول الله عَضَلٌ والقَارَةُ، فقال[5] رسولُ الله ﷺ للمسلمين: أَبْشِرُوا فإنَّ الأمْرَ ما تُحِبُّونَ»[6]. [قال الأخفشُ[7]: سألتُ المُبَرِّدَ عن قولهما «عَضَلٌ والقَارَةُ» فقال: هذانِ حَيَّانِ كانا في نهاية العداوة لرسول الله ﷺ، فأرادَ أنَّهم في الانحراف عنه والغدرِ به كهاتين القبيلتين].

فكان[8] المهلَّبُ ربَّما صَنَعَ الحديثَ لِيَشُدَّ به من أمرِ المسلمين ويُضَعِّفَ [٦٣٢] من أمرِ الخوارج، فكان حَيٌّ من الأزْدِ يقال لهم النَّـدَبُ، إذا رَأَوُا المهلَّبَ رائحاً إليهم قالوا: قد راحَ المهلبُ ليكذِبَ! وفيه يقولُ رجلٌ منهم[9]:

أنـتَ الـفـتَـى كـلُّ الـفـتَـى لـوْ كُـنْـتَ تَـصْـدُقُ مـا تَـقُـولُ

***

فبات المهلَّبُ في الفَيْنِ، فلما أصبح رجَع بعضُ المنهزمةِ فصارَ في أربعة آلافٍ، فخطب أصحابَه فقال: واللهِ ما بكم من قِلَّةٍ، وما ذَهَبَ عنكم إلَّا أهلُ

(١) في أ: الخزرج والأوس.
(٢) في ب وس وف وهـ: ذلك.
(٣) من الأصل وب وهـ وي وف.
(٤) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: قال أبو عمر: يقال: كلُم فلانٌ فلاناً بشيء ففَتَّ في ساعده، أي أضعفه وأوهنه».
(٥) كذا في الأصل. وفي سائر النسخ: «قال: فقال رسول الله...».
(٦) انظر مغازي الواقدي ٢/٤٥٨.
(٧) قول الأخفش من أ وب. وفي ب: «قال أبو الحسن سألت أبا العباس... في نهاية الانحراف عن رسول الله ﷺ والعداوة فأراد أنهم..».
(٨) في أ: قال أبو العباس فكان إلخ.
(٩) البيت من أبيات لزياد الأعجم كما في الشعر والشعراء ١/٤٣٣، وهو باختلاف في رواية صدره في عيون الأخبار ٣/١٤٦، والعقد الفريد ١/٢٤٨. وهو بلا نسبة في المنتقى من مكارم الأخلاق ١١٦.

الجُبْنِ والضَّعْفِ والطَّمَعِ والطَّبَعِ[1]، فـ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ مثلُهُ﴾[2] فسِيرُوا إلى عدوِّكم على بركةِ الله. فقام إليه الحَرِيشُ بنُ هَلالٍ فقال: أَنْشُدُكَ اللهَ[3] - أيها الأميرُ - أن تُقاتِلَهم إلاَّ أن يُقاتلُوك، فإنَّ بالقوم جِرَاحاً وقد أَتْخَنْتَهُمْ[4] هذه الْجَوْلَةُ، فَقَبِلَ منه، ومَضى المهلَّبُ في عشرةٍ، فأشْرَفَ على عسكر الخوارج، فلم يَرَ منهم أحداً يتحرَّكُ، فقال له الحَرِيشُ: ارْتَحِلْ عن هذا المَنْزِل[5]، فارتَحَلَ، فعَبَرَ دُجَيْلاً، وصار إلى عَاقُولٍ[6] لا يُؤْتى إلاَّ من جهةٍ واحدةٍ[7]، فأقام به، واستراحَ [١/٢٥٢] الناسُ ثلاثاً، وقال ابنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ[8]:

أَلا طَرَقَتْ من آلِ بَثْنَةَ[9] طارِقَهْ ... على أنَّها مَعْشُوقَةُ الذُّلِّ عاشِقَهْ
تَبِيتُ وأرضُ السُّوسِ بَيْنِي وبينَها ... وسُولافُ رُسْتَاقٌ حَمَتْهُ الأزَارِقَهْ
[٦٣٣] إذا نحن شِئْنَا صَادَفَتْنَا عِصَابَةٌ ... حَرُورِيَّةٌ أَضْحَتْ مِنَ الدِّينِ مارِقَهْ
أجازَتْ إلينا العَسْكَرَيْنِ كِلَيْهِمَا ... فباتَتْ لنا دُونَ اللِّحَافِ مُعانِقَهْ

وقد[10] ذكرنا «الضِّمَار» ومعناه: الغائبُ، وأصلُهُ من قولك «أَضْمَرْتُ الشيءَ»

---

(١) ليس في الأصل، وهو بهامش الأصل رواية في «والطمع» من نسخة. والطبع: الصدأ يكثر على السيف وغيره ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام. عن رغبة الآمل ٨/٢٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٠. وبهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: القَرْحُ: الجراحُ، وهو الفُرْحُ أيضاً. ورجلٌ قَرِيحٌ ومَقْرُوحٌ من قوم قَرَاحَى وقَرحى».

(٣) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: يقال: نشدتُك الله فأنا أَنْشُدُك الله أي ذكَّرْتُك الله».

(٤) في الأصل: ثخنتهم. وفي ف وهـ وي: نخبتهم، وفي ب: تخبتهم، وهو تصحيف.

(٥) في أ: الموضع. وبهامشها كما في المتن.

(٦) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: يقال: وَقَعْنا في أرضٍ عاقُولٍ: لا يُهْتَدى لها. قال ابن شاذان: قال الخليلُ بن أحمد: العاقول من النهر والوادي: ما اعوجَّ منه، ومن الأمور: ما التبس».

(٧) في أ: من وجه واحد.

(٨) سلفت الأبيات ص ١١٠٤.

(٩) في أ: بيبة. وفي ف: ميّة. وبهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: اشتقاقُ بيبة من البيب، والبيبُ مسيلُ الماء من مُفَرَّغ الدلو إلى الحوض».

(١٠) ليس في الأصل وهـ.

أي أخفيتُهُ عنك، ويقال: مالٌ عَيْنٌ، للحاضِرِ، ومالٌ ضِمارٌ، للغائب، قال الأعْشَى[1]:

ومَنْ لا تَضِيعُ لـه ذِمَّةٌ فَيَجْعَلَهَا بَعْدَ عَيْنٍ ضِمَارَا

وقال أيضاً[2]:

أَرَانَا إذا أَضْمَرَتْكَ البِلا دُ نُجْفَى وتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

والفعلُ من هذا «أَضْمَرَ يُضْمِرُ» والفاعل «مُضْمِرٌ» والمفعولُ به[3] «مُضْمَرٌ» و«الضِّمَارُ» اسمٌ للفعل[4] في معنى الإضمار. وأسماءُ الأفعالِ تَشْرَكُ[5] المصادِرَ في معانِيها، تقول: أعطيتُه عَطاءً، فَيَشْرَكُ[6] الإعْطاءَ في معناه، ويُسمَّى به المفعولُ. وتقول: كلَّمتُه تكليماً وكِلَّاماً، في معناه. والمصدرُ يُنْعَتُ به الفاعلُ في قولك: رجلٌ عدلٌ، ورجلٌ كرَمٌ، ورجلٌ نَوْمٌ، ويومٌ غَمٌّ[7]، وينعتُ به المفعولُ في قولك: رجلٌ رِضىً، وهذا درهمُ ضَرْبُ الأميرِ، وجاءَني الخلْقُ، تَعني[8] المخلوقين.

وقال رجلٌ من الخوارج في ذلك اليوم[9]

وكَائِنْ تَرَكْنَا يومَ سُولَافَ منهمُ أُسارَى وقَتْلَى في الجحيم مَصِيرُها

قوله «وكَائن» معناه: كَمْ، وأصلُه كافُ التشبيه دخلتْ[10] على «أَيٍّ»

---

(١) ديوانه ق ٥٤/٥ ص ٨٧.

(٢) ديوانه ق ٥٤/٤ ص ٧٧. وأورد في ف وظ وهامش الأصل بيتاً قبله وهو:

أبانا فلا رمت من عندنا فإنا بخير إذا لم ترمْ

(٣) «به» ثابتة في جميع النسخ، ولعلها من إقحام رواة الكامل، انظر ما يأتي من كلامه. والمعروف في أساليبهم حذفها.

(٤) أي للحدث. وانظر مثل هذا التعبير في المقتضب ٦٨/٣، ٢٢٦.

(٥) في الأصل وف وظ وي: تشارك.

(٦) في أ: فيشرك العطاء.

(٧) في ب وهامش الأصل: «غيمٌ». وفي أ: غمّ وغيم.

(٨) في الأصل وب ود وظ: في معنى. وفي س وي وف وهـ: يعني.

(٩) شعر الخوارج ٧٨.

(١٠) في الأصل وب ود: فدخلت.

فصارتا بمنزلةِ كم. ونظيرُ ذلك: له كذا وكذا درهماً، إنما هي «ذا» دخلتْ عليها الكافُ، والمعنى: له كهذا العددِ من الدراهم. فإذا قال: له كذا كذا درهماً، فهو كناية عن أحَدَ عَشَرَ[1] إلى تسعةَ عَشَرَ، لأنه ضَمَّ العَدَدَيْن، فإذا قال: كذا وكذا، فهو كنايةٌ عن أحدٍ وعشرين[2] إلى ما جازَ فيه العطفُ بعدَه. ولكن كَثُرَتْ «كـأيِّنْ» فخُفِّفَتْ، والتثقيلُ الأصلُ، قال الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾[3] ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾[4] وقد قُرِئَ بالتَّخْفِيفِ[5]، [٦٣٤] كما قال الشاعرُ[6]:

وَكَـائِنْ رَدَدْنَـا عنكمُ مِن مُـدَجَّـجٍ يَجِيءُ أَمـامَ الأَلْـفِ يَـرْدِي مُقَنَّعـا

وقال آخرُ[7]:

وكـائِنْ تَـرَى يـومَ الغُمَيْصَـاءِ مِن فَتىً أُصِيبَ ولم يُجْرَحْ وقد كان جارِحَا [٢/٢٥٢]

قال أبو العباس: وهذا أكثرُ على ألسنتهم، لطلب التخفيف، وذلك الأصلُ، وبعضُ العرب يَقْلِبُ فيقول: «كَيْيءٍ يـا فتى» فيؤخِّرُ الهمزةَ لكثرة الاستعمال، قال الشاعرُ:

وَكَيْـيءٍ فـي بـنـي دُودَانَ مِـنْـهُـمُ غـداة الـرَّوْعِ مـعـروفـاً كَمِـيُّ

***

(١) زاد في أ وب: درهماً.
(٢) زاد في غير أ: درهماً.
(٣) سورة الحج: ٤٨.
(٤) سورة آل عمران: ١٤٦. وفي الأصل وأ ود: «قُتِل معه» وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو.
(٥) وهي قراءة ابن كثير. انظر السبعة لابن مجاهد ٢١٦-٢١٧، والكشف لمكي ١/٣٥٨ - ٣٥٩.
(٦) عمرو بن شأس، شعره ق ٢/١٩ ص ٣٨، والكتاب ١/٢٩٧.
(٧) البيت لامرأة من بني كنانة اسمها سلمى كما في معجم ما استعجم ١٠٠٦، وخبر يوم الغميصاء فيه، وفي معجم البلدان ٤/٢١٤.

قال أبو العباس[1]: فأقام المهلبُ في ذلك العَاقُولِ[2] ثلاثةَ أيامٍ، ثم ارتحلَ والخوارجُ بِسِلَّى وسِلَّبْرَى[3] [قال الأخفش[4] «سَلَّى» و«سَلَّبْرَى» بفتح السين فيهما، موضعانِ بالأهوازِ، «وسِلَّى» بكسر السين موضعٌ بالبادية، وهكذا يُنْشَدُ هذا البيتُ[5]:

كَأَنَّ عَذِيرَهُم بجُنوبِ سِلَّى ... نَعامٌ قاقَ في بلدٍ قِفَارِ]

فنزلَ قريباً منهم، فقال ابنُ المَاحُوزِ لأصحابه: ما تنتظرون بعدُوِّكم وقد هَزَمْتُمُوهم بالأمسِ وكَسَرْتُمْ حَدَّهم؟ فقال له واقِدٌ[6] مَوْلَى أبي صُفْرَةَ: يا أميرَ المؤمنين، إنما تَفَرَّقَ عنهم أهلُ الضَّعْفِ وَالجُبْنِ، وَبَقِيَ أهلُ النَّجْدةِ والقُوَّةِ، فإن أصبتَهم[7] لم يكن ظَفَراً هنيئاً، لأني أراهم لا يُصابُون حتى يُصِيبوا[8]، فإن غَلَبُوا ذَهَب الدِّينُ، فَقَالَ أصحابُه: نافَقَ واقِدٌ! فقال ابنُ المَاحُوزِ: لا تَعْجَلُوا على أخيكم، فإنه إنما قال هذا نَظَراً لكم. ثم وَجَّهَ[9] الزبيرَ بنَ عليٍّ إلى عسكر المهلَّبِ لَيَنْظُرَ ما حالهم، فأتاهم في مِائَتَيْنِ، فَحَزَرَهُمْ ورجَع، وَأَمَرَ المهلَّبُ أصحابَه [٦٣٥]

---

(١) «قال أبو العباس» ليس في أ.

(٢) في الأصل وف وظ: في دير العاقول؟!.

(٣) في أ هنا وفيما يأتي: «وسِلِّيرَى» بالياء وهي رواية، إلا أنها بكسر اللام لا بفتحها كما نص عليها البكري في معجم ما استعجم ٧٤٨.

(٤) قول الأخفش من أ وحدها. وفي ب: «قال أبو الحسن: سِلَّى موضع بالبادية، هكذا ينشد هذا البيت:

كأن عذيرهم بجنوب سلّى ... نعام بات في بلد قفار

وسَلّ وسلّبرى بعض نواحي الأهواز».

وكان في أ وب: «كأنّ غديرهم» وهو تصحيف. وعذيرهم: حالُهم.

وكان في أ: وسليرى، بالياء. وضبط «سلبرى» بفتح السين واللام في ب وبكسرهما في ي. وجاء فيه كسر السين وفتح اللام. انظر معجم ما استعجم ٧٤٨، ومعجم البلدان ٢٣٢/٣. وأما «سلى» بفتح السين فلم أجده، والذي حكاه ياقوت فيه الكسر والضم واقتصر البكري على الكسر.

(٥) وهو من كلمة لشقيق بن جزء الباهلي في فرحة الأديب ٧٨، ومعجم البلدان ٢٣٢/٣.

(٦) في أ وس: وافد، وهو تصحيف.

(٧) في ي وف: أصبتم.

(٨) في الأصل وف وي: لا أراهم يصابون.

(٩) في أ: توجه.

بالتَّحارُسِ، حتى إذا أَصْبَحَ رَكِبَ إليهم على تَعْبِيَةٍ صحيحةٍ[1]، فالْتَقَوْا بِسِلَّى وسِلَّبْرَى[2] فَتَصَافُّوا، فخرج من الخوارج مائةُ فارسٍ، فركَزوا رِماحَهم بين الصَّفَّيْنِ واتَّكَؤُوا عليها، وأخرج إليهم المهلَّبُ عِدادَهم، فَفَعَلُوا مثلَ[3] ما فَعَلُوا، لا يَرِيمُونَ[4] إلَّا لِصلاةٍ حتى أَمْسَوْا، فرجَع كلُّ قومٍ إلى مُعَسْكَرِهِمْ، ففعلوا هذا ثلاثةَ أيامٍ.

ثم إنَّ الخوارج تَطارَدُوا لهم في اليوم الثالث، فَحَمَلَ عليهم هؤلاء الفرسانُ يَجولونَ ساعةً، ثم إنَّ رجلاً من الخوارج حَمَلَ على رجلٍ فطعَنَهُ، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه، فَحَمَلَ الخوارجُ بأجمعهم، كما صَنَعُوا يوم سُولافَ، فضَعْضَعوا الناسَ، وفُقِدَ المهلَّبُ، وثبتَ المغيرةُ في جمعٍ أكثرُهم أهلُ عُمَانَ، ثم نَجَمَ المهلبُ في مائةِ فارسٍ[5]، وقد آنغمَسَتْ كَفُّاهُ في الدَّمِ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ مُرَبَّعةٌ فوقَ المِغْفَرِ[6] مَحْشُوَّةٌ قَزّاً، وقد تَمَزَّقَتْ، وإنَّ حَشْوَها لَيَتَطايرُ، وهو يَلْهَثُ، وذلك في وقتِ الظُّهْرِ، فلم يَزَلْ يحاربُهم إلى الليلِ، حتى كَثُرَ القتلُ في الفريقين[7].

فلما كان الغَدُ غادَاهم، وقد كَانَ وَجَّهَ بالأمسِ رجلاً[8] من طاحِيَةَ بنِ سُودِ بنِ مالكِ بنِ فَهْمٍ من[9] الأَزْدِ[10]، يَرُدُّ المنهزمينَ، فمرَّ به عامرُ بنُ مِسْمَعٍ فردَّه[11]،

---

(١) من أ: وحدها.

(٢) في أ: وسليرى. وكذا في الأصل هنا.

(٣) من أ وهـ.

(٤) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: يقال: رام يَرِيم رَيْماً، وما رِمْتُ عن المكان أي ما بَرِحْتُ».

(٥) من أ وهـ.

(٦) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذانَ: المِغْفَرُ: الكُبَّةُ من الزَّرَدِ. وقال المُهَلَّبِيُّ: المِغْفَرُ: الوِقَايَةُ لِلرَّأْسِ، وهي حَلَقٌ يَتَقَنَّعُ بها المُتَسَلِّحُ، وكذلك الغِفَارَةُ. ومِغْفَرُ البَيْضَةِ: ما فوقها من حَلَقِ الحَدِيدِ».

(٧) بهامش الأصل من نسخة: «في الفريقين جميعاً».

(٨) بهامش الأصل ما نصّه: «هو سالم بن أوس الطحاويُّ». كذا وقع والصواب: الطاحيُّ.

(٩) في أ: «.. بن فهم بن الأزد» وهو تحريف.

(١٠) قوله من طاحية بن سود إلخ كذا وقع! والذي في جمهرة أنساب العرب ٣٧١، واللباب ٢/٢٦٧، والاشتقاق ٤٨٤ أنه طاحية بن سود بن الحَجْر بن عمران بن عمرو مزيقياء.

(١١) ليس في ف وس.

فقال: إنَّ الأميرَ أَذِنَ لي، فبَعَث إلى المهلَّبِ فأعلمَه، فقال: دَعْهُ، فلا حاجةَ لي في مثلِه من أهلِ الجُبْنِ والضَّعْفِ. وقد تفرَّقَ أكثرُ الناسِ، فغادَاهم المهلَّبُ في ثلاثةِ آلاف، وقال [١/٢٥٣] لأصحابه: ما بِكُمْ مِن قِلَّةٍ، أيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أن يَرمِيَ برمحه ثم يَتَقَدَّمَ فيأخُذَه؟ ففعلَ ذلك رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له عَيَّاشٌ. وقال المهلَّبُ لأصحابه: أَعِدُّوا مخالِيَ فيها حجارةٌ وآرْمُوا بها في وقتِ الغَفْلَةِ، فإنها تَصُدُّ[1] الفارِسَ وتَصْرَعُ الراجلَ، ففَعَلوا[2]. ثم أمر منادياً يُنادي في أصحابه، يَأْمُرُهُمْ بالجِدِّ والصَّبْرِ، [٦٣٦] وَيُطْمِعُهُمْ في العَدُوِّ، ففَعَلَ، حتى مَرَّ بِبَنِي العَدوِيَّةِ بنِ مالك بنِ حَنْظَلة[3]، فضَرَبُوهُ، فدعا المهلَّبُ بسيِّدهم، وهو معاويةُ بن عَمْرٍو، فجَعَلَ يَرْكُلُهُ برِجْلِه،[4] وهذا معروفٌ في الأَزْدِ، فقال له[5] أَصْلَحَ اللهُ الأميرَ، أَعْفِني مِنْ أُمِّ كَيْسَانَ، والرَّكْلةُ[6] تُسَمِّيها الأَزْدُ «أُمَّ كَيْسَانَ». ثم حَمَلَ المهلَّبُ وحَمَلُوا، فاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً، فَجُهِدَ الخوارجُ،

---

(١) في ب وف وهامش الأصل: «تصكّ» وعليه في هامش الأصل «ع» يعني رواية أبي علي.

(٢) زاد في الأصل: ذلك.

(٣) بنو العدوية هم زيد والصديّ ويربوع أبناء مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. نسبوا إلى أمهم وهي من بني عديّ بن عبد مناة بن أدّ. انظر جمهرة أنساب العرب ٢٢٨.

وفي أ: ببني العدوية من بني مالك بن حنظلة.

(٤) بهامش أ ما نصُّه: «المُهَلَّبِيُّ: الرَّكْلُ: ضَرْبُكَ الفَرَسَ بِرِجْلِكَ لِيَعْدُوَ، ويقال لذلك الموضعِ الذي تُصِيبُهُ رِجْلُ الفارِسِ المَرْكَلُ. ابنُ شاذانَ: الرَّكْلُ: الرَّفْسُ بالرِّجْلِ، وَرَكَلَهُ يَرْكُلُهُ رَكْلاً، وَالرَّكْلَةُ الرَّفْسَةُ. قال: وقال الخليلُ: الرَّكْلُ: الضَّرْبُ بِرِجْلٍ واحدةٍ».

(٥) ليس في الأصل وا وب.

(٦) في أ وهـ: «والرُّكْبَةُ». وبهامش أ ما نصُّه: «قال ابن شاذان: هكذا قال المبرد: الركبةُ، والصواب: الرُّكْلةُ، وهي الرفسة».

قلت: الثابت في جميع النسخ التي بين يديّ «فجعل يركلُه» باللام، والثابت في سائرها «والركلةُ» باللام أيضاً، وهو المناسب لقوله «يركله».

فإذا صحَّ أنّ المبرد قال «الركبة» بالباء فلا ريب أنّه قال «فجعل يَرْكُبُه» بالباء أيضاً، وهو ما نقله عن المبرد الزمخشريُّ في الفائق ٢/٨٣، وعنه ابن الأثير في النهاية ٢/٢٥٧، وعنه صاحب اللسان (ركب). ولعل ما حكي في حديث ابن سيرين يشهد لـ «الركبة» بالباء، فقد قال غالب القطان: ذكرت عنده [يعني عند ابن سيرين] يزيد بن المهلب فقال: أما تعرف الأزد ورُكَبَها؟ اتّقِ الأزد لاياخذوك فيركُبُوك؛ أي يضربوك بركبهم.

وحكى ابن الأثير في المرصّع ٢٨٩ أن أم كيسان هو ضرب الرِّجل على مؤخر الإنسان وهو كنية الركبة.

فَنَادَى مُنَادِيهم: أَلا إنَّ المُهَلَّبَ قد قُتِلَ، فَرَكِبَ المُهَلَّبُ بِرْذَوْناً قَصِيراً أَشْهَبَ، وأَقْبَلَ يَرْكُضُ بينَ الصَّفَّيْنِ، وإنَّ إحدى يَدَيْهِ لَفِي القَبَاءِ وما يَشْعُرُ[1]، وهو يَصِيحُ: أنا المُهَلَّبُ، فَسَكَنَ النَّاسُ بعدَ أَنْ كانوا قَدِ ٱرْتَاعُوا وظَنُّوا أَنَّ أَمِيرَهُم قد قُتِلَ، وكَلَّ الناسُ مع العَصْرِ، فصاحَ المهلَّبُ بابنِه المُغيرةِ: تَقَدَّمْ، ففَعَلَ، وصاحَ بِذَكْوَانَ مَوْلاهُ: قَدِّمْ رَايَتَكَ، ففَعَلَ، فقال له رجلٌ من وَلَدِهِ: إنك تُغَرِّرُ بنفسِك، فَذَمَرَهُ[2]، وصاحَ[3]: يا بني تَميم، أَآمُرُكُمْ فتَعْصونني؟! فتقَدَّمَ وتقدَّمَ الناسُ، وٱجْتَلَدُوا أشدَّ جِلادٍ، حتى إذا كان مع المَسَاء قُتِلَ ٱبنُ المَاحُوزِ، وٱنصرفَ الخوارجُ، ولم يَشْعُرِ المهلَّبُ بقتلِه، فقال لأصحابه: ٱبْغُوني رجلاً جَلْداً يَطُوفُ في القَتْلَى، فأشاروا عليه برجلٍ من جَرْمٍ، وقالوا: إنَّا لم نَرَ قطُّ رجلاً[4] أَشَدَّ منه، فطَوَّفَ ومعه النِّيرانُ، فَجَعَلَ إذا مَرَّ بجريح من الخوارج قال: كافرٌ ورَبِّ الكعبةِ، فَأَجْهَزَ عليه، وإذا مَرَّ بجريحٍ من المسلمين أَمَرَ بِسَقْيِهِ وَحَمْلِهِ.

وأقام المهلَّبُ في عسكره يأمِرُهم بالاحتراسِ، حتى إذا كان في[5] نصف
[٦٣٧] الليلِ وَجَّهَ رجلاً من اليَحْمَدِ [قال أبو الحسن[6]: اليَحْمَدُ من الأزدِ، والخَلِيلُ مِنْ بَطْنٍ منهم يقال لهمُ الفَرَاهِيدُ، والفُرْهُودُ في الأصل الحَمَلُ، فإن نَسَبْتَ إلى القَبِيلِ[7] قلتَ «فَرَاهِيدِيٌّ»[8]، وإن نسبتَ إلى الحَمَلِ[9] قلتَ «فُرْهُودِيٌّ» لا غَيْرُ] في عَشَرةٍ فصاروا إلى

---

(١) زاد في أ: بها.

(٢) بهامش أ ما نصُّه: «ابن شاذان: ذَمَرْتُ الرَّجُلَ أَذْمُرُهُ ذَمْراً: إذا حَضَضْتَه، وتذامر القومُ: إذا حضَّض بعضُهم بعضاً».

(٣) في أ وس: ثم صاح.

(٤) ليس في ف وس: و«قط» ليس في د. وفي أ: رجلاً قط.

(٥) ليس في أ.

(٦) قول أبي الحسن من الأصل وأ وب، وهو بهامش الأصل من نسخة ابن الإفليلي. وفي أ: قال الأخفش.

(٧) في أ: الحيّ.

(٨) زاد في ب: لا غير.

(٩) في أ وب وهامش الأصل: الحُمْلان.

عسكرِ الخوارجِ، وإذا[1] القومُ قد تَحَمَّلُوا إلى أَرْجَانَ[2]، فرجَع إلى المهلَّب فأَعْلَمَهُ، فقال: أنا لَهُمُ السَّاعَةَ أَشدُّ خوفاً، فاحْذَرُوا البَيَاتَ.

***

قال أبو العباس[3]: ويُرْوَى عن شُعْبَةَ بنِ الحَجَّاج أنَّ المهلَّبَ قال لأصحابه يوماً: إنَّ هؤلاءِ الخوارجَ قد يَئِسُوا من ناحيتكم إلاّ من جهة البَيَاتِ، فإنْ كان ذلك فاجْعلُوا شِعَارَكُمْ حمَ [٢/٢٥٣] لا يُنْصَرُونَ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ كان يأْمُرُ بها. ويُرْوَى أنَّه كان شعارَ أصحابِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه.

فلمَّا أصبحَ المهلَّب غَدَا عَلَى القَتْلَى، فأصابُوا[4] ابنَ المَاحُوزِ[5]، ففي ذلك يقول رجلٌ من الخوارج[6]:

بِسِلِّيْ وَسِلِّيْبَرَى مصارِعُ فتيةٍ كِرامٍ وَعَقْرَى من كُمَيْتٍ ومن وَرْدِ[7]

---

(١) في أ: فإذا.

(٢) كذا ضبط في ر بإسكان الراء، وفتحها مع التشديد، ولم ينص ياقوت إلا على الفتح مع التشديد، وذكر أنّ عامة العجم يسمونها أرْغان، وأن المتنبي خفف الراء فقال:

أرْجان أيتها الجياد فإنه عزمي الذي يدع الوشيج مكسّرا

وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير بينها وبين شيراز ستون فرسخاً وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً. معجم البلدان ١/١٤٢.

(٣) «قال أبو العباس» من الأصل وأ.

(٤) في أ: فأصاب.

(٥) زاد في أ وب: فيهم.

(٦) بهامش الأصل ما نصُّه: «هو يَيْهَسُ بن صُهَيْب، يكنى أبا المقدام». والبيت في شعر الخوارج ٨٠ بلا نسبة.

(٧) في أ وهـ: وسليري.

وفي ر: «ففي ذلك يقول رجل من الخوارج:

بسلى وسليرى مصارع فتية كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر:

بسل وسليرى مصارع فتية كرام وعقرى من كميت ومن ورد»

وذكر رايت أنّ قوله «بسل وسليرى... وقال آخر» جاء بهامش أ وحدها بخط غير خط النسخة.

وقال رجلٌ من موالي[1] المهلَّبِ: لقد صرعتُ يومَئذٍ بحَجَرٍ واحدٍ ثلاثةً، رميتُ به رجلاً فأصبتُ أصْلَ أُذُنِهِ فَصَرَعْتُهُ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ به[2] آخَرَ على هَامَتِه فصرعتُه، ثم صرعتُ به ثالثاً.

وقال رجلٌ من الخوارج[3]:

أَتَـانَـا بِأَحْجَـارٍ لِيَقْتُلَنَـا بِهَـا ... وهل تُقْتَلُ الأَبْطالُ وَيْحَكَ بالحَجَرْ

[٦٣٨] وقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ في يومِ سِلَّى وسِلِّبْرَى[4] وَقَتْلِ ابنِ الماحُوزِ:

وَيَـومَ سِـلَّى وسِـلِّبْـرَى أحـاط بِهِـمْ ... مِنَّا صَـواعِقُ مَـا تُبْقِي وَمَـا تَـذَرُ[5]
حـتى تَـرَكْنَـا عُـبَيْـدَ اللهِ مُـنْـجَـدِلاً ... كَـما تَجَـدَّلَ جِـذْعٌ مَـالَ مُـنْـقَـعِـرُ

قال[6]: تقولُ العربُ «صاعقةٌ وَصَوَاعِقُ» وهو مذهبُ أهل الحجازِ، وبه نزلَ القرآنُ، وبنو تَميمٍ يقولون «صاقِعَةٌ وَصَواقِعُ».

و«المُنْقَعِرُ» المُنْقَلِعُ من أصلِه، قال الله جَلَّ وعزَّ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[7].

---

(١) في ب: أصحاب.
(٢) من أ وس ود وهـ.
(٣) شعر الخوارج ٧٩.
(٤) في أ وهـ: وسليري، وكذا في الأصل هنا وفي البيت.
(٥) كذا في الأصل وي وظ. وفي أ وب وس ود وهـ: ما تبقي ولا تذر. وفي ف وهامش الأصل: لا تبقي ولا تذر. والبيتان في معجم ما استعجم ٧٤٨.
وبهامش أ ما نصُّه: «قال ابنُ شاذان: الصُّعْقُ: أن يسمعَ الإنسان الهَدَّةَ الشديدة فيصعق لذلك ويذهب عقلُه. والصاعقةُ من هذا اشتقاقُها، لشدّة هَدْيِها، وإنما قلبوا فقالوا صاقِعةٌ».
(٦) في أ: قال أبو العباس.
(٧) سورة القمر: ٢٠.

ويُرْوَى أنَّ رجلاً من الخوارج يومَ سِلَّى حَمَلَ على رجلٍ من أصحاب المهلَّبِ فطَعَنَه، فلما خالطَه الرمحُ صاح: يا أُمَّتاهْ! فصاح به المهلَّبُ: لا كَثَّرَ الله بمثلِك المسلمينَ، فضَحِك الخارجيُّ وقال:

أُمُّـكَ خـيرٌ لـك مِنِّي صَـاحِبَـا تَسْقِيـكَ مَحْضـاً وتَعُـلُّ رائِبَـا

وكان المغيرةُ بنُ المهلَّبِ إذا نَظرَ إلى الرماحِ قد تشَاجَرَتْ في وجهه نَكَسَ[1] على قَرَبُوسِ السَّرْجِ[2] وحَمَلَ مِن تَحتِها فبَرَاهَا بسيفِه وأَثَّر في أصحابها، حتى تَحَرَّمَتِ المَيْمنَةُ من أَجْلِهِ. وكان أشدَّ ما تكونُ الحربُ أشدَّ ما يكونُ تَبَسُّماً، فكان المهلبُ يقولُ: ما شهِدَ مَعِي حرباً قَطُّ إلاَّ رأيتُ البُشْرَى في وَجْهِه.

وقال رجلٌ من الخوارجِ في هذا اليومِ:

فإن تَكُ قَتْلَى يَوْمِ سِلَّى تَتَابَعَتْ فكم غادَرَتْ أسيافُنا من قُمَاقِمِ
غَـدَاةَ نَـكُـرُّ المَشْـرَفِـيَّـةَ فِـيـهِـمُ بِسُـولاَفَ يـومَ المَـأْزِقِ المُتَـلاَحِـمِ[3]

---

(١) بهامش أ ما نصُّه: «نَكَسْتُ الشيء أَنْكُسُهُ نَكْساً: إذا قلبتَه على رأسه».

(٢) في أ: سرجه. وقربوسه: يريد مقدّمه.

(٣) بهامش الأصل ما نصُّهُ: «قبلها:

لعمـري لقـد بعـنـا الحيـاة وحبّـهـا بـرضـوان ربٍّ بـالـبـريّـة عـالم
بـكـل فـتى رخـو النـجـاد كـأنّـه شهـاب بـدا تحت السـيـوف الصـوارم

ويـروى:

... ... رخـو النجـاد شمـردل صبـور عـلى وقـع السـيـوف الـصـوارم
سـقـى الله أجـسـاداً تـلوح عـظامـهـا من الغيث صـوب المـدجنـات الـرمـائم؟

فإن تك...».

ونسب البيتان اللذان أنشدهما المبرد مع بيتين آخرين أحدهما لعمري لقد.. البيت لعبيدة بن هلال انظر شعر الخوارج ٩٢.

وبهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: رجلٌ قُماقِم وقَمْقَامٌ وهو السيّد، واشتقاقه من قولهم: بحرٌ قمقام، للكثير الماء».

«المَأْزِقُ»: مَوْضِعُ[1] تَضَايُقِ الحربِ. و«المُتَلاحِمُ» نعتٌ له. وَ«المَشْرَفِيَّةُ» [٦٣٩] السُّيُوفُ، نُسِبَتْ إلى المَشَارِفِ مِنْ أرضِ الشَّأْمِ. وهو الموضعُ الملقَّبُ بِمُوتَةَ[2] الذي قُتِلَ به جعفرُ بن أبي طالب وأصحابُه.

[قال الأخفشُ[3]: كان المُبَرِّدُ لا يَهْمِزُ «مُوتَةَ». ولم أَسْمَعْهَا من علمائِنا إلَّا بالهمزِ].

***

وكتب[4] المهلبُ إلى الحارثِ بنِ عبدِ الله [١/٢٥٤] بنِ أبي ربيعةَ القُبَاعِ:

بسم الله الرحمن الرحيم. أمَّا بعدُ، فإنَّا لَقينا الأزارقةَ المارقةَ، بحَدٍّ وَجِدٍّ، فكانتْ في الناس جَوْلَةٌ، ثم ثابَ أهلُ الحِفَاظِ والصَّبْرِ، بِنِيَّاتٍ صادقةٍ، وأبدانٍ شدَادٍ، وسيوفٍ حِدَادٍ، فأعْقَبَ الله خيرَ عاقبةٍ، وجاوزَ بالنِّعْمَةِ مِقدارَ الأمَلِ، فصاروا دَرِيئةَ[5] رِماحِنَا، وضَرائبَ سيوفنا، وقَتَلَ الله أميرَهُمُ ابنَ المَاحُوزِ، وأرجو أن يكونَ آخرُ هذه النعمة كأوَّلِهَا، والسلام.

فكَتَبَ إليه القُبَاعُ:

قد قرأتُ كتابَك يا أخا الأَزْدِ، فرأيتُك قد وَهَبَ الله لك شرفَ الدنيا وعِزَّها،

---

(١) كذا في الأصل وحده، وهو الوجه. وفي هـ: هو موضع الحرب وهو يوم تضايق الحرب. وفي أ: المأزق هو يوم تضايق الحرب. وفي سائر النسخ: المأزق يوم تضايق الحرب.

(٢) في أ: الملقب مونة.

(٣) قول الأخفش من ر ولم يذكر النسخ التي أوردته. ومؤتة يقال بالهمز وبترك الهمز، وانظر ما سلف ١٦٨.

(٤) في ي: فكتب. وفي أ: قال أبو العباس فكتب.

(٥) في ر وف وهـ: «درئة» وهو تحريف.

وبهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: الدِّرِئة [كذا] مهموز: الحلقةُ التي يُتَعَلَّم فيها الرميُ والطعن. والدريَّة بغير همز: التي يَسْتَتِرُ بها الصائد».

قلت: قوله الدرئة صوابه الدريئة. والدريئة بالهمز: الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها، والبعير أو غيره الذي يستتر به الصائد من الوحش يخيل حتى إذا أمكن رميه رمى. وقال ابن الأثير: الدريَّة بغير همز حيوان يستتر به الصائد فيتركه يرعى مع الوحش حتى إذا أنست به وأمكنت من طالبها رماها. وقيل على العكس منهما في الهمز وتركه. أنظر اللسان (در أ).

وذَخَرَ لك ثوابَ الآخرةِ وأَجْرَها، إن شاء الله[1]. ورأيتُك أوثقَ حُصونِ المسلمين، وهادَّ أركانِ المشركين، وذا الرِّياسةِ وأخا السِّيَاسَةِ[2]، فاسْتَدِمِ الله بشُكْرِهِ يُتْمِمْ عليك نِعَمَهُ، والسلام.

وكَتب إليه أهلُ البصرة يُهَنِّئُونَهُ، ولم يكتبْ إليه الأحنفُ، ولكن قال: اقْرَؤُوا عليه السلام، وقولوا له: أَنَا لَكَ على ما فارقتُك عليه. فلم يَزَلْ يقرأُ الكتبَ ويَلْتَمِسُ في أضْعافِها كتابَ الأحنف، فلمَّا لم يَرَهُ قال لأصحابه: أمَا كَتَب إلينا؟ فقال له الرسول: حَمَّلَني إليك رسالةً، وأَبْلَغَهُ، فقال: هذه أحبُّ إليَّ من هذه الكتبِ.

***

واجتمعت الخوارجُ بأَرَّجَانَ، فبايعوا الزُّبيرَ بن عليٍّ، وهو من بني سَليطِ بن يَرْبُوعٍ، مِن رَهْطِ آبنِ المَاحُوزِ، فرأى فيهم انكساراً شديداً وضَعْفاً بَيِّناً، فقال لهم: آجْتَمِعُوا، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه وصلَّى على محمد ﷺ، ثم أَقْبَلَ عليهم فقال: إنَّ البلاءَ للمؤمنين[3] تَمْحِيصٌ[4] وأجرٌ، وهو على الكافرين عُقوبةٌ وخِزْيٌ، وَإنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خَلَّفَ، وقد أَصَبْتُم منهم[5] مُسْلِمَ بنَ عُبَيْسٍ، ورَبيعاً الأَجْذَمَ، والحجَّاج بنَ بابٍ، وحارِثَةَ بنَ بدرٍ، وأَشْجَيْتُمُ المهلَّبَ، [٦٤٠] وَقَتَلْتُم أَخَاهُ المُعَارِكَ، والله يقولُ لإخوانكم من المؤمنين: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وتلك الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[6] فيَوْمٌ سِلْمٌ كان لكم بلاءً

---

(١) «إن شاء الله» ليس في الأصل. وموضعه في ي وظ بعد قوله «وذخر لك» وموضعه في أ بعد قوله «الآخرة».

(٢) في أ وهـ: وأخا السياسة وذا الرياسة.

(٣) في الأصل وف وظ: بالمؤمنين.

(٤) بهامش أ ما نصُّه: «قال ابنُ شاذان: التَّمْحِيصُ: التَّطْهِيرُ من الذنوب، قال الله عزّ وجل: وليُمَحِّصَ الله الذين آمنوا».

(٥) في ب وس وف وي وظ: فيهم.

(٦) سورة آل عمران: ١٤٠.

وتمحيصاً[1]، ويومُ سُولافَ كان لهم[2] عُقوبةً ونَكالاً، فلا تُغْلَبُنَّ على الشُّكْرِ في حِينِهِ، والصَّبْرِ في وقتِه، وثِقُوا بأنَّكم المُسْتَخْلَفون في الأرضِ، والعاقبة للمتَّقين.

ثم تَحَمَّلَ لمحاربة المهلَّبِ، فنفحَهُمُ المهلَّبُ نَفْحَةً، فرجَعوا، فأكْمَنَ للمهلَّب في غَمْضٍ[3] من غُمُوض الأرضِ، يَقْرُبُ[4] من عسكره، مائةَ فارس ليَغْتالُوه، فسار المهلَّبُ يوماً يطوفُ بعسكره ويتفقَّد سَوَادَه، فوقَف على جبلٍ فقال [٢/٢٥٤]: إنَّ من التَّدْبير لهذه المارقة أن تكونَ قد أكْمَنَتْ في سَفْحِ هذا الجبلِ كَمِيناً، فبعثَ عَشَرَةَ فوارس، فأطَّلَعُوا على المائةِ، فلما عَلِمُوا أنهم قد عَلِمُوا بهم قَطَعوا القَنْطَرَة ونَجَوْا، وكَسَفَتِ الشمسُ، فصاحوا بهم: يا أعداءَ الله، لو قامتِ القيامةُ لَجَدَدْنَا في جهادكم.

ثم يئِسَ الزُّبير من ناحية المهلَّب، فضَرَبَ إلى ناحية إِصْبَهَانَ، ثم كَرَّ راجعاً إلى أَرَّجَانَ، وقد جَمع جموعاً، وكان المهلَّبُ يقولُ: كأنِّي بالزُّبير وقد جمع لكم، فلا[5] تَرْهَبُوهُمْ فَتَخْبُثَ قلوبُكم، ولا تُغْفِلُوا الاحتراسَ فيَطْمَعُوا فيكم. فجاؤوه من أَرَّجَانَ فألْفَوْهُ مُسْتَعِدّاً آخذاً بأفواه الطُّرقِ، فحارَبوه، فظَهَرَ عليهم ظهوراً بَيِّناً. ففي ذلك يقول رجلٌ من بني تَميمٍ، أَحْسِبُهُ من بني رِيَاحِ بن يَرْبُوع[6]:

سَقَى الله المُهَلَّبَ كُلَّ غَيْثٍ ... من الوَسْمِيِّ يَنْتَجِرُ انتحارَا
فما وَهَنَ المُهَلَّبُ يومَ جاءتْ ... عَوابسُ خَيْلِهم تَبْغي الغِوَارَا[7]

---

(١) في الأصل وب ود وي وظ: «كان لكم تمحيصاً».
(٢) في ف وي وظ: عليهم.
(٣) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: الغَمْضُ: المُطْمَئِنُّ من الأرض، والجمعُ: أغماضٌ وغموضٌ».
(٤) كذا في أ. وفي سائر النسخ: «بِقُرْبٍ» وقوله «بقرب من عسكره» ليس في هـ.
(٥) في أ: قد جمع جموعاً فلا.
(٦) بهامش الأصل ما نصُّه: «هو عَطِيَّةُ بن خَرْاء الرياحيُّ، وكان من فرسان المهلب». وحمراء، رسمت في الأصل: «حمرى».
(٧) الغوار مصدر غاور العدوّ مغاورة وغواراً: أغار عليه. عن رغبة الآمل ٨/٣٣.

وقال المهلَّبُ يومَئِذٍ: ما وقعتُ[1] في أمرٍ ضَيِّقٍ من الحرب إلَّا رأيتُ أمامي رجالًا من بني الهُجَيْمِ بنِ عَمْرِو بنِ تميمٍ يُجالِدُونَ، وكأنَّ لِحاهُمْ أذنابُ العقَاعِقِ[2]. وكانوا صَبَرُوا معه في غير مَوْطِنٍ.

وقال رجلٌ من بني تميمٍ، من بني عَبْشَمْسِ بنِ سَعْدٍ[3]: [٦٤١]

أَلَا يَا مَنْ لِصَبٍّ مُسْتَجِنٍّ[4] قَرِيحِ القلبِ قد صحِبَ المَزُونَا
لَهَانَ على المهلَّبِ ما لَقِينَا إذا ما راحَ مَسْرُوراً بَطِينَا
يَجُرُّ السَّابِرِيَّ ونحنُ شُعْثٌ كأنَّ جلودَنا كُسِيَتْ طَحِينَا

«المَزُونُ» عُمَانُ، وهو اسم من أسمائها، قال الكُمَيْتُ[5]:

فأمَّا الأَزْدُ أَزْدُ أبي سعيدٍ فأكرَهُ أن أُسَمِّيَهَا المَزُونَا

وقال جريرٌ[6]:

وأَطْفأتَ نِيرانَ المَزُونِ وأهلها وقد حاولوها فِتْنَةً أَنْ تُسَعَّرَا

وَحَمل يومئذٍ الحَرِيشُ بنُ هِلالٍ على قيسِ الإكافِ، وكان[7] من أنْجَدِ فُرْسانِ الخوارج، فطعنه فَدَقَّ صُلْبَهُ، وقال:

قَيْسُ الإكافِ غداةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُنِي ثَبْتَ المَقَامِ إذا لاقَيْتُ أَقْرَانِي

***

(١) في ب وي: ما وقفت.
(٢) العقاعق: جمع عقعق كجعفر وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب. عن رغبة الآمل.
(٣) في المؤتلف والمختلف ١٨٧ أنه مضرحي بن كلاب أحد بني الحارث بن كعب بن سعد، وأنشد الآمدي البيتين الأول والثاني مع ثالث لهما غير الذي في المتن، وثمة اختلاف في الرواية.
(٤) في ي: مستجنّ. وفي س وف وظ: مستخن.
(٥) سلف البيت ص ١١٤٨.
(٦) سلف البيت ص ١١٤٨.
(٧) في أ وهـ: وكان قيس.

وقد كان قَلُّ المهلَّبِ يومَ سِلَّى وسِلَّبْرَى[1] صاروا إلى البصرةِ، فذكروا أنَّ المهلَّبَ أُصِيبَ، فَهَمَّ أهلُ البصرة بالنُّقْلةِ إلى البادية، حتى وَرَدَ كتابُه بظَفَره، فأقام الناسُ، وتراجَع من كان ذهب منهم، فعند ذلك يقولُ الأحنفُ[2]: البصرةُ بصرةُ المهلَّبِ. وَقَدِمَ رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له فلانُ بنُ أَرْقَمَ، فَنَعَى ابنَ عمٍّ له، وقال: رأيتُ رجلاً من الخوارجِ وقد مَكَّنَ رمحَه من صُلْبه، فقَدِمَ المَنْعِيُّ، فقيلَ له ذلك، فقال: صَدَقَ ابنُ أرقم لما أَحْسَسْتُ برمحه [١/٢٥٥] بين كَتِفَيَّ صحتُ بِهِ[3]: البَقِيَّةَ! فرَفَعَه عنِّي، وتلا: ﴿ بَقِيَّةُ الله خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[4].

***

ووَجَّهَ المهلَّبُ بِعَقِبِ هذه الوَقْعَةِ رجلاً من الأَزْد برأس عُبَيْدِ الله بنِ بَشِيرِ بنِ الماحُوزِ إلى الحارثِ بنِ عبدِ الله بن أبي ربيعةَ القُبَاعِ، فلما صار بِكُرْبُجِ دِينارٍ[5] لَقِيَهُ حَبيبٌ وعبدُ الملك وعليٌّ بنو بَشِيرِ بنِ الماحوزِ فقالوا له: ما الخبرُ؟ ولا يَعْرِفُهم، فقال[6]: قَتَلَ الله المارقَ ابنَ الماحُوزِ، وهذا رأسُه مَعِي! فَوَثَبُوا عليه [٦٤٢] فقَتَلُوه وصَلَبُوه ودفَنُوا الرأسَ، فلما وَلِيَ الحجَّاجُ دَخَلَ عليه عليُّ بنُ بَشِير، وكان وَسِيماً جَسِيماً، فقال: مَنْ هذا؟ فَخُبِّرَ فقَتَله، ووهبَ ابنَه الأَزْهَرَ وابنَتَهُ لأهل الأَزْدِيِّ المقتولِ، وكانت زينبُ بنتُ بَشِيرٍ لهم مُواصِلَةً، فوهبوهما لها.

***

---

(١) في الأصل وأ وهـ: وسليرى.
وبهامش الأصل ما نصُّه: وفي حاشية ف: قال أبو الحسن: سِلَّى موضع بالبادية، وهكذا ينشد هذا البيت:
كانَّ عذيرهم بجنوب سِلَّى نعام قاق في بلد قفاره
وقوله في حاشية ف يعني رواية ابن الإفليلي. وانظر ما سلف ص١٢٥٣ وفي كلام أبي الحسن اختلاف عما هنا.
(٢) في أ: الأحنف بن قيس.
(٣) ليس في أ.
(٤) سورة هود: ٨٦.
(٥) موضع قريب من الأهواز دون سوق الأهواز بثمانية فراسخ من جهة البصرة. معجم البلدان ٤/٤٤٥.
(٦) في الأصل: فقال لهم.

فلم يَزَلِ المهلَّب يقاتِلُ الخوارجَ في وِلايةِ الحارثِ القُبَاعِ، حتى عُزِلَ[1] ووُلِّيَ[2] مُصْعَبُ بنُ الزُّبير، فكتب إليه أن آقْدَمْ عليَّ[3] وآستخلِفِ آبنَكَ المغيرة، ففَعل، فجمعَ الناسَ فقال لهم: إنِّي قد آستخلفتُ عليكم المغيرة، وهو أبو صغيرِكم رِقَّةً ورحمةً، وآبنُ كبيرِكم طاعةً وبِرّاً وتَبْجِيلاً، وأخو مِثْلِه مُواساةً ومُناصحةً، فَلْتَحْسُنْ له طاعتُكُمْ، ولْيَلِنْ له جانِبُكم، فوالله ما أردتُ صواباً قطُّ إلاَّ سَبقني إليه. ثم مَضَى إلى مُصْعَبٍ، وكتب مصعبٌ إلى المغيرة بولايته، وكَتَبَ إليه: إنَّك لم تَكُنْ كأبيك، فإنك كافٍ لِمَا وَلَّيْتُكَ، فشَمِّر وآتَّزِرْ وجِدَّ وآجْتَهِدْ.

***

ثم شَخَصَ مُصْعَبٌ[4] إلى المَذَارِ[5]، فقَتَلَ أَحْمَرَ بنَ شُمَيْطٍ، ثم أتى الكوفةَ فقَتَلَ المختارَ[6]. وقال للمهلَّبِ: أشِرْ عليَّ برجلٍ أَجْعَلْه بيني وبين عبد المَلِكِ؟ فقال له[7]: أَذْكُر لك واحداً من ثلاثةٍ: محمدَ بنَ عُمَيْرِ بنِ عُطَارِدٍ الدارِمِيَّ، أو زِيَادَ ابنَ عمرو بنِ الأَشْرفِ العَتَكِيَّ، أو دَاوُدَ بنَ قَحْذَمٍ، فقال: أو تَكْسِفِيني إن شاءَ الله[8]، فقال[9]: أَكْفِيكَ إن شاء الله، فولَّاه المَوْصِلَ، فشَخَصَ المهلَّب إليها.

***

---

(١) في أ وس: عزل الحارث.

(٢) في الأصل وب ود وهـ: وَلِيَ.

(٣) في ي وف وهـ وظ: إليّ.

(٤) في أ وب وس ود وهـ: المصعب.

(٥) كذا في أ وب، وهو الصواب. والمذارُ بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان. معجم البلدان ٥/٨٨.
وفي هـ: المدار، وفي س: المداري، وفي الأصل وظ ود وي: المدائن، وهو تحريف. وانظر رغبة الآمل ٨/٣٦.

(٦) في أ: المختار بن أبي عبيد.

(٧) ليس في الأصل وأ وهـ.

(٨) من الأصل وف وظ وأ.

(٩) في أ وس ود: قال.

وصار مُصْعَبٌ إلى البصرة، فسأل: مَنْ يَسْتَكْفيني[1] أمر الخوارج[2]؟ فشاوَرَ الناسَ، فقال قومٌ: وَلِّ عُبيدَ الله بنَ أبي بَكْرَةَ، وقال قومٌ: وَلِّ[3] عُمَرَ بنَ عُبيدِ الله ابنِ مَعْمَرٍ، وقال قومٌ: ليس لهم إلَّا المهلَّبُ فارْدُدْهُ إليهم.

وبَلَغتِ المَشُورةُ الخوارجَ[4]، فـأدَارُوا الأَمْرَ بينهم، فقال قَطَرِيُّ بنُ الفُجَاءَةِ المازنيُّ: إنْ جاءكُمْ عُبيدُ الله بنُ أبي بَكْرَةَ أتاكم سَيِّدٌ سَمْحٌ جوادٌ كريمٌ[5] مُضَيِّعٌ[6] لعسكره، وإن جاءكم عُمر بنُ عُبيد الله[7] أتاكم شجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جادٌّ، يقاتلُ لِدِينِهِ ولِمُلْكِهِ[8]، وبطبيعةٍ[9] لم أرَ مثلها لِأَحَدٍ، فقد شَهِدْتُهُ في وقائعَ فما نُودِيَ في [٢/٢٥٥] القوم لِحَرْبٍ إلَّا كان أولَ فارسٍ يَطْلُعُ حتى يَشُدَّ على قِرْنِهِ، فيَضْرِبَه، وإنْ رُدَّ المهلَّبُ فهو مَنْ قد عَرَفْتُمُوه: إن أخذتُم بطَرَفِ ثوبٍ أخَذَ بطَرَفِهِ الآخَرِ، يَمُدُّه إذا أرْسَلْتُمُوه، ويُرْسِله إذا مَدَدْتُموهُ، لا يَبْدؤُكم إلَّا أن تَبْدَؤُوه، إلَّا أنْ يَرَى فُرْصَةً فيَنْتَهِزَها، فهو الليث المُبِرُّ[10]، والثَّعْلَبُ الرَّوَّاغُ، والبلاءُ المقيمُ. [٦٤٣]

فَوَلَّى عليهم عُمرَ بنَ عُبَيْدِ الله، وولَّاه فارسَ، والخوارجُ بأَرَّجَانَ، وعليهم الزُّبيرُ بنُ عليٍّ السَّلِيطِيُّ، فَشَخَصَ إليهم فقاتلهم، وألَحَّ عليهم حتى أخرجهم عنها، فألحقهم بأَصْبَهَان، فلمَّا بلغ المهلَّبَ أنَّ مصعباً وَلَّى عُمرَ بنَ عُبيد الله قال: رماهُمْ بفارسِ العَرَبِ وفَتاها.

---

(١) كذا في الأصل وي وظ. وفي سائر النسخ: من يستكفي.

(٢) زاد في أ: «ويفد إلى أخيه».

(٣) ليس في الأصل.

(٤) في الأصل: وبلغت الخوارج المشورةُ.

(٥) في د وي وف وهـ وظ: كريم جواد.

(٦) في أ وب وس: «مُصِيعٌ»، وهو تصحيف.

(٧) في د وي: عمر بن عبيد الله بن معمر.

(٨) في أ: وملكه.

(٩) في الأصل وف وظ وي: ولطبيعة.

(١٠) المبرّ: الغالب، من أبرّ عليهم غلبهم. عن رغبة الآمل ٣٧/٨.

فَجَمَعُوا له وأَعَدُّوا واستعدُّوا، ثم أَتَوْا سَابُورَ[1]، فسارَ إليهم حتى نزلَ منهم على أربعةِ فراسِخَ، فقال له مالكُ بن حَسَّانَ[2] الأَزْديُّ: إن المهلَّبَ كان يُذْكي العيونَ، ويخافُ البَياتَ، ويَرْتَقِبُ الغفلة، وهو على أَبْعَدَ مِن هذه المسافة منهم، فقال له عُـمَرُ: اسكُتْ، خَلَعَ الله قلبَك! أَتُراكَ تَمُوتُ قبلَ أَجَلِك؟! وأقامَ[3] هناك، فلما كان ذاتَ ليلةٍ بَيَّتَهُ الخوارجُ، فَخَرَجَ إليهم فَحَارَبَهُم حتى أَصْبَحَ، فلم يَظْفَرُوا منه بشيءٍ، فأقبلَ على مالِك بنِ حَسَّانَ فقال: كيف رأيتَ؟ قال: قد سَلَّمَ الله عزَّ وجلَّ، ولم يَكُونُوا يطمعون مِنَ المهلَّبِ بمثلها، فقال: أَمَا إنَّكم لو ناصَحْتُمُونِي مُناصَحَتَكُمُ المُهَلَّبَ لَرَجَـوْتُ أن أُفْنِيَ[4] هذا العـدوَّ، ولكنكم تقولـون: قُرَشِيٌّ حِجازيٌّ بعيدُ الدارِ، خيرُهُ لغيرنا، فتقاتلون معي تَعْذِيراً[5].

***

ثم زَحَفَ إلى الخوارجِ من غدِ ذلك اليوم، فقاتَلهم قتالاً شديداً، حتى ألجأَهُمْ إلى قنطرةٍ[6]، فتكاثف الناسُ عليها حتَّى سَقَطَتْ، فأقام حتَّى أصلَحها، ثم عَبَرُوا، وتقدَّم ابنُه عبيدُ الله بنُ عُمَرَ، وأمُّه من بني سَهْمِ بنِ عَمرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ، فقاتلهم حتى قُتِلَ. فقال قَطَرِيٌّ: لا تقاتلوا عُمَرَ اليومَ فإنَّه مَوْتُورٌ. ولم يَعلم عُمَرُ بقتل ابنه حتَّى أَفْضَى إلى القوم، وكان مع ابنه النعمانُ بنُ عَبَّادٍ. فصاح به: يا

---

(١) كورة مشهورة بأرض فارس بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخاً. معجم البلدان ١٦٧/٣.

(٢) بهامش الأصل ما نصُّه: «مالك بن أبي حيال. للمدائنيّ».

(٣) في أ وب: فأقام.

(٤) في أ وهـ: أُنْفِيَ.

(٥) قال الشيخ المرصفي: «من قولهم: قام فلان قيام تعذير فيما استكفيته: إذا لم يبالغ في القيام به بل قصّر فيه» رغبة الآمل ٣٨/٨.

(٦) بهامش الأصل ما نصُّه: «ويقال لها قنطرة الكراء».

نعمانُ! أين ابني؟ فقال: احْتَسِبْهُ أيُّها الأميرُ[1]، فقد اسْتُشْهِدَ رحمه الله صابراً مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِر. فقال: إنَّا للهِ وَإنَّا إليه راجعون. ثم حمل على الناس حَمْلَةً لم يُرَ مثلُها.
[٦٤٤] وحَمل أصحابُه بحَمْلَتِهِ، فقَتَلوا في وجْهِهِم ذلك تسعين رجلاً من الخوارج، وحَمَل على قَطَرِيٍّ فضَرَبَه على جبينه فقَلَقَهُ. وآنهزمت الخوارجُ، وآنتَهَبَها. فلما آستقَرُّوا قال لهم قَطَرِيٌّ: أما أشرتُ عليكم بالانصراف؟ فَجعلوه وَجْهَهُم[2] حتى خَرجوا من فارسَ.

وتلقَّاهم في ذلك الوقتِ الفِزْرُ [١/٢٥٦] بنُ مُهَزِّمٍ[3] العَبْدِيُّ، فسألوه عن خبره، وأرادُوا قَتْلَهُ! فأقبل على قَطَرِيٍ فقال: إنِّي مؤمنٌ مهاجرٌ، فسأله عن أقاويلهم؟ فأجاب إليها، فخلَّوْا عنه، ففي ذلك يقول في كلمةٍ له:

وشَدُّوا وَثَاقِي ثُمَّ أَلَجَوْا خُصُومَتِي ... إلى قَطَرِيٍّ ذي الجَبِينِ المُفَلَّقِ
وحَاجَجْتُهُمْ فِي دِينِهِمْ فَحَجَجْتُهُمْ[4] ... وما دِينُهُمْ غَيْرُ الهَوَى والتَّخَلُّقِ

ثم إنَّهم تراجَعُوا وتكانَفُوا[5]، [قال الأخفشُ: «تكانفوا» أعانَ بعضُهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضُهم في كَنَفِ بعضٍ] وعادُوا إلى ناحيةِ أَرَّجَانَ، فسار إليهم عمر، وكَتب إلى مُصْعَبٍ: أما بعدُ، فإني لَقِيتُ[6] الأزارقةَ، فَرَزَقَ الله عُبَيْدَ الله بن عُمر الشهادةَ، ووَهَبَ له السَّعَادَةَ، ورزقَنا عليهم الظَّفَرَ، فتفرَّقُوا شِذَرَ مِذَرَ[7]، وبَلَغَتْنِي عنهم عَوْدةٌ، فيَمَّمْتُهم، وبالله أستعينُ وعليه أتوكلُ.

---

(١) «أيها الأمير» ليس في أ.
(٢) في ر: «وجوههم»؟ وهو تحريف.
(٣) في أ وس: «مِهْزَمٍ».
(٤) في ر: وحججتهم.
(٥) كذا في أ وحدها وقول الأخفش منها. وفي سائر النسخ: «وتكاثفوا».
(٦) في أ: قد لقيت.
(٧) ضبطا في ر بكسر الشين والميم وضبطا في الأصل بالفتح فيهما. وبهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: يقال: تفرّق القوم شِذر مِذَرَ: كلمة تقال عند التفرّق». وكلا الضبطين صحيح. انظر القاموس واللسان والتاج (شذر).

فسار إليهم ومعه عطيةُ بن عَمرٍو ومُجَّاعَةُ بنُ سِعْرٍ[1]، فالْتَقَوْا، فألحَّ عليهم حتى أخرجهم، وآنفردَ[2] من أصْحَابِهِ، فعَمَدَ له أربعةَ عشَرَ رجلاً منهم[3]، مِن مَذْكُورِيهم وشُجْعانِهم[4]، وفي يده عَمودٌ، فجعل لا يضربُ رجلاً منهم ضربةً إلا صَرَعَهُ. فرَكَضَ إليه قَطَرِيٌّ على فَرَسٍ طِمِرَّةٍ[5]، وعُمَرُ على مُهْرٍ، فآستعلاه قَطَرِيٌّ بقُوَّةِ فرسه حتى كاد يَصْرَعُهُ، فبَصُرَ به مُجَّاعةُ فأسرع إليه، فصاحت الخوارجُ بقَطَرِيّ: يا أبا نَعامة، إنَّ عدوَّ الله قد رَهِقَك، فآنحطَّ قَطَرِيٌّ عن قَرَبوسِهِ[6]، فطعنه مُجَّاعةُ، وعلى قَطَرِيٌّ درعان فَهَتكهما، وأسرعَ السِّنانُ في رأس قطريٌّ[7]، فَكَشَطَ عنه[8] جلدةً ونَجَا.

وآرتحلَ القومُ إلى أَصْبَهَانَ[9] فأقاموا بها[10] بُرْهَةً، ثم رجَعُوا إلى الأهواز، [٦٤٥]
وقد آرتحل عُمَرُ بنُ عُبيدِ الله إلى إصْطَخْرَ[11]، فأمر مُجَّاعةَ فَجَبَى الخَراجَ أسبوعاً، فقال له: كم جَبَيْتَ؟ قال: تِسْعَمِائَةِ ألفٍ، فقال: هي لك، فقال يزيدُ[12] بنُ الحَكَمِ الثقفيُّ لمُجَّاعَةَ:

---

(١) كذا في ف وظ وهـ. وهو الصواب. ونقل المرصفي عن مقتضب ياقوت أنه بكسر السين وسكون العين وبالراء المهملة.
وفي أ: سعيد، وفي سائر النسخ: سعد، وكلاهما تحريف. ومُجَّاعة ضبطه الشيخ المرصفي بفتح الميم، وهو بضمها في القاموس. انظر رغبة الآمل ٨/٤٠.
(٢) زاد في ف: عمر.
(٣) ليس في د وي.
(٤) في الأصل وي: وشُجَعائهم.
(٥) في أ وهـ: طمرّ. والطمرّ: الطويل القوائم الخفيف أو هو المستفز للوثب والعدو والأنثى طمرة. عن رغبة الآمل ٨/٤٠.
(٦) في الأصل وي: عن قربوس فرسه. وفي س وف: قربوس سرجه.
(٧) قوله «وعلى قطريّ... رأس قطري» من أ وحدها.
(٨) كذا في أ وب. وفي سائر النسخ: منه.
(٩) في أ وب: أصفهان.
(١٠) من الأصل وف وظ وي.
(١١) هي أقدم مدن فارس وأشهرها ومن أعيان حصونها. معجم البلدان ١/٢١١.
(١٢) شعره ـ شعراء أمويون ٣/٢٦٥.

ودَعـاكَ دَعْـوةَ مُـرْهَقٍ فـأَجَبْتَـهُ عُمَـرٌ وقـد نَسِيَ الحياةَ وضَـاعَـا
فَـرَدَدتَ عـادِيـةَ الكَتِيبـةِ عن فَتىً قـد كـاد يُتْـرَكُ لَحْمُـهُ أَوْزاعَـا[1]

وعُزِلَ مُصْعَبُ بن الزبير ووُلِّيَ[2] حمزةُ بنُ عبد الله بنِ الزبيـر، فَوَجَّـهَ المهلَّبَ إليهم، فحاربهم فأخرجهم عن الأهواز، ثم رُدَّ مصْعَبٌ، والمهلبُ بالبصرة، والخوارجُ بأطرافِ إِصْبَهَانَ، والوالي عليها عَتَّابُ بنُ ورقَاءَ الرِّيَاحِيُّ، فأقام الخوارجُ هناك شيئاً يَجْبُونَ القُرَى، ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارسَ، فكَتب مُصْعَبٌ إلى عُمَرَ بنِ عُبَيْدِ الله: ما أنصفْتَنَا، أقمتَ[3] بفارسَ تَجْبي الخَراجَ ومثلُ هذا العدوِّ يحاربُك، والله لو قاتلتَ ثم هربتَ لكان أَعْذَرَ لك. وخرج مصعبٌ من البصرة يريدهم، وأقبلَ عُمَرُ بنُ عُبَيْدِ الله يريدهم، فَتَنَحَّى [٢/٢٥٦] الخوارجُ إلى السُّوسِ، ثم أَتَوُا المدائِنَ، فقتلوا أَحْمَرَ طَيِّىء، وكان شجاعاً، وكان من فُرْسانِ عُبَيْدِ الله بنِ الحُرِّ، ففي ذلك يقولُ الشاعرُ:

تـركتم فتَى الفِتْيَـانِ أَحْمَـرَ طَيِّىءٍ بِسَاباطَ لم يَعْطِفْ عليه خَليـلُ[4]

ثم خرجوا عامِدِين إلى الكُوفَةِ، فلما خالَطُوا سَوادَهـا، ووَالِيها الحـارثُ القُباعُ[5]، فتثاقَلَ[6] عن الخرُوجِ، وكان جَباناً، فَذَمَـرَهُ[7] إبـراهيم بنُ الأَشْتَرِ،

---

(١) بهامش الأصل ما نصُّه: «زاد المدائنيُّ:

تـطأ الـسـنـابـك خَـرْءَه في مـأزقٍ ضَـيْـقٍ يـضـيـقُ بـه الجـبـان ذراعـا
فـرجـعـت حـين دعـاك غـير مـعـمَّـم تحـمـي وكـنـت لمـثـلهـا رجّـاعـا

(٢) في د وي وهـ: وولِي.

(٣) في الأصل: أنت.

(٤) أورد بهامش الأصل بيتاً بعده وهو:

ولـو كـنـت مـن خـلّانـه لحـمـيـتـه ولـكـن خـلّان الـصـفـاء قـلـيـلُ

(٥) في أ: الحارث بن عبد الله القباع.

(٦) قوله «فتثاقل» كذا وقع بزيادة «الفاء» وهو جواب «لمّا»، وأخشى أن تكون زيادة من الرواة، فقد وقعت في جواب «لما» في بعض النسخ فيما سلف من هذا الكتاب ص ١٠٩٩، ١١٠٧، وفي جميع النسخ ص ٦٧٧. =

ولامَهُ الناسُ، فَخَرج متحامِلاً حتّى أتى النُّخَيْلةَ، ففي ذلك يقولُ الشاعرُ:

إن الـقُبـاعَ سـار سَـيْـراً نُـكْـرَا يَـسِـيـرُ يـومـاً ويُـقِـيـمُ شَـهْـرَا

وجعل يَعِدُ الناسَ بالخروج ولا يخرجُ، والخوارجُ يَعِيبُون[1]، حتى أَخَذُوا امرأةً فقَتَلُوا أباها بين يَدَيْها، وكانت جميلةً، ثم أرادوا قتلَها، فقالتْ: أتقتلون مَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْيَةِ وهو في الخِصَامِ غيرُ مُبِينٍ؟! فقال قائلٌ منهم: دَعُوها، فقالوا: [٦٤٦] قد فَتَنَتْكَ، ثم قَدَّمُوها فقَتَلُوها، وقَرَّبوا[2] أُخرى، وَهُمْ بِحذَاءِ القُباعِ، والجِسْرُ معقودٌ بينهما، فقَطَعه القُبَاعُ، وهو في ستة آلافٍ، والمرأةُ تستغيثُ به[3] وهي[4] تقولُ: عَلامَ تَقْتُلُونني؟ فوالله ما فَسقْتُ ولا كَفَرْتُ ولا ارْتَدَدْتُ! والناسُ يَتَفَلَّتُونَ إلى الخوارج، والقُبَاع يَمْنَعُهم، فلما خاف أنْ يَعْصُوه أمر عند ذلك بقطع الجِسْرِ، فأقام بين دَبِيرى وَدَباها[5] خمسةَ أيامٍ، والخوارجُ بقُرْبِه، وهو يقول للناس في كل يومٍ: إذا لَقِيتُم العدوَّ غداً فأَثْبِتُوا أقدامَكم وآصبِرُوا، فإن أَوَّلَ الحرب التَّرَامي[6]، ثم إشْراعُ الرِّماح، ثم السَّلَّةُ[7]، فَثَكِلَتْ رجلاً أُمُّهُ فَرَّ من الزَّحْفِ[8]! فقال بعضُهم لمّا أكثر عليهم: أمَّا الصَّفَّةُ فقد سَمِعْناها، فمتى يَقَعُ الفعلُ؟! وقال الراجزُ:

= وقد وقعت الفاء زائدة في جواب لما في قول الشاعر:

لـمـا اتّـقـى بـيـد عـظـيـم جـرمـهـا فـتـركـت ضـاحـي جـلدهـا يـتـذبـذبُ

وانظر مغني اللبيب ٢٢٠ وشرح أبيات مغني اللبيب ٤/ ٥٤. وقد أفدت من كلام دي غوبه في جزء التعليقات ص 172.

(٧) أي لامه وحضّه.

(١) في الأصل و ب و س و د و ي و هـ: «يَفْشون». وفي ف و ظ: «يعيبون»، وهو تصحيف.

(٢) في أ: ثم قربوا. وفي ب و ي: وقدّموا.

(٣) ليس في هـ.

(٤) ليس في أ.

(٥) في أ: «بين دباها ودبيرى». وهما قريتان من قرى العراق. انظر معجم البلدان. ٢/٤٣٧، ٤٣٨.

(٦) في الأصل و ي: فإنّ الحرب أولها الترامي.

(٧) السلّة: استلالُ السيوف.

(٨) في هـ: فثكلته أمه من فر من الزحف.

إنَّ القُبَاعَ سار سَيْراً مَلْسَا بين دَبَاهَا ودَبِيرَى خمسا[1]

فأخذ الخوارجُ حاجتهم، وكان شأنُ القُبَاعِ التَّحَصُّنَ منهم، ثمَّ انصرفوا ورجع إلى الكوفة، وصاروا من فورهم إلى أَصْبَهانَ، فبعثَ عَتَّابُ بنُ وَرْقَاءَ إلى الزُّبير بنِ عليٍّ: أنا آبنُ عَمِّكَ، ولستُ أراكَ تَقْصِدُ في آنْصِرَافِكَ من كل حربٍ غيري. فَبَعَثَ إليه الزُّبير: إنَّ أَدْنَى الفاسقينَ وأبعدَهم في[2] الحقِّ سَواءٌ.

وإنما سُمِّيَ الحارثُ بنُ عبد الله بنِ أبي ربيعةَ القُبَاعَ[3] لأنه وَلِيَ البصرةَ فَعيَّرَ على الناسِ مَكاييلَهم، فنَظَر إلى مكيالٍ صغيرٍ في مَرْآةِ العَيْنِ قد[4] أحاط بدقيقٍ آستكثره، فقال: إنَّ مكيالكم هذا لَقُبَاعٌ. و«القُبَاعُ» الذي يُخْفِي أو يَخْفَى ما فيه، يقال: آنْقَبَعَ الرجلُ: إذا آسْتَتَرَ، ويقال للقُنْفُذِ القُبَعُ، وذلك أنَّه يَخْنِسُ رأسَه.

[٦٤٧] فأقام[5] الخوارجُ يغادُونَ عَتَّابَ بن وَرْقَاءَ القتالَ ويُرَاوِحُونَه، حتى طال عليهم المُقامُ، ولم يَظْفَرُوا[6] بكبير، فلما [١/٢٥٧] كَثُرَ عليهم ذلك[7] آنْصَرَفُوا لا يَمُرُّون بقريةٍ بين أَصْبَهَانَ[8] والأَهْوازِ إلَّا آسْتَبَاحُوها وقَتَلُوا من فيها.

***

(١) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: قال أبو زيد: المَلْسُ: السَّيْرُ الشَّدِيدُ. وقال غيرُه: هو السريعُ السهلُ. وقال ابن الأعرابيّ: يقال: مَلَسَ هارباً: إذا ولَّى مسرعاً. وقال ابن شاذان: المَلْسُ: مصدرُ مَلَسَ الشيءُ يَمْلُسُ مَلْساً: إذا آنْخَنَسَ، ومنه قولهم: ناقة مَلْسى: سريعةٌ».

والبيتان في البلدان ٢/٤٣٧، ٤٣٨ ورواية الثاني فيه:

بين دبيرى ودباها خمسا

(٢) في أ: من.

(٣) في أ: «.. الحارثُ بن عبد الله القباع» وفي هـ: «قال أبو العباس وإنما سمّي القباع».

(٤) ليس في س و د. وفي أ و هـ: وقد.

(٥) في أ: وأقام. وفي س و ف: قال أبو العباس فأقام.

(٦) زاد في أ: «منه». وفي هـ: طال عليهم القتال ولم يظفروا بكثير.

(٧) ليس في ي. وفي أ و ب و د و ظ و هـ: ذلك عليهم.

(٨) في أ و س و ف و هـ: أصفهان. وبهامش أ كما في المتن.

وشاوَرَ المُصْعَبُ الناس فيهم[1]، فـاجْتَمَعَ[2] رأيُهم على المهلَّب، فبلغ الخوارجَ مُشَاوَرَتُهُ[3]، فقال لهم قَطَرِيٌّ: إنْ جاءكم عَتَّابُ بنُ وَرْقَاءَ فهو فاتِكٌ يَطْلُعُ في أوَّلِ المِقْنَب[4] ولا يَظْفَرُ بكَبِيرٍ، وإنْ جاءكم عُمَرُ بن عُبيد الله ففارِسٌ يُقْدِمُ، فإمَّا عليه وإمَّا له[5]، وإنْ جاءكم المهلَّبُ فرجلٌ لا يُنَاجِزُكمْ حتى تُناجِزُوه، ويأخذُ منكم ولا يعطيكم، فهو البَلاءُ اللاَّزِم، والمكروهُ الدائمُ.

وعَزَم المُصْعَبُ على توجيه المهلَّب، وأنْ يَشْخَص هو لحربِ عبدِ الملك فلما أَحَسَّ به الزُّبيرُ بنُ عليٍّ خرج إلى الرَّيِّ، وبها يزيدُ بنُ الحارثِ بنِ رُوَيْمٍ[6]، فحارَبَه ثم حَصَره، فلما طال عليه الحصارُ خرج إليه، فكان الظَّفَرُ للخوارج، فقُتِلَ يزيدُ بنُ رُوَيْمٍ، ونادَى يومئذٍ آبنَه حَوْشَباً ففرَّ عنه وعن أُمِّه لَطِيفةَ، وكان عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام دخلَ على الحارثِ بنِ رُوَيْمٍ يعود آبنَه يزيدَ، فقال له: عندي جاريةٌ لطيفةُ الخدمةِ أبعثُ بها إليك. فسماها يزيدُ لَطِيفةَ، فَقُتِلَتْ معه يومئذٍ، ففي ذلك يقول الشاعرُ:

مَـوَاقفُنا في كـلِّ يـومٍ كَـرِيهـةٍ ... أَسَـرُّ وأشْفَى مِنْ مَـواقِفِ حَـوْشَبِ
دعـاه يـزيـدٌ والـرِّمـاحُ شَـوَارِعٌ ... فلم يَسْتَجِبْ بَـلْ رَاغ تَـرْوَاغَ ثَعْلَبِ
ولـو كـان شَهْمَ النَّفْسِ أوْ ذَا حَفيـظةٍ ... رأى ما رأى في الموتِ عيسى بنُ مَصْعَبِ[7]

---

(١) ليس في أ.

(٢) في أ و هـ و س: فأجمع.

(٣) في أ: مشورته. وبهامشها ما نصُّه: «ابنُ شاذان: المَشُورَةُ مَفْعُلَةٌ، واشتق من الإشارة، ويقال أشرت عليه بكذا إشارة».

(٤) المقنب: جماعة الخيل.

(٥) في أ و ف و س: فإما له وإما عليه.

(٦) في أ و ب و س: «رؤيم» بالهمز. وكذا ضبطه الشيخ المرصفي في رغبة الآمل ٨/٤٤، ولم يسمّ مصدره.

(٧) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: يقال: رجل شَهْمٌ بَيِّنُ الشَّهَامَةِ والشُّهُومَةِ: إذا كان حاداً ذكياً». وقد سلف هذا البيت وحده ص ٦٦٠.

وقد مَرَّ خبرُ عيسى بنُ مُصْعَبٍ مُسْتَقْصىً[1]. وقال آخر[2]:

[٦٤٨] نَـجَّى حَـلِيـلَتَـهُ وأسْـلَمَ شَـيْـخَـهُ نَصْبَ الأَسِنَّةِ حَـوْشَبُ بنُ يَـزِيـدِ

وقال ابنُ حوشبٍ لبلالِ بنِ أبي بُرْدةَ يُعَيِّرُه بأُمِّه ـ وبلالٌ مَشدودٌ عند يوسفَ ابنِ عُمَرَ ـ : يابْنَ حَوْراءَ! فقال بلالٌ ـ وكان جَلْداً ـ : إنَّ الأَمَةَ تُسَمَّى حَوْراءَ وَجَيْداءَ ولَطِيفةَ!! وزَعَم الكَلْبِيُّ أنَّ بلالاً كان جَلْداً حين[3] ابْتُـلِيَ ـ قال الكلبيُّ: ويُعْجِبُني أَنْ أَرَى الأَسيرَ جَلْداً ـ قال[4]: وقال خالدُ بنُ صفوانَ له بحضرةِ يوسفَ ابنِ عُمَرَ[5]: الحمد لله الذي أزال سُلطانَكَ، وهَدَّ رُكْنَك، وغَيَّرَ حالَك، فواللهِ لقد كنتَ شديدَ الحِجَابِ، مُسْتَخِفّاً بالشَّرِيف، مُظْهِراً للعَصَبِيَّةِ! قال[6]: فقال له بلالٌ: إنَّما طالَ لسانُك يا خالدُ لثلاثٍ معك هُنَّ عليَّ: الأمرُ عليك مُقْبِلٌ وهو عني مُدْبِرٌ، وأنت مُطْلَقٌ وأنا مأسورٌ، وأنت في طِينَتِكَ وأنا في هذا البلد غريبٌ. وإنما جَرَى[7] إلى هذا لأنَّهُ يقال: إنَّ أصلَ آلِ الأَهْتَمِ من الحِيرَةِ، وإنَّهم أُشابةٌ[8] دخلتْ في بني مِنْقَرٍ، من الرُّومِ.

***

(١) انظر ما سلف ص ٦٥٩ ـ ٦٦٠.
(٢) في ف و ي: الآخر.
(٣) في أ و ب و س و هـ: حيث.
(٤) في الأصل: أن أرى الأسير جلداً إذا امتحن قال: وفي ف: جلداً حيث قال وقال الخ.
(٥) «ابن عمر» من الأصل و ي.
(٦) ليس في أ و ي.
(٧) كذا في أ وحدها. وفي سائر النسخ: «أجْرى». ولم ينصوا إلا على جرى لازماً.
(٨) الأشابة: الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحداً. عن رغبة الآمل ٤٦/٨.

ثُمَّ انْحطَّ الزُّبير بنُ عليٍّ[1] عَلَى إِصْبَهَانَ[2] فَحَصَرَ بها عَتَّابَ [٢/٢٥٧] بنَ وَرْقَاءَ الرِّياحيَّ سبعةَ أشهرٍ، وعتَّابٌ يُحَارِبُه في بعضهنَّ، فلما طال به الحِصارُ قال لأصحابه: ما تَنْتَظِرُون؟ والله ماتُؤْتَوْنَ من قِلَّةٍ، وإنَّكم لفُرْسانُ عشائِرِكم، ولقد حارَبْتُمُوهم مراراً فانْتَصَفْتُم منهم، وما بَقِيَ مع هذا الحصارِ إلَّا أَنْ تَفْنَى ذخائِرُكم، فيموتَ أحدُكم فيَدْفِنَه أخوه، ثم يموتَ أخوه فلا يَجِدُ مَن يَدْفِنُه، فقاتِلوا القومَ وبكم قوةٌ مِن قَبْل أن يَضْعُفَ أحدُكم عن[3] أن يَمْشيَ إلى قِرْنِه!! فلما أصبحَ الغدَ، صلَّى بهم الصبحَ، ثم خرج بهم[4] إلى الخوارج وهم غَارُّونَ، وقد نَصَبَ لِوَاءً لجاريةٍ له[5] يقال لها يَاسِمِينُ، فقال: مَن أرادَ البقاء فلْيَلْحَقْ بلواءِ يَاسِمِينَ! ومَن أرادَ الجهادَ فليَخْرُجْ مَعِي. فَخَرج[6] في ألفين وسَبْعِمِائَةِ فارسٍ، فلم تَشْعُرْ[7] بهم الخوارجُ حتى غَشُوهُمْ، فقاتَلوهم بِجِدٍّ لم تَرَ[8] الخوارجُ منهم مثله، فعَقَرُوا منهم خَلقاً كثيراً[9]، وقَتَلوا الزُّبيرَ بنَ عليٍّ، وانهزمت الخوارجُ، فلم يَتْبَعْهُم عَتَّابٌ، ففي ذلك يقولُ القائلُ[10]: [٦٤٩]

ويَـوْمٌ بِـجَـيٍّ تَـلَافَـيْـتَـهُ ولـولاكَ لَاصْـطُلِمَ العَسْكَـرُ[11]

قال أبو العباس: نُفَسِّرُ قوله «لولاك» في آخر هذا الخبر[12] إن شاء الله.

---

(١) «الزبير بن عليّ» من أ و هـ.
(٢) في أ و س و هـ: أصفهان.
(٣) ليس في س و ي. وفي الأصل: عن المشي. وبهامشه كما في المتن.
(٤) ليس في أ.
(٥) من أ و هـ.
(٦) في الأصل: فخرجوا.
(٧) في ر و هـ: يشعر.
(٨) في الأصل و أ و ب و د و هـ: ير.
(٩) من الأصل و ف و ظ.
(١٠) في أ: الشاعر.
(١١) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: أصْلُ الصَّلْم قَطْعُ الأذن، يقال: صَلَم أُذنَه، واصْطَلَمَها بصطلمها صَلْماً».
(١٢) كذا في أ. وفي سائر النسخ: في آخر هذا الباب. وقوله «قال أبو العباس... الخبر» ليس في هـ.

وقال رجلٌ من بني ضَبَّةَ[1]:

خَـرَجْتُ مِنَ المـدينـةِ مُسْتَمِيتاً ... ولـم أَكُ في كَتِيبَـةِ يـاسِمينـا
أَلَيْسَ مِنَ الفَضَـائِـل أنَّ قَـوْمِي ... غَـدَوْا مُسْتَلْئِمِينَ مُـجـاهِـدِينَـا

وتزعمُ الرُّواةُ أنَّهم في[2] أيام حِصارِهم يَتَوَاقَفُونَ، ويَحْمِلُ بعضُهم على بعضٍ، وربما كانت مُواقفةٌ لغير[3] حربٍ. وربَّما آشتدَّتِ الحربُ بينهم، وكان رجلٌ من أصحاب عَتَّابٍ يقال له شُرَيحٌ، ويُكْنَى أبا هُرَيْرَةَ، إذا تَحاجَزَ القومُ مع المَسَاءِ نَادَى بالخوارج وبالزُّبير بن عليٍّ[4]:

يـآبنَ أبي المَـاحُـوزِ والأَشْـرارِ ... كَـيْفَ تَـرَوْنَ يـا كِـلَابَ النَّـارِ
شَـدَّ أبِـي هُـريـرةَ الـهَـرَّارِ ... يَـهُـرُّكُـمْ بـالَّـيْـلِ والنَّـهـارِ[5]
ألم تَـرَوْا جَيَـاً عَلَى المِضمـارِ ... تُمْسِي من الـرحمن في جُـوَارِ[6]

فَغَاظَهُمْ ذلك منه، فَكَمَنَ له عُبَيْدَةُ[7] بنُ هلالٍ فضَرَبه، وآحْتَمَلَهُ أصحابُه، فظَنَّتِ الخوارجُ أنه قد قُتِلَ، فكانوا إذا تَواقَفُوا نادَوْهُمْ: ما فَعَل الهرَّارُ؟ فيقولون: ما به مِنْ بأسٍ، حتى أَبَلَّ من عِلَّتِهِ، فخرج إليهم فقال[8] يا أعداء الله أَتَرَوْنَ بي

---

(١) زاد في أ: في تلك الوقعة.
(٢) ليس في الأصل.
(٣) في أ: بغير.
(٤) «ابن علي» من أ وحدها.
(٥) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: هَرُّ الكلبُ والذئبُ يَهِرُّ هريراً: إذا كَشَّر. وهَرَّ الرجلُ الشيءَ: إذا كَرِهَه».
(٦) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: المِضْمارُ: الغايةُ، يقال: جرى في مضماره. والمضمار أيضاً: الموضعُ الذي يُضَمَّر فيه الفرس».
(٧) في ي: «عَبِيدة» بفتح العين. انظر ما سلف ص ١١٨٣.
(٨) في أ: فصاح. وبهامشها كما في المتن.

بأساً؟ فصَاحُوا به: قد كُنَّا نُرَى أنَّك لَحِقْتَ[1] بأُمِّكَ الهَاوِيَةِ النَّارِ[2] الحاميةِ.

***

قال أبو العباس: نُفَسِّرُ[3] أشياءَ من العربية تحتاجُ إلى الشرح. من ذلك قوله «لَوْلَاكَ»[4]، ومنه[5] قولُه «ألم تَرَواْ جَيّاً» ومنه[5] قولهُ «يَهُرُّ كُمْ باللَّيل والنهارِ».

أمَّا قوله «لَوْلَاكَ» فإنَّ سِيبويه يَزْعَمُ[6] أنَّ «لَوْلَا» تَخْفِضُ المُضْمَرَ ويَرْتَفِعُ [٦٥٠] بعدَها الظَّاهرُ بالابتداء، فيقالُ: إذا [١/٢٥٨] قلتَ: «لولاكَ» فما الدليلُ على أنَّ الكافَ مخفوضةٌ دونَ أن تكونَ منصوبةً، وضميرُ النَّصب كضمير الخفضِ؟ فيقُولُ[7]: إنَّك تقولُ لنفسك: «لولايَ»، ولو كانت منصوبةً لكانت[8] النونُ قبل الياء، كقولك «رماني وأعطاني»، وقال الشاعر وهو يَزِيدُ بنُ الحَكَم الثَّقَفِيُّ[9]:

وكَمْ مَوْطِنٍ لولاي طِحْتَ كما هَوَى بأَجْرامِه مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنهَوِي[10]

«النِّيقُ»: أعلَى الجَبَل، و«جِرْم» الإنسان: خَلْقُهُ.

---

(١) في ب و ف و هـ: قد لحقت.

(٢) في أ و هـ: في النار.

(٣) في الأصل و ظ: تفسيرُ. وفي هـ: تفسير أشياء مرت من العربية إلخ.

(٤) في أ: ولولاك.

(٥) في الأصل و ف و ظ و ي: «ومنها».

(٦) انظر الكتاب ١/٣٨٨ - ٣٨٩.

(٧) في الأصل و ظ و أ س و د: «فتقول» وهو تصحيف. وقوله فيقول يعني سيبويه.

(٨) كذا في أ و هـ. وفي سائر النسخ: كانت.

(٩) في أ: قال يزيد بن الحكم الثقفي. وفي هـ: «قال الشاعر» فقط.

والبيت في شعر يزيد في شعراء أمويون ٣/٢٧٦. وهو من شواهد الكتاب ١/٣٨٨، والخزانة ٢/٤٣٠. والكلمة في الخزانة ١/٤٩٦، وبعضها في سمط اللآلي ٢٣٧ - ٢٣٩.

(١٠) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: قال الخليلُ: الطائحُ: الهالكُ المشرفُ على الهلاك، وكلُّ شيء ذهب فقد طاح يطيح طيحاً وطَوْحاً، لغتان» اهـ.

فيقالُ له: الضميرُ[1] في موضع ظاهرٍ[2]، فكيف يكونُ مختلفاً؟ وإن كان هذا جائزاً فَلِمَ لا يكونُ في الفعل وما أشبهه نحو «إنَّ» وما كانَ معها في الباب؟[3]

وزَعَم الأَخْفَشُ[4] أنَّ الضميرَ مرفوعٌ، ولكنْ وافَقَ ضَمِيرَ الخفض، كما يَسْتَوِي الخفضُ والنصبُ[5]. فيقالُ: فهل هذا في غيرِ هذا الموضع؟!

قال أبو العباس: والذي أقولُه[6] أنَّ هذا خطأٌ، لا يَصْلُح أن تقولَ إلَّا «لولا أنتَ»[7]، قال[8] الله عزّ وجلَّ: ﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾[9] ومن خالفَنا فهو لا بُدَّ يزعمُ[10] أنَّ الذي قلناه أَجْوَدُ، ويَدَّعِي الوجَه الآخرَ فيُجيزُه على بُعْدٍ[11].

وأمَّا «جَيٌّ» فالأَجْوَدُ فيها أن تقولَ:

ألم تَرَوْا جَيَّ عَلَى المِضْمَارِ

فلا تُنَوِّنَ، لأنها مدينَة[12]، والاسمُ أعجميٌّ، والمؤنَّثُ إذا سمي بأسمٍ أعجميٍّ على ثلاثة أحرفٍ لم ينْصَرِف إذا كَان مؤنثاً وإن كان أوسطه ساكناً نحوُ جُورَ وحِمْصَ ومَاهَ[13] وما كان مثلَ ذلك، ولو كان أسماً لمذكَّرٍ لانْصَرَفَ، فإن[14]

---

(١) في الأصل: «فالضمير» وعليه «ع» يعني رواية أبي علي. وبهامشه كما في المتن.

(٢) في أ: ظاهره.

(٣) قوله «وجرم... في الباب» ليس في هـ.

(٤) زاد في أ: «سعيد».

(٥) في هـ: ولكن يستوي ضمير الخفض والرفع كما يستوي ضمير الخفض والنصب.

(٦) في ب و هـ: أ قول. وفي د: أ قول بأنّ.

(٧) في أ و ب و س و ي: «لا يصلح إلا أن تقول لولا أنت».

(٨) في أ و هـ: كما قال.

(٩) سورة سبأ: ٣١.

(١٠) في أ و ب و س و هـ: ومن خالفنا يزعم.

(١١) في أ و ب و س: على بعده.

(١٢) بناحية أصبهان القديمة. معجم البلدان ٢/٢٠٢.

(١٣) ليس في أ و ب. وجُورُ: مدينة بفارس، وماهُ قصبة البلد أي بلد كان. انظر معجم البلدان ٢/١٨١ و٥/٤٨.

(١٤) في الأصل وب ود: وإن.

صَرَفْتَ[1] جعلتَه آسماً لبلدٍ ، وإن لم تَصْرِفْ جعلتَه اسمألبلدةٍ أو لمدينةٍ، ألا تَرَى أنَّك تصرفُ[2] نُوحاً ولوطاً، وهما أعجميَّانِ؟ وكذلك لو كَان على ثلاثةِ أحرف كلُّها [٦٥١] متحركٌ، لأنك تَصْرِفُ «قَدَماً» لو سمَّيْتَ بها[3] رجلاً، فالأعجميُّ بمنزلة المؤنَّث، لأنَّ امتناعَهما واحدٌ.

وأمَّا قولُه «يَهُـرُّكُمْ» فإنَّ كلَّ ما كان من المضاعَفِ على ثلاثة أحرفٍ وكان[4] متعدِّياً فإنَّ المضارِعَ منه على «يَفْعُلُ» نحو شَدَّهُ يَشُدُّه[5]، ورَدَّه يَرُدُّه، وحَلَّه يَحُلُّه. وجاء منه حرفانِ على «يَفْعِلُ»، و«يَفْعُلُ» فيهما جَيِّدٌ: هَرَّه[6] يَهِرُّه: إذَا كَرِهه، ويَهُرُّه أَجْوَدُ، وعَلَّهُ بالحِنَّاءَ يَعِلُّهُ، ويَعُلُّهُ أَجْوَدُ. ومَن قال حَبَبْتُهُ قال يَحِبُّهُ لا غيرُ، وقرأ أبو رَجَاءٍ العُطارِدِيُّ ﴿ فاتَّبِعُوني يَحِبِّكُمُ الله ﴾[7] وذلك أنَّ بني تميمٍ تَدَّغِمُ في موضعِ الجزمِ وتُحَرِّكُ أواخِرَه لالتقاءِ الساكنَيْنِ.

***

رجع الحديث

قال أبو العباس[8]: ثُمَّ إنَّ الخوارجَ ائتَمَرُوا أمرَهم بينهم[9]، فأَرَادُوا تولِيَةَ عُبَيْدَةَ[10] بنِ هلالٍ، فقال: أَدُلُّكُمْ على مَنْ هو خيرٌ لكم مِنِّي، مَنْ يُطاعِنُ في

---

(١) في أ و د: صرفته. وفي هـ: صُرِف.

(٢) في أ: تصرفه.

(٣) في الأصل و أ و ب و س و د و هـ: «به» وبهامش الأصل كما في المتن.

(٤) في ب و س و د و ف: فكان. وقد أعاد هنا نحو قاله ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

(٥) زاد في أ: وزرّه يزرّه. وجاء يَشِدُّه بالكسر، انظر أدب الكاتب ٤٧٩.

(٦) في أ و ف وظ: نحو هرّه.

(٧) سورة آل عمران: ٣١. وقد سلف التعليق على القراءة ص ٤٣٨.

(٨) «قال أبو العباس» ليس في أ و د و ي و هـ

(٩) ليس في الأصل و ف و ظ و ي.

(١٠) في ب و ي: «عَبِيدة». وانظر ما سلف ص ١١٨٣.

قُبُلٍ، ويَحْمِي في دُبُرٍ، عليكم قَطَرِيُّ بنَ الفُجاءَةِ المازنيُّ. فبايَعُوه، فوقَفَ بهم، فقالوا: يا أميرَ المؤمنينَ، امْضِ بنا إلى فارِسَ، فقال: إنَّ بفارِسَ عُمرَ بنَ عُبيد الله ابنِ مَعْمَرٍ، ولكنْ نَصِيرُ إلى [٢/٢٥٨] الأهواز، فإنْ خرجَ مُصْعَبُ بنُ الزبير من البصرة دخلناها. فأَتَوُا الأهوازَ، ثم تَرَفَّعُوا عنها إلى إيذَجَ[١]. وكان المُصْعَبُ[٢] قد عَزَم على الخروج إلى باجُمَيْرَا[٣]، فقال لأصحابه: إنَّ قَطَرِيّاً قد أَطَلَّ علينا، وإنْ خرجنا عن البصرة دخلَها، فَبَعَثَ إلى المهلَّب فقال: اكْفِنَا هذا العدوَّ، فخرج إليهم المهلَّبُ، فلما أَحَسَّ به قطريٌّ يَمَّمَ[٤] نحو كَرْمانَ، وأقام[٥] المهلَّبُ بالأهوازِ، ثم كَرَّ عليه قَطَرِيٌّ[٦] وقد آستعدَّ، فكان الخوارجُ في جميع حالاتِهم[٧] أحسنَ عُدَّةً ممَّن يقاتلُهم، بكثرة السِّلاح، وكثرةِ الدوابِّ، وحَصَانَةِ الجُنَنِ، فحارَبَهم المُهَلَّبُ فنفاهم[٨] إلى رامَ هُرْمُزَ.

وكان الحارثُ بنُ عَمِيرةَ الهَمْدانيُّ قد صارَ إلى المهلَّبِ مُراغِماً لِعَتَّاب بن وَرْقاءِ، يقالُ: إنَّه لم يُرْضِهِ عن قَتْلِه الزبيرَ بنَ عليٍّ، وكان الحارثُ بنُ عَمِيرةَ هو
[٦٥٢] الذي تَوَلَّى قتلَه وخاضَ[٩] إليه أَصْحابَهُ، ففي ذلك يقولُ أَعْشَى هَمْدَانَ:

إنَّ المَكارِمَ أُكْمِلَتْ أسبابُها ... لابنِ اللُّيُوثِ الغُرِّ من قَحْطانِ

---

(١) إيذج: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان. معجم البلدان ١/٢٨٨.
(٢) في أ و هـ: مصعبٌ.
(٣) في الأصل و د و ي: «باجميراء» وهو خطأ. وباجميرا: موضع دون تكريت.
انظر معجم البلدان ١/٣١٤، ومعجم ما استعجم ٢٢٠.
(٤) في أ و هـ: تيمم.
(٥) في أ و ب: فأقام.
(٦) في أ: قطري عليه.
(٧) في د و ي: أحوالهم.
(٨) قوله: «بكثرة السلاح... فنفاهم» ليس في ب و س و ي.
(٩) في أ: وحاص. وهو تصحيف.

للفارسِ الحامي الحَقيقَةِ مُعْلِماً زادِ الرِّفَاقِ إلى قُرَى نَجْرانِ[1]
الحارثِ بنِ عَمِيرةَ الْلَيْثِ الذي يَحْمي العراقَ إلى قُرَى كِرْمانِ[2]
وَدَّ الأزارقُ لو يُصابُ بِطَعْنَةٍ ويَموتُ من فُرْسانهم مِائتَانِ

وَيُرْوَى: زَادِ الرِّفاقِ وفارِسِ الفُرْسانِ

قوله: «زاد الرفاق» تأويلُه[3]: أنَّ الرُّفْقَةَ إذا صَحِبَها أغناها عن التَّزَوُّدِ، كما قال جريرٌ وأرادَ ابنٌ له السَّفَرَ[4]، وفي ذلك السَّفَرِ يحيى بنُ أبي حفصةَ، فقال لأبيه: زَوِّدْنِي، فقال جريرٌ[5]:

أَزاداً سِوَى يَحْيَى تُرِيدُ وصاحباً أَلَا إنَّ يحيى نِعْمَ زَادُ المسافرِ
فما تُنْكِرُ الكَوْماءُ ضَرْبةَ سيفِه إذا أَرْمَلُوا أو خَفَّ ما في الغَرائرِ

وقوله «ويَمُوتُ من فرسانِهم» يكونُ على وجهين: مرفوعاً ومنصوباً، فالرفعُ على العطف، ويدخلُ في التمنِّي، والنصبُ على الشَّرْطِ والخروجِ من العطف، وفي مُصْحَفِ ابن مَسْعُودٍ ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا ﴾ والقِرَاءةُ ﴿ فَيُدْهِنُونَ ﴾[6] على العطف، وفي الكلامِ: ودَّ لو تأتيه فتُحَدِّثُهُ، وإنْ شئتَ نَصَبْتَ الثانيَ[7].

***

(١) في هـ: زاد الرفاق وفارس الفرسان.
(٢) هذا البيت من الأصل و أ. وقد جاء بهامش الأصل مع علامة التصحيح.
(٣) قوله: «ويروى... الفرسان» ليس في أ. وفي هـ: قال أبو العباس: قوله زاد الرفاق وفارس الفرسان تأويله. وقوله: «قوله زاد الرفاق» ليس في ر وفيها «وتأويله أنْ...».
(٤) في أ و س: سفراً.
(٥) ديوانه ق ١/٩٦، ٢ جـ ١/ ٤٥١، وفي الرواية اختلاف.
(٦) سورة القلم: ٩. وانظر البحر ٣٠٩/٨.
(٧) في ف و ظ و ي وهامش الأصل: نصبت الثاء.

وخرج[1] مصعبٌ[2] إلى باجُمَيْرا[3]، ثم أَتَى الخوارجَ خبرُ مَقْتَلِه بمَسْكِنَ، ولم يأتِ المهلَّبَ وأصحابَه، فتَواقَفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارجُ: ما تقولون في المُصْعَب؟ قالوا: إمامُ هُدىً، قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: ضالٌّ مُضِلٌّ. فلما كان بعد يومين أَتَى المهلَّبَ قَتْلُ المُصْعَبِ[4] [١/٢٥٩]، وأنَّ أهلَ الشَّأْمِ[5] قد[6] آجتمعوا على عبد المَلِكِ، وورَدَ عليه كتابُ عبد الملك بولايته، فلما تَواقَفوا ناداهم الخوارجُ: ما تقولون في المصعب[7]؟ قالوا: لا نُخْبِرُكم! قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: إمامُ هُدىً! قالوا: يا أعداء الله! بالأمسِ تقولون[8] ضالٌّ مُضِلٌّ واليومَ إمامُ هُدىً! يا عَبِيدَ الدنيا! عليكم لعنةُ الله!! [٦٥٣]

***

ووَلِي خالدُ بنُ عبدِ الله بنِ أَسِيدٍ[9]، فَقدِمَ فدخل البصرةَ، وأراد[10] عزلَ المهلَّبِ، فأُشيرَ[11] عليه بأن لا يفعلَ، وقيل له: إنَّما أَمِنَ أهلُ[12] هذا المِصْرِ بأنَّ المهلبَ بالأهواز وعُمَرَ بنَ عُبيد الله بفارِسَ، فقد تَنَحَّى عمرُ، وإن نَحَّيْتَ

---

(١) في س و ف: قال أبو العباس وخرج إلخ.
(٢) في هـ: المصعب. وفي أ: مصعب بن الزبير.
(٣) وقع هنا في جميع النسخ «باجيراء» وكان في أ «باجيراء» ثم زيدت الهمزة.
(٤) في أ و هـ: مصعب.
(٥) في د و ف وهامش الأصل: أهل العراق.
(٦) ليس في أ و س.
(٧) في أ و هـ: مصعب.
(٨) ليس في أ و ب.
(٩) كذا وقع، وهو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد. انظر أنساب الأشراف ٤/١/٤٥٨، ٤٦٢ - ٤٧٨.
(١٠) في أ و د و ي: فأراد.
(١١) بهامش أ ما نصّه: «الذي أشار عليه بذلك ابن النعمان بن صُهْبان الراسبيُّ».
(١٢) ليس في الأصل و هـ و ي. وبهامش الأصل كما في المتن.

المهلبَ [1] لم تأمنْ [2] على البصرة الأزارقةَ [3] ، فأبَى إلاَّ عَزْلَهُ، فقَدِم المهلَّبُ البصرةَ، وخرج خالدٌ إلى الأهوازِ، فأشْخَصَه، فلمَّا صار بِكُرْبُجِ دينارٍ لقيه قَطَرِيٌّ فمنعه حَطَّ أثقالِه، وحاربه ثلاثين يوماً، ثم أقام قطريٌّ بإزائه، وخَنْدَقَ على نفسِه، فقال المهلَّبُ: إنَّ قطرياً ليس بأحقَّ بالخندق منك، فعَبَرَ دُجَيْلاً إلى شِقِّ نهر تِيرَى، وأتَّبعه قطريٌّ، فصار إلى مدينةِ نَهْرِ تِيرَى فبَنَى سُورَها وخندقَ عليها، فقال المهلَّبُ لخالد: خَنْدِقْ على نَفْسِك، فإني لا آمَنُ عليك [4] البَيَاتَ، فقال: يا أبا سعيدٍ، الأمْرُ أعْجَلُ من ذلك، فقال المهلبُ لبعض ولده: إني أَرَى أمراً ضائعاً، ثم قال لزيادِ بنِ عَمرٍو: خَنْدِقْ علينا، فَخَنْدَقَ المُهَلَّبُ وأَمَرَ بِسُفُنِهِ فَفُرِّغَتْ، وأَبَى خالدٌ أن يُفَرِّغَ سُفُنَهُ، فقال المهلَّبُ لفَيْروزِ حُصَيْنٍ: صِرْ معنا، فقال: يا أبا سعيدٍ، الحَزْمُ ما تقولُ، غيرَ أني أكرهُ أن أُفارقَ أصحابي، قال: فكُنْ بقُرْبِنَا، قال: أمَّا هذه فنعَم.

وقد كان عبدُ الملك كتب إلى بِشْرِ بنِ مروانَ يأمرُه أن يُمِدَّ خالداً بجيشٍ كثيفٍ، أميرُه عبدُ الرحمن بنُ محمدِ بنِ الأشعَثِ، ففعل، فقَدِمَ عليه عبدُ الرحمن، فأقام قَطَرِيٌّ يُغَادِيهم القتالَ ويُراوحُهم أربعين يوماً، فقال المهلَّبُ لِمَوْلى لأبي عُيَيْنَةَ: انْتَبِذْ إلى ذلك النَّاوُوسِ [5] فبِتْ عليه في كل ليلةٍ، فمتى أَحْسَسْتَ خَبَراً من الخوارج أو حركةً أو صَهيلَ خيلٍ فآعْجَلْ إلينا، فجاءه ليلةً فقال: قد تَحَرَّكَ القومُ، فجلس المهلَّبُ بباب الخندق، وأَعَدَّ قطريٌّ سُفُناً فيها حطبٌ فأشعلَها ناراً وأرسلَها على سُفُنِ خالدٍ، وخَرج في أدْبارِها حتى خالَطَهُمْ، فجعل [6] لا يَمُرُّ برجلٍ إلاَّ

---

(١) في د و ف و ي: وإن تنحّى المهلبُ.

(٢) في الأصل و ب و د و ي: نأمن.

(٣) ليس في أ و هـ.

(٤) من أ وحدها.

(٥) انتبذ: اذهب منفرداً، والناووس: مقابر النصارى. عن رغبة الآمل ٥٤/٨.

(٦) من أ وحدها. وفي هـ: حتى لحقهم لا يمرّ.

قَتَلَه، ولا بدابَّةٍ إلا عَقَرَها، ولا بفُسطاطٍ إلَّا هَتَكَهُ، فأمر المهلَّبُ يزيدَ [٢/٢٥٩] ابنَه[١] فخرج في مائة فارسٍ فقاتَلَ وأبْلَى يومئذٍ، وخرج عبدُ الرحمن بنُ محمدِ بنِ الأشعث فأبْلَى بلاءً حسناً، وخرج فَيْرُوزُ حُصَيْنٍ في مَوالِيه، فلم يَزَلْ يَرميهم [٦٥٤] بالنُّشَّابِ هو ومَنْ معه، فأثَّرَ أثراً جميلاً، فصُرِع يزيد بن المهلَّب يومئذٍ، وصُرِع عبدُ الرحمن فحامَى عنهما أصحابُهما[٢] حتى رَكِبا، وسَقَطَ فَيْرُوزُ حُصَيْنٍ في الخندقِ، فأخذ بيده رجلٌ من الأزدِ فاسْتَنْقَذَهُ، فوهبَ له فَيْرُوزُ[٣] عشرةَ آلاف درهمٍ، وأصبح عسكرُ خالدٍ كأنه حَرَّةٌ سَوْدَاءُ، فجعلَ لا يَرَى إلَّا قَتيلاً أو صَريعاً[٤]، فقال للمهلَّب: يا أبا سعيدٍ، كِدْنا نَفْتَضِحُ، فقال: خَنْدِقْ على نفسِك، فإنْ لم تَفْعَلْ[٥] عادوا إليك، فقال: اكْفِنِي أمرَ الخندقِ، فَجَمَعَ له الأَخْمَاسَ[٦]، فلم يبقَ شريفٌ إلَّا عَمِلَ فيه، فصاح بهم الخوارجُ: واللهِ لولا هذا الساحرُ المَزُونيُّ لكان الله قد دَمَّرَ عليكم. وكانت الخوارجُ تُسَمِّي المهلَّبَ الساحرَ، لأنهم كانوا يُدَبِّرُونَ الأمرَ فيجدونَه قد سَبَقَ إلى نقض تدبيرهم. فقال أَعْشَى هَمْدَانَ لابنِ الأشعثِ في كلمةٍ طويلةٍ:

ويَـوْمَ أَهْـوَازِكَ لا تَـنْـسَـهُ ليس الثَّنَـا والـذِّكْـرُ بـالدَّاثِرِ[٧]

وقد ذَكرنا في قصر الممدودِ، من أن مَدَّ المقصورِ لا يجوزُ، ما يغني عن إعادته[٨].

***

(١) من ف و س. وهو مزيد بين الأسطر في د.

(٢) كذا في أ وهامش الأصل، وعليه بهامش الأصل «ع» يعني رواية أبي عليّ.
وفي الأصل و ي: فحام عليهما، وفي سائر النسخ: فحامى عليهما، وهو تحريف.

(٣) في أ: فيروز حصين.

(٤) كذا في أ و هـ. وفي سائر النسخ: وصريعاً. وفي هـ: أو جريحاً.

(٥) في أ: لا تفعل. وفي هـ: فإنك إن لم تفعل.

(٦) سلف بيانهم ص ١٢٢٣ الحاشية (٤).

(٧) الرواية مغيرة، والصواب «بالبائد» وهو من كلمة في الأغاني ٦/٤٧ ـ ٤٩.

(٨) انظر ما سلف ص ٢٨١، ٣٢٥، ١٠٨٧. وقوله «وقد ذكرنا.. عن إعادته» ليس في هـ. وفي ي: وفي ذكرنا في قصر الممدود إلخ.

ونَذْكُرُ فَيْرُوزَ حُصَيْنٍ لِمَا مَرَّ من ذكره.

وكان فيروزُ حُصَيْنٍ رجلاً جَيِّدَ البيتِ في العجم، كريمَ المَحْتِدِ، مشهورَ الآباءِ، فلما أسلم والَى حُصَيْناً، وهو حُصينُ بنُ عبد الله العَنْبَرِيُّ، من بني العَنْبَرِ ابنِ عَمْرِو بنِ تميم[1]، ثم مِن وَلَدِ طَرِيفِ بنِ تَميم، وكان فيروزُ حُصينٍ شجاعاً جَواداً، نَبيلَ الصُّورة، جهيرَ الصوتِ. وتَرْوِي الرُّواةُ أنَّ رجلاً من العرب كانت أُمُّه فَتاةً، فقاوَلَ بَنِي عمٍّ له، فسَبُّوه بالعَجَمِيَّةِ[2]، ومَرَّ فيروزُ حُصينٍ، فقال: هذا خَالِي، فَمَنْ منكم له خالٌ مثلُه[3]؟ وظَنَّ الفَتَى[4] أنَّ فَيروزَ لم يَسْمَعْها، وسَمِعَها فيروزُ، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى، فاشترى له منزلاً وجاريةً، ووهبَ له عشَرةَ آلافِ دِرْهم.

ومن مآثره المعروفةِ أنَّ الحَجَّاجَ بنَ يوسف[5] لما واقَفَ ابنَ الأَشْعَثِ بِرُسْتَقَابَاذَ[6] نَادَى منادِي الحجاجِ: مَنْ أتاني[7] برأسِ فيروزَ[8] فله عشَرةُ آلافِ درهمٍ، فَنَصَلَ[9] فيروزُ من الصَّفِّ، فصاحَ بالناس: مَنْ عرفني فقد اكتَفَى ومَنْ لم [٦٥٥] يعرفْني فأنا فيروزُ حُصينٍ، وقد عَرَفْتُم مالِي ووفائي، فمَن[10] أتاني[11] بِرَأْسِ

---

(١) في أ: من بني العنبر بن تميم بن مرّ، وفيه سقط وزيادة.
(٢) في الأصل و ف و ظ: فقام بنو عم له. وفي هـ: فقاوله ابن عم له فسبّه بالعجمة.
(٣) في الأصل: فمن كان له منكم خال مثله.
(٤) ليس في أ و ب و س و هـ.
(٥) «ابن يوسف» ليس في أ و ب و هـ.
(٦) من أ و هـ. وزاد في هـ: وكان فيروز مع ابن الأشعث.
(٧) في أ و س و د و هـ: من أتى.
(٨) في ف و س: فيروز حصين.
(٩) في أ و د و هـ: فنصل.
(١٠) في أ و ب: من.
(١١) في أ و د و هـ: أتى.

الحَجَّاجِ فله مائة ألفٍ[1]، قال[2] الحَجَّاجُ: فوالله[3] لَقَدْ تَرَكَنِي أَكْثِرُ التَّلَفُّتَ وإنِّي لَبَيْنَ خَاصَّتي. فأُتِيَ به الحجاجُ فقال له: أأنت الجاعِلُ في رأسِ أميرِك مائةَ ألفِ درهمٍ[4] ؟ قال: قد فعلتُ، فقال: والله لأُمَهِّدَنَّكَ ثم لأَحْمِلَنَّكَ، أينَ المالُ؟ قال: عندي، فهل إلى الحياة من [١/٢٦٠] سبيلٍ؟ قال: لا، قال: فأخرِجْني إلى الناس حتى أَجمعَ لك المالَ فلعلَّ قلبَك يَرِقُّ عليَّ! ففعَلَ الحَجاجُ، فخرج فيروزُ فأَحَلَّ الناسَ من ودائِعه، وأَعْتَقَ رقيقَه، وتَصَدَّق بماله، ثم رُدَّ إلى الحجاج فقال: شأنَكَ الآنَ فآصْنَعْ ما شئتَ، فَشُدَّ في القَصبِ الفارسيِّ، ثُم سُلَّ حتى شُرِّحَ، ثم نُضِحَ بالخلِّ والمِلْح، فما تَأَوَّهَ حتى ماتَ.

ومضَى[5] قَطَرِيٌّ إلى كِرْمانَ، وانصرف[6] خالدٌ إلى البصرة، فأقام قطريٌّ بِكِرْمَانَ أشهراً، ثم عَمَدَ لفارسَ، فخرج[7] خالدٌ إلى الأَهْواز، ونَدَب للناس رجلاً، فَجعلوا يطلبون المهلبَ، فقال خالد: ذَهَب المهلَّبُ بحظِّ هذا المصرِ، إنِّي قد وَلَّيْتُ أخي قِتال الأزارقة، فَوَلَّى أخاه عبدَ العزيز، وآستخلَف المهلَّبَ على الأهواز في ثلثمائة، ومَضى عبدُ العزيز في ثلاثين ألفاً، والخوارجُ بِدَرَابَجِرْدَ، فَجعل عبدُ العزيز يقولُ في طريقه: يَزْعُمُ أهلُ البصرة أن هذا الأمرَ لا يَتِمُّ إلا بالمهلَّبِ، فسيعلمون!

قال صَعْبُ بنُ زيدٍ: فلما خرج عبدُ العزيز عن الأهوازِ جاءني كُرْدُوسٌ حاجبُ المهلبِ فقال: أَجِبِ الأميرَ[8]، فَجئتُ إلى المهلَّب وهو في سطحٍ وعليه

(١) زاد في ي و هـ: درهم.
(٢) في أ و هـ: فقال.
(٣) في أ: والله.
(٤) ليس في أ و هـ.
(٥) في س و ف: قال أبو العباس ومضى إلخ.
(٦) في أ و هـ: فانصرف.
(٧) في أ: وخرج.
(٨) من أ ودْ و ف و ظ.

ثيابٌ هَرَوِيَّةٌ، فقال: يا صَعْبُ، أَنَا ضائعٌ، كأَنِّي أَنظُر إلى هزيمةِ عبد العزيز، وأخشى أن توافِيَنِي الأزارقةُ ولا جُنْدَ معي، فابعثْ رجلاً من قِبَلِك يأتيني بخبرِهم سابقاً إليَّ به[1]، فوجَّهْتُ رجلاً يقال له عمرانُ بنُ فلانٍ[2]، فقلتُ: آصحَبْ عسكرَ عبدِ العزيز وآكتبْ إليَّ بخبرِ يومٍ يومٍ[3]، فجعلتُ أُورِدُه على المهلَّبِ.

فلما قاربَهم عبدُ العزيز[4] وقَفَ وقْفَةً، فقال له الناسُ: هذا يومٌ صالحٌ، فينبغي[5] أن تَنْزِلَ[6] ـ أيُّها الأميرُ ـ حتى نَطمئِنَّ ثم نأخذَ أُهْبَتَنَا، فقال: كلَّا، الأَمرُ قريبٌ[7]، فنَزَلَ الناسُ على غير أمرِه، فلم يُسْتَتِمَّ النُّزُولُ حتى وَرَدَ عليهم سعدُ [٦٥٦] الطَّلائِعِ في خمسمائة فارسٍ، كأنَّهم خَيْطٌ ممدودٌ، فناهضَهم عبدُ العزيز، فواقَفُوه ساعةً، ثم آنهزموا عنه مَكيدةً[8]، فأتَّبعهم، فقال له الناسُ: لاتَتَّبِعْهُم فإنَّا على غير تَعْبِيَةٍ، فأَبَى، فلم يَزَلْ في آثارِهم حتى آقْتَحَمُوا عَقَبَةً، فآقتحمها وراءَهُم، والناسُ يَنْهَوْنَهُ ويأبَى، وكان قد جَعل على بني تميمٍ عَبْسَ بنَ طَلْقٍ الصَّرِيمِيَّ، الملقَّبَ عَبْسَ[9] الطِّعَانِ، وعلى بَكْرِ بنِ وائِلٍ مُقاتِلَ بنَ مِسْمَعٍ القَيْسِيَّ، وعلى شُرْطَتِهِ

---

(١) في أ: به إلي.

(٢) بهامش الأصل ما نصُّه: «عمران بن مُخَيْريز. للمدائنيّ».

(٣) في ف: يوم بيوم.

(٤) في هـ: فلما قام بإزائهم عبد العزيز.

(٥) في ف: هذا منزل فينبغي. وفي هـ: هذا موضع ينبغي.

(٦) في أ: تترك، وهو تصحيف. وفي ف: تنزل فيه.

(٧) في أ: كلا، إلا من قريب، وكذا في هـ وهو تحريف فيهما، ثم صححت بهامش أ فجعلت كما أثبت. وفي ب و س و د و ي: «إلا الأمر قريب» بإقحام «إلا» وهو خطأ، وأغلب الظن أن «الا» من «الأمر» كررت في نسخة قديمة خطأ فتوارثته النسخ.

وما أثبته من الأصل و ظ و هامش أ هو الصواب. وفي ف: إنَّ الأمر قريب.

(٨) في هـ: بمكيدتهم.

(٩) في س: بعبس.

رجلاً[1] من بني ضُبَيْعَةَ بن رَبيعةَ بن نِزَارٍ، فنَزلوا عن العَقبة ونزلَ خَلْفَهم، وكان[2] لهم في بَطْن العقبة كَمينٌ، فلما صاروا وراءَها خرج عليهم الكَمِينُ، وعَطَفَ[3] سعدُ الطَّلائعِ، فَتَرَجَّلَ عَبْسُ بنُ طَلْقٍ[4] فقُتِلَ، وقُتِلَ مُقَاتِلُ بنُ مِسْمَعٍ، وقُتِلَ الضُّبَعيُّ[5] صاحبُ الشرْطةِ، وآنحاز عبدُ العزيز، واتَّبعهم الخوارجُ فرسخين[6] يقتلونَهم كيفَ[7] شاؤوا، وكان عبدُ العزيز قد [٢/٢٦٠] خرج معه بأمّ حَفْصِ بْنَةِ[8] المُنْذِرِ بنِ الجارُودِ آمرأتِهِ، فَسَبَوُا النساءَ يومئذٍ، وأَخَذُوا أَسْرَى لا تُحْصَى، فقَذَفوهم في غارٍ بعدَ أن شَدُّوهم وَثاقاً، ثم سَدُّوا عليهم بابَه حتى ماتُوا فيه.

قال[9] رجلٌ حَضَرَ ذلك اليومَ: رأيتُ عبدَ العزيز وإنَّ ثلاثين رجلاً ليَضْرِبُونه بأسيافهم وما تُحِيكُ في جُنَّتِهِ[10].

يقال ما أَحاكَ فيه السيفُ، ولا يُحِيكُ[11] فيه، وما حَكَّ ذا الأمرُ في صَدْرِي، وما حَكَى في صدرِي[12]، وما آحْتَكى في صدري، ويقال: حاك الرجلُ في مِشْيَتِهِ يَحِيكُ[13]: إذا تَبَخْتَرَ.

---

(١) بهامش الأصل ما نصُّه: «هو هَوَاسةُ بن الحكم أحد بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. اهـ عن المدائنيّ».

(٢) «كان» من أ وحدها.

(٣) في ي: وعطف عليهم.

(٤) في الأصل: عبس الطعان بن طلق.

(٥) في أ: الضبيعي، وهو تحريف.

(٦) في أ و س و د: على فرسخين.

(٧) كذا في أ و هـ. وفي سائر النسخ: «حيث».

(٨) في أ: البنت، وفي ي و هـ: بنت.

(٩) في أ و س و د: وقال.

(١٠) في د: في جنبه، وهو تصحيف. وفي أ: جسده.

(١١) في أ: وما يحيك.

(١٢) «في صدري» من أ و هـ.

(١٣) ليس في أ.

ونُودِيَ على السَّبْيِ يومئذٍ، فَغُولِيَ بأُمِّ حفصٍ، فبَلَغَ بها رجلٌ سبعين ألفاً ـ وذلك الرجلُ من مَجُوسٍ كانُوا أسلموا ولَحِقُوا بالخوارج، ففُرِضَ[1] لكلِّ رَجُلٍ[2] منهم خَمْسُمِائَةٍ ـ فكاد يأخذُها، فشَقَّ ذلك على قَطرِيٍّ وقال: ما ينبغي لرجُلٍ مسلمٍ أن يكونَ[3] عندَه سبعون ألفاً، إنَّ هذه لَفِتْنَةٌ[4]، فَوَثَبَ إليها أبو الحَدِيدِ [٦٥٧] العَبْدِيُّ فقتَلها، فأُتِيَ به قَطَرِيٌّ فقال له[5]: يا أبا الحديد، مَهْيَمْ[6]؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، رأيتُ المؤمنين قد تَزايَدُوا في هذه المُشْرِكَةِ، فَخَشِيتُ عليهم الفِتْنَةَ!! فقال[7] قَطَرِيٌّ: أحسنتَ[8]! فقال رجلٌ من الخوارج[9]:

كفانا فِتْنَةً عَظُمَتْ وجَلَّتْ ... بِحَمْدِ الله سيفُ أبي الحَديدِ
أهابَ المُسْلِمونَ بها وقالوا ... على فَرْطِ الهَوَى: هل مِن مَزيدِ
فزادَ أبو الحديدِ بنَصْلِ سيفٍ ... رَقيقِ الحدِّ فِعْلَ فَتىً رَشيدِ

قوله «أهابَ» يريدُ: أَعْلَنَ، يقال: أَهَبْتُ به: إذا دَعَوتَهُ، مِثْلُ صَوَّتَ به، قال الشاعرُ[10]:

---

(١) في الأصل و ف و ظ و د و ي: «فعرض» وهو تحريف. وضبط «فرض» في ر ببنائه للفاعل، والصواب ببنائه للمفعول وهو ضبط هـ.

(٢) في أ و س: واحد. وفي هـ: ففُرِض لكل رجل منهم في خمس مائة. كذا، وفي أنساب الأشراف: «ففرض لهم الخوارج في خمسمائةٍ خمسمائةٍ» انظر شعر الخوارج ١٣٧ الحاشية (١).

(٣) في الأصل و ب و ي و هـ: تكون.

(٤) في أ: فتنة.

(٥) ليس في الأصل و أ و س و ي و هـ.

(٦) في هـ: مهيم يا أبا الحديد.

(٧) في الأصل: فقال له.

(٨) في ب و س و د: قد أحسنت. وفي أ: قد أصبت وأحسنت.

(٩) شعر الخوارج ١٣٧ ـ ١٣٨.

(١٠) ليس في أ. وسلف البيت ص ٤٤٤.

أهـابَ بـأحـزانِ الفؤاد مُهِيبُ ومـاتَتْ نفوسٌ للهـوَى[1] وقُلوبُ

وقوله «مَهْيَمْ» حرفُ استفهامٍ، معناه[2]: ما الخبرُ وما الأمرُ، فهو دالٌّ على ذلك محذوفُ الخبرِ، وفي الحديث: «أنَّ رسول الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بنِ عَوْفٍ رَدْعَ خَلُوقٍ فقال: مَهْيَمْ؟ فقال: تزوجتُ يا رسولَ الله، قال: أَوْلِمْ ولو بشاةٍ، وكان تَزَوَّجَ على نَواةٍ»[3] وأصحابُ الحديث يقولون[4]: «على نَوَاةٍ من ذَهبٍ، قيمتُها خمسة دراهِمَ»[5]. وهذا خطأ وغلطٌ، العربُ تقول «نَواةٌ» فتَعنِي بها خمسةَ دراهمَ، كما تقول «النَّشُّ» لعشرين درهماً، و«الأُوقِيَّةُ» لأربعين درهماً، فإنَّما هو آسمٌ لهذا المعنى.

وكان العَلاءُ بنُ مُطَرِّفٍ السَّعْدِيُّ آبنَ عَمِّ عمْرِو القَنَا، وكان يحبُّ أن يلقاه في تلك الحروب مبارزةً، فلَحِقَه عمرُو القَنَا وهو منهزم، فضحك عمرٌو وقال متمثلاً:

تَـمَـنَّـانِـي لِـيَـلْقَـانِي لَـقِـيطٌ أعامِ لَكَ آبنَ صَعْصَعَةَ بنِ سَعْدِ [١/٢٦١]

ثم صاح به: انْجُ[6] أبا المُصَدَّى[7]! وكان عمرُو القَنَا يُكْنَى أيضاً أبا المُصَدَّى.

---

(١) في هـ: بالهوى.

(٢) في ف و س: ومعناه.

(٣) الحديث أخرجه البخاريُّ في البيوع برقم ٢٠٤٨، ٢٠٤٩، ومناقب الأنصار برقم ٣٧٨٠، ٣٧٨١، والنكاح برقم ٥٠٧٢، ٥١٥٣، ٥١٥٥، ٥١٦٥(٦٧)، ٥١٦٧. والأدب برقم ٦٠٨٢، والدعوات برقم ٦٣٨٦، ومسلم في النكاح برقم ١٤٢٧ (٧٩ - ٨١)، وابن ماجه في النكاح برقم ١٩٠٧، وأبو داود في النكاح برقم ٢١٠٩، والنسائي في النكاح ٦/١١٩، والترمذي في النكاح برقم ١٠٩٤ والبرّ برقم ١٩٣٣، وأحمد في المسند ٣/١٦٥، ١٩٠، ٢٠٤ - ٢٠٥، ٢٧١. وفي أكثر الروايات: «نواة من ذهب».

(٤) في أ: يروونه.

(٥) انظر غريب الحديث ٢/١٩٠، والنهاية ٥/١٣١.

(٦) في ف و ظ و ي: انج به.

(٧) بهامش الأصل: «الصَّدَى. للمدائنيّ». وفي ف: «الصُّدى».

وهذا البيتُ الذي تمثَّلَ به عمرُو لِيزيدَ[1] بنِ عَمرِو بنِ الصَّعِقِ الكِلابيِّ، يقوله يعني لَقِيطَ بنَ زُرَارةَ، وكَان يَطْلُبُه.

وقوله «أَعَامِ لَكَ» يريدُ: يا عَامِرُ، فَرَخَّمَ، وإنما يريدُ الحَيَّ تعجباً، أي لَكَمْ [٦٥٨] أَعْجَبُ من تَمَنِّيه للقائي، فَدَعَا بني عامِرِ بنِ صعصعةَ، وهم بنو صعصعةَ بنِ معاويةَ بنِ بكرِ بنِ هَوَازِنَ، ويقال: إنّ عامرَ بنَ صعصعةَ هو آبنُ سعدِ بنِ زيدِ مَنَاةَ[2]، لا آبنُ معاويةَ، وإنَّهم ناقِلَةٌ[3] في قَيْسٍ، ولذلك آمْتَنَعَتْ[4] بنو سعدٍ من محاربتهم مع بني تميمٍ يوم جَبَلَةَ، ولذلك أنذرهم كَرِبُ بنُ صَفْوانَ.

وهذا البيتُ وضَعه سيبويه في باب النداءِ الذي معناه التعجُّبُ[5]، وشَبيهٌ به قولُ الصَّلَتانِ العَبْدِيِّ[6]:

فيا شاعِراً لا شاعرَ اليومَ مِثْلُه جَريرٌ ولكن في كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ

على معنَى قوله: فلله دَرُّهُ شاعِراً.

وكان العَلاءُ بنُ مُطَرِّفٍ قد حملَ معه آمرأتين له، إحداهما من بني ضَبَّةَ يقال لها أمُّ جميلٍ، والأخرى بنتُ عمه، وهي فلانةُ بنتُ عَقِيلٍ فطلَّق الضَّبِيَّةَ وتخلَّصَ بهما[7] يومئذٍ، وحَمَل الضَّبِيَّةَ أوَّلاً، ففي ذلك يقولُ:

---

(١) البيت في الكتاب ١/٣٢٩ لشريح بن الأحوص الكلابي، وهو عند الأعلم: الأحوص أبو شريح؟.

(٢) في أ: «ابن زيد مناة بن تميم». وانظر النقائض ٦٥٧، ١٠٦٤.

(٣) في الأصل و هـ: نافلة، وهو تصحيف. والناقلة: القبيلة تنتقل من قوم إلى قوم.

(٤) في أ: تمنعت.

(٥) في أ و س: الذي معناه معنى التعجب. وعنوان الباب في الكتاب: «هذا بابٌ من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء..».

(٦) البيت من شواهد الكتاب ١/٣٢٨، وهو من كلمة للصلتان في الشعر والشعراء ٥٠٠ ـ ٥٠١، والخزانة ١/٣٠٤ ـ ٣٠٨.

(٧) زاد في ب و د و ي: جميعاً.

أَلَسْتُ كَـريمـاً إذْ أقـولُ لِفِتْيَـتِي قِفُـوا فآحْمِلُوهـا قبـلَ بنتِ عَقِيـلِ
ولو لم يكن عُودِي نُضَاراً لأَصْبَحَتْ تُجَـرُّ[1] على المَتْنَيْنِ أمُّ جميـلِ

***

قال الصَّعْبُ بن زيد[2]: بعثني المهلَّبُ لآتِيَهُ بالخبر، فضَرَبْتُ[3] إلى قنطرةِ أَرْبُكَ[4] على فرسٍ اشتريتُه بثلاثةِ آلافِ درهمٍ، فلم أُحِسَّ[5] خبراً، فَسِرْتُ مُهَجِّراً إلى أن أَمْسَيْتُ، فلمَّا أظْلَمْنَا سمعتُ كلامَ رجلٍ[6] عَرَفْتُه من الجَهـاضِمِ[7]، فقلتُ: ما وراءَك؟ فقال: الشَّرُّ، قلتُ: فأين عبدُ العزيز؟ قال[8]: أمامَكَ، فلما كان مِن آخِرِ الليلِ إذا أنا بزُهاءِ خمسين فارساً معهم لواءٌ، فقلتُ، لِوَاءُ[9] مَن هذا؟ قالوا[10]: لواءُ[11] عبدِ العزيزِ، فتقدَّمتُ إليه، فسلَّمتُ[12] وقلتُ: أَصْلَحَ اللهُ الأميرَ، لا يَكْبُرَنَّ عليكَ ما كَانَ، فإنَّك كنتَ في شَرِّ جُنْدٍ وأَخْبَثِه، قال لي: أَوَ كنتَ مَعَنَا؟ [٦٥٩]
قلتُ: لا، ولكنْ[13] كأنِّي شاهدٌ أمْرَكَ، قال: كأنَّك كنتَ معنا، قلتُ: أرسلني المهلَّبُ لآتِيَه بخبرِك، ثم أقبلتُ إلى المهلَّب وتركتُه[14]، فقال لي: ما وراءَكَ؟

---

(١) في أ و ب: تُخَرُّ، وهو تصحيف.
(٢) في أ و ب و د و ي و هـ: «يزيد»؟ وهو خطأ. وفي الأصل: يزيد، وبهامشه كما في المتن.
(٣) في أ: فصرت. وفي هـ: فسرت.
(٤) أربك، تضم باؤه وتفتح: من نواحي رامهرمز من نواحي خوزستان. معجم البلدان ١/١٣٧.
(٥) في أ و ب و د و ي و هـ: أُحْبِسْ.
(٦) بهامش الأصل ما نصُّه: «هذا الرجلُ هو الحجاجُ بنُ عبد الله بن قيس الجهضميّ».
(٧) بهامش أ ما نصُّه: «قال الفرّاءُ: الجَهْضَمُ: الضَّخْمُ الهامَةِ المُسْتَدِيرُ الوجهِ. وقال الخليلُ: تقولُ العربُ تَجَهْضَمَ الفحلُ على أقرانِه: إذا علاها بكَلْكَلِهِ، وبعيرٌ جَهْضَمُ الجَنْبَيْنِ، أي رَحْبٌ».
(٨) في أ و س: فقال.
(٩) ليس في أ. وفي هـ: فقلت لمن هذا قالوا لواء إلخ.
(١٠) في أ: فقالوا.
(١١) في أ و ب و س و د: هذا لواء.
(١٢) في د و هـ: فسلمت عليه.
(١٣) في د و ف: ولكني.
(١٤) في أ: ثم تركته وأقبلت إلى المهلب.

فقلتُ[1]: ما يَسُرُّكَ، قد هُزِمَ[2] وفُلَّ[3] جيشُه! فقال: وَيْحَكَ! وما يَسُرُّني من هزيمةِ رجلٍ من قريشٍ وفَلِّ[4] جيشٍ من المسلمين؟! قلتُ: قد كان [٢/٢٦١] ذاكَ، ساءَك أو سَرَّكَ[5]، فوَجَّهَ رجلاً إلى خالدٍ يُخْبِره، قال الرجلُ: فلما أَخبرتُ خالداً قال: كذبتَ ولَؤُمْتَ، ودَخَل رجلٌ[6] من قريشٍ فكذَّبني، وقال لي خالدٌ: والله لَهَمَمْتُ أن أضربَ عنقَك، قلتُ: أصلحَ الله الأميرَ، إنْ كنتُ كاذباً فاقْتُلْني، وإنْ كنتُ صادقاً فأَعْطِني مُطْرَفَ هذا المُتَكَلِّفِ! فقال خالدٌ: لَبِئْسَ مَا أَخْطَرْتَ به دَمَك!! فما بَرِحْتُ حتى دخل[7] بعضُ الفَلِّ.

وقَدِمَ عبدُ العزيز سوقَ الأَهوازِ، فأكرمَه المهلّبُ وكساه، وقَدِم معه على خالدٍ، واستخلَف ابنَه حبيباً، وقال له: تَحَسَّسْ[8] عن الأخبار، فإنْ أحسستَ بخبرِ الأزارقة قريباً[9] منك فانصرِفْ إلى البصرة، فلم يَزَلْ حَبيبٌ مقيماً والأزارقةُ تدنُو منه، حتى بَلَغُوا[10] قنطرة أَرْبُكَ، فانصرفَ إلى البصرة على نهر تِيرَى، فلما دخلها أُعْلِمَ خَالدٌ، فَغَضِبَ عليه، واستتر حبيبٌ في بني هلالِ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ، وتزوَّج[11] هناك في آسْتِتارِهِ الهِلالِيّةَ أمَّ عبَّادِ بنِ حبيب.

وقال الشاعرُ لخالدٍ يُفَيِّلُ رأيَه[12]:

---

(١) في أ و س و د و هـ: قلت.
(٢) زاد في ف و س: «عبدُ العزيز».
(٣) كذا في أ، وفي سائر النسخ: وقُتِلَ.
(٤) كذا في أ، وفي سائر النسخ: وقَتْل.
(٥) في الأصل و ف و ظ: سرّك أو ساءك.
(٦) بهامش الأصل ما نصّه: «هو عمرانُ بنُ عُزَيْز».
(٧) في ف و هـ: حتى دخل عليه.
(٨) في الأصل و ف و ظ: تجسس.
(٩) في ف: أحسست بخيل الأزارقة قربت. وفي هـ: بخيل الأزارقة.
(١٠) في الأصل و هـ: بلغت. وبهامش الأصل كما في المتن.
(١١) في أ: فتزوج.
(١٢) بعده في أ: «أي يخطئه».

بعَثْتَ غلاماً مِن قريشٍ فَرُوقَةً ... وتَتْرُكُ ذَا الرأيِ الأَصيلِ المُهَلَّبَا
أَبَى الذَّمَّ وآختارَ الوَفاءَ وأُحْكِمَتْ ... قُواهُ وقد ساسَ الأمورَ وجَرَّبَا

[٦٦٠] وقال الحارثُ بنُ خالدٍ المخزوميُّ :

فَرَّ عبدُ العزيز إذْ راءَ عَبْساً ... وابنَ دَاوُدَ نازَلاَ قَطَرِيَّا[1]
عاهدَ اللهَ إنْ نَجَا مِلْمَنَايَا ... لَيَعُودَنَّ بعدَها جُرْمِيَّا
يَسْكُنُ الخَلَّ والصَّفَاح ومَرًّا ... نَ[2] وسَلْعاً وتارةً نَجْدِيَّا
حيثُ لا يَشْهَدُ القِتالَ ولا يَسْـ ... ـمَعُ يوماً لِكَرِّ خَيْلٍ دَوِيَّا

قولُه «إذْ رَاءَ عبساً» الأصلُ[3] «رَأَى» ولكنَّه قَلبَ فقدَّم الألِفَ وأخَّرَ الهمزةَ، كما قال كُثَيِّرٌ[4] :

---

(١) في أ و ف و ظ و س: «وقال الحارث بن خالد المخزومي:

فرّ عبد العزيز حين رأى الأبـ ... ـطال بالسفح نازلا قطريّا

ويروى:

فر عبد العزيز إذ راء عبساً ... وابن داود نازلا قطريّا».

وفي أ: «لما رأى الأبطال». وجاء البيتان متواليين في ب من غير قوله «ويروى».

وبهامش الأصل ما نصّه: «ويروى:

فرّ عبد العزيز حين رأى الأبـ ... ـطال بالسفح نازلوا قطريّا»

من غير علامة التصحيح.

وفي أ: «إذ راءَ عيسى»؟ ولعله تصحيف. ولعله يعني بعبس عبس الطعان الصريميّ.

وانظر شعر الحارث بن خالد ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) في أ و س و هـ: فمران.

(٣) كذا في أ و س. وفي سائر النسخ: «والأصل» والصواب: «فالأصل» بالفاء أو «الأصل» بلا الفاء.

(٤) سلف البيت مع آخر ص ٨٠٦.

وكـلُّ خليـلٍ رَاءَنِي فهـو قـائـلٌ مِنَ ٱجْلِكِ هذا هامةُ اليَوْمِ أوغَـدِ

والقلبُ كثير في كلام العربِ، وسنذكر منه أشيـاء في مواضعهـا[1] إن شاء الله.

وقولُه «مِلْمَنَايَا» يريدُ مِنَ المنايا، ولكنَّه حَذَفَ النونَ لقُربِ مخرجها من اللَّام، فكانتَا[2] كالحرفين يلتقيان[3] على لفظٍ فيُحذفُ أحدُهما، ومن كلام العرب أنْ يَحْذِفُوا النونَ إذا لَقِيَتْ لامَ المعرفةِ ظاهرةً، فيقولون[4] في بني الحارثِ وبني العَنْبَرِ وما أشبه ذلك: «بَلْحارثِ» و«بَلْعَنْبَرِ» و«بَلْهُجَيمِ» كما يقولون «عَلْماءِ بَنُو [١/٢٦٣] فلانٍ» فيحذفونَ إحدَى اللَّامَيْنِ[5].

وقولُه «لَيَعُودَنَّ بَعدَها حُرْمِيًّا» العربُ تَنْسُبُ إلى الحَرَمِ فتقول[6]: «حِرْمِيٌّ» و«حُرْمِيٌّ» على قولهم حُرْمَةُ البيتِ وحِرْمَةُ البيتِ[7]، قال[8] النابغةُ الذُّبْيَانِيُّ[9]:

من قولِ حُرْمِيَّةٍ قالتْ وقد ظَعَنُوا[10] هل في مُخِفِّيكُمُ مَن يَشْتَرِي أَدَمَا

---

(١) في أ: وسنذكر منه شيئاً في موضعه. وفي د و ف: أشياء في موضعها.
(٢) في الأصل و ب و د و ي: فكانت.
(٣) زاد بهامش الأصل «فيدغم أحدهما» مع علامة التصحيح؟ ولا وجه للزيادة.
(٤) في الأصل و ف و ظ و ب و س و ف و ي: «فتقول».
(٥) انظر ما سلف ص ١٢٢٧ ـ ١٢٢٨.
(٦) ليس في هـ. وفي أ. فيقولون.
(٧) «وحرمة البيت» ليس في الأصل و د و ي.
(٨) في أ و هـ. وقال.
(٩) ديوانه ق ١٣/١٥ ص ١٠٨.
(١٠) في أ و هـ: رحلوا.

و «الخَلُّ» ههنا موضعٌ [1]، وأصلُه الطريقُ في الرَّمْلِ.

***

وكَتَب خالدٌ إلى عبد الملك بعُذْرِ عبد العزيز [2]، وقال للمهلَّب: ما تُرَى
[٦٦١] عبدَ الملك صانِعاً بي؟ قال: يَعْزِلُكَ، قال: أَتُراهُ قاطعاً رَحِمِي؟ قال: نعم، أَتَتْهُ [3] هزيمةُ أُمَيَّةَ أَخِيكَ من البَحْرَيْنِ، وتأتِيه هَزيمةُ أخيك عبدِ العزيز من فارسَ.

فكَتَب [4] عبدُ الملك إلى خالدٍ: بِسْمِ الله الرَّحْمٰن الرَّحِيمِ [5]

أما بعــدُ؛ فإني كنتُ حَدَدْتُ لك حَدّاً في أمر المهلَّب، فلما مَلَكْتَ أَمْرَك نَبَذْتَ طاعتي واسْتَبْدَدْتَ برأيك، فولَّيتَ المُهلَّبَ الجِبايَة، ووليتَ أخاك حَرْبَ الأَزارقة، فَقَبَحَ [6] الله هذا رأياً، أَتَبْعَثُ غلاماً غِرّاً لم يُجَرِّبِ الحروبَ للحرب [7]، وتتركُ سيِّداً شجاعاً مُدَبِّراً حازماً قد مارَسَ الحروبَ تَشْغَلُهُ بالجِباية؟! أَمَا والله [8] لو كافأتُك على قَدْرِ ذنبك لَأَتاكَ مِن نَكِيري مالا بَقِيَّةَ لك معه، ولكنْ تذكَّرتُ رَحِمَك

---

(١) قال الشيخ المرصفي: «بين مكة والمدينة. والصفاح بكسر الصاد: موضع بين حنين وانصاب الحرم. ومَرّان بفتح الميم: موضع على أربع مراحل من مكة إلى البصرة أو بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا. وسَلْع موضع قرب المدينة أو جبل بسوقها» رغبة الآمل ٦٦/٨. وانظر معجم البلدان الخل ٣٨٤/٢ وسلع ٢٣٦/٣، والصفاح ٤١٢/٣، ومران ٩٥/٥.

(٢) في ف: بعذر أخيه عبد العزيز. وفي ب و ي: يعذر، وفي س: فعذر، وكلاهما تصحيف.

(٣) في ف و هـ: قد أتته.

(٤) في أ: قال أبو العباس فكتب.

(٥) من ب وس وف.

(٦) بهامش أ ما نصُّه: «قال ابن دريد: قَبَّح الله الرجلَ تَقْبيحاً، وقَبَحَهُ قَبْحاً مفتوح في معنى الدعاء عليه. ورجل قبيحٌ وقُباحٌ» اهـ. وانظر الجمهرة ٢٢٧/١.

(٧) ليس في أ و هـ و ي.

(٨) ليس في أ و ب و د و ي.

فكَفَّتْني[1] عنك، وقد جعلتُ عقوبتَك عَزْلَكَ.

وولَّى بشْرَ بنَ مَرْوانَ وهو بالكوفة وكَتب إليه:

أما بعدُ، فإنَّك أخو أميرِ المؤمنين، يَجْمَعُكَ وإيَّاه مَرْوانُ بنُ الحكَم، وإنَّ خالداً لا مُجْتَمَعَ له مع أمير المؤمنين دون أُمَيَّةَ، فانْظُرِ المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفْرَةَ[2]، فَوَلِّهِ حَرْبَ الأَزارِقَةِ، فإنَّه سيِّد بَطَلٌ مُجَرَّبٌ[3]، وأَمْدِدْهُ[4] من أهل الكوفة بثمانية آلافِ رجلٍ.

فَشَقَّ عليه ما أَمَره به[5] في المهلَّب، وقال: والله لأقتُلَنَّه[6]، فقال له موسى ابنُ نُصَيْرٍ: أَيُّهَا الأميرُ[7]، إنَّ للمهلَّبِ حِفاظاً وبَلاءً ووفَاءً.

وخَرج بشرُ بنُ مروانَ يريد البصرةَ، فكتب موسى وعِكْرِمةُ إلى المهلَّب أن يتلقَّاه لِقاءً لا يَعْرِفُه به[8]، فتلقَّاه المهلَّبُ على بغلٍ، فسلَّم عليه في خُمَارِ[9] الناسِ، فلما جَلَسَ بِشْرٌ مَجْلِسَهُ[10] قال: ما فعل أميرُكم المهلَّبُ؟ قالوا: قد تلقَّاك [٦٦٢] أيُّها الأميرُ وهو شَاكٍ[11].

---

(١) في أ و س و هامش الأصل: «فلَفَتْني». وبهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: لَفَتُّ الشيءَ ألْفِتُه لَفْتاً: إذا لويتَه. ولَفَتُّ ردائي على عنقي: إذا عطفتَه».

(٢) «ابن أبي صفرة» ليس في أ.

(٣) بهامش الأصل: «مِجْرَبٌ».

(٤) في أ: فأمدده. وفي ب و س: وامدد.
وبهامش أ ما نصُّه: «يقال: أمدَّ الأمير الجيشَ بجيش. والمَدَدُ: ما أمْدَدْتَ به قوماً في الحرب أو غيرها من الطعام والأعوان».

(٥) ليس في أ و د و هـ.

(٦) في ب و س و د و ي: والله لا قَبِلْتُه؟

(٧) «أيها الأمير» ليس في أ.

(٨) ليس في س و ي.

(٩) في هـ وهامشي الأصل و أ: غمار.

(١٠) في هـ: مجلسه للناس.

(١١) بهامش أ ما نصُّه: «قال أبو يعقوب: حدثني ابنُ شاذانَ عن أبي عُمَرَ عن ثعلب قال: الشَّكِيُّ: الذي

فهَمَّ بِشْرٌ أن يُوَلِّي حَربَ الأزارقة عُمرَ بنَ عُبيد الله، فقال له أسماءُ بنُ خارجةَ: إنَّما وَلّاك أميرُ المؤمنينَ لِتَرَى رأيَك، فقال له عِكْرِمَةُ بنُ رِبْعِيٍّ: اكْتُبْ إلى أميرِ المؤمنين فأَعْلِمْهُ[1] عِلّةَ المهلّبِ، فكتب إليه يُعْلِمُهُ عِلّةَ المهلَّبِ وأنَّ بالبصرة من يُغْنِي غَنَاءَهُ، ووَجَّهَ بالكتاب مع وَفْدٍ أَوْفَدَهُمْ إليه، رئيسُهم عبدُ الله بنُ حَكيمٍ المُجَاشِعِيُّ، فلمَّا قرأ الكتابَ خَلَا بعبد الله[2] فقال: إنَّ لك دِيناً ورأياً وحَزْماً، فَمَنْ لِقِتالِ هؤلاء الأزارقة؟ قال [٢/٢٦٢]: المهلَّبُ، قال: إنه عَلِيلٌ، قال: ليستْ عِلَّتُه بمانِعَةٍ[3]، قال عبدُ الملك: أرادَ بِشْرٌ أن يفعلَ ما فعلَ خالدٌ.

فكتَبَ إلى بِشْرٍ يَعْزِمُ عليه أن يُوَلِّيَ المهلّبَ[4]، فوجَّهَ إليه، فقال[5] المهلَّبُ: أنا عَلِيلٌ ولا يُمْكِنُنِي الاختلافُ، فأَمَر بشرٌ بحمل الدواوين إليه، فجعل يَنْتَخِبُ، فاعترض عليه بِشْرٌ[6]، فاقتَطع أكثرَ نُخْبَتِه، ثم عَزَمَ عليه[7] ألّا يُقِيمَ بعدَ ثالثةٍ، وقد أخَذَتِ الخوارجُ الأَهْوازَ وخَلَّفوها وراءَ ظهورهم وصاروا بالفُراتِ، فخرج إليهم[8] المهلَّبُ حتى صار إلى شَهَارطَاقَ، فأتاه شيخٌ من بني تميمٍ فقال: أصلحَ الله الأميرَ، إنَّ سِنِّي ما تَرَى، فهَبْنِي لعيالِي، قال: على أن تقولَ للأمير إذا خَطَبَ فَحَثَّكُمْ على الجهادِ: كيفَ تَحُثُّنا على الجهادِ وأنتَ تحبسُ أشرافَنَا وأهلَ النَّجْدةِ

= يَشْتَكِي وجَعاً أو غيرَه، والشَّكِيُّ: المَشْكُوُّ أيضاً، شكَوْتُه فهو شَكِيٌّ ومَشْكُوٌّ. قال: وقال الخَليلُ: الشَّكْوَى: الاشْتِكَاءُ، تقولُ اشتَكَى يَشْتَكِي اشْتِكاءً، يُسْتَعْمَلُ ذلك في المَوْجِدَةِ والمَرَضِ، تقولُ: هو شَاكٍ ومريضٌ قد اشتَكَى وَتَشَكَّى».

(١) في أ: وأعلمه.

(٢) في أ: بعبد الله بن حكيم.

(٣) في أ: بمانعته.

(٤) في أ: فكتب يعزم عليه أن يولي المهلب. وفي ب وس وف وي وهـ: فكتب [زاد في ب وي: إلى بشر] يعزم على بشر أن يولي المهلب.

(٥) في أ: قال.

(٦) في أ و ب: بشر عليه.

(٧) ليس في أ.

(٨) ليس في الأصل و ف و ظ و ب و ي.

منًا؟ ففعلَ الشيخُ ذلك، فقال له بشرٌ: وما أنتَ[1] وذاكَ؟ قال: لا شيءَ؛ وأعطى المهلَّبُ رجلاً ألَف درهمٍ على أن يأتيَ بشراً فيقولَ له: أيُّها الأمير، أَعِنِ المُهَلَّبَ بالشُّرْطَةِ والمُقَاتِلةِ، ففعلَ الرجلُ ذلك، فقال له بشرٌ: ما أنتَ وذاكَ؟ قال: نَصيحةٌ حَضَرَتْني[2] للأميرِ وللمسلمينَ[3] ولا أَعُودُ إلى مثلها[4]، فأمَدَّهُ بالشُّرْطةِ والمُقَاتِلة. [٦٦٣]

وكتب بشرٌ إلى خَلِيفَتِه بالكوفة أن يَعْقِدَ لعبد الرحمن بنِ مِخْنَفٍ على ثمانيةِ آلافٍ، من كُلِّ رُبُعٍ ألفين، وَيُوَجِّهَ به مَدَداً إلى المهلَّب، فلما أتاه الكتابُ بعثَ إلى عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ الأَزْدِيِّ فعَقَدَ له، وآختارَ له من كُلِّ رُبُعٍ ألفين[5]، فكان على رُبُعُ أهلِ المدينة بِشرُ بنُ جَريرٍ البَجَلِيُّ، وعلى رُبُعُ تميمٍ وهَمْدانَ عبدُ الرحمن بنُ سَعيدِ بنِ قَيسٍ الهَمْدانيُّ، وعلى رُبُعِ كِنْدةَ وربيعةَ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ الأَشعَثِ الكِنْدِيُّ، وعلى رُبُعِ[6] مَذْحِجٍ وَأَسَدٍ زَحْرُ بنُ قيسٍ المَذْحِجِيُّ، فقدِموا على بشرٍ فَخَلا بعبد الرحمن بنِ مِخْنَفٍ، فقال له: قد عرفتَ[7] رأيي فيك وثقتي بك، فكُنْ عند ظَنِّي، انْظُرْ هذا المزُونِيَّ فخالِفه في أمرِه، وأَفْسِدْ عليه رأيَه، فخرج عبدُ الرحمن[8] وهو يقولُ: ما أَعْجَبَ ما طَمِعَ منِّي فيه هذا الغلامُ! يأمرُنِي أَنْ أُصَغِّرَ[9] شيخاً من مشايخ أهلِي وسيداً من ساداتِهم!؟ فلَحِقَ بالمهلبِ.

*
**

---

(١) في أ: ما أنت، بلا الواو.
(٢) ليس في أ.
(٣) في أ و ي: للأمير والمسلمين.
(٤) في د و هـ: لمثلها.
(٥) قوله «ويوجه... ألفين» ليس في الأصل.
(٦) من الأصل وحده.
(٧) في ف: علمت.
(٨) في أ: عبد الرحمن بن مخنف.
(٩) في ف: أضع.

فلمَّا أَحَسَّ الأزارقةُ بِدُنُوِّه منهم انكشفوا عن الفُراتِ، فأَتْبعهم المهلَّبُ إلى سوق الأهوازِ، فنفاهم عنها، ثم اتَّبَعَهم[1] إلى رَامَ هُرْمُزَ فَنَفاهُمَ عنها[2]، فدخلوا فارسَ، وأَبْلَى يزيدُ آبنُه في وقائعه هذه بلاءً شديداً[3] تَقَدَّم فيه وهو ابنُ إحدى وعشرين سنةً، فلما صارَ القومُ بفارسَ[4] وَجَّهَ إليهم ابنَهُ المُغيرةَ، فقال له عبدُ الرحمن بن صُبَيْح[5] : أيها الأمير، إنَّه[6] ليس لك[7] برأيٍ قتلُ هذه الأَكْلُب، وَلَئِنْ ـ واللَّهِ ـ قَتَلْتَهم لَتَقْعُدَنَّ[8] في بيتِك ، ولكنْ طَاوِلْهُمْ وكُلْ [١/٢٦٣] بهم[9] ، فقال[10] : ليس هذا من الوَفاءِ.

فلم يلْبَثْ[11] بِرَامَ هُرْمُزَ إلاَّ شهراً حتى أتاهم[12] موتُ بشرٍ، فآضطرب الجندُ على ابنِ مِخْنَفٍ، فوَجَّهَ إلى محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ الأَشْعَثِ وإلى ابنِ زَحْرٍ[13] وآسْتَحْلَفَهما ألاَّ يَبْرَحَا، فحلفا له، ولم يَفِيَا[14]، فجعل الجندُ من أهل الكوفة يتسلَّلون حتى آجتمعوا بسوق الأَهْوازِ، وأراد أهلُ البصرة الانْسِلالَ من المهلَّب، فخطبهم فقال: إنَّكم لستُم كأهل الكوفة، إنما تَذُبُّونَ عن مِصْرِكم وأموالِكم [٦٦٤]

---

(١) في أ و س: تبعَهم.
(٢) في ر و هـ: فهزمهم منها.
(٣) في أ: بلاءً حسناً.
(٤) في س: إلى فارس.
(٥) في أ و ب و س و د: «صُبْح» وفي ي «صبح» وكأنه في هـ «صالح»؟
(٦) من الأصل و ب و ي.
(٧) من ف و ظ.
(٨) في الأصل: والله لئن قتلتهم. وفي ف و ظ: ولئن قتلتهم والله لتقعدن.
(٩) في ف و ظ: طاولهم وكدهم، وهو تحريف.
(١٠) في س و ف و ظ و ي: قال.
(١١) بهامش أ ما نصُّه: «يقال: لَبِث بالمكان يَلْبَثُ لَبْثاً ولَبَثاً فهو لابِثٌ، وألْبَثْتُه إلْباثاً، ولي لَبْثَةٌ على هذا الأمر أي تَوَقُّفٌ».
(١٢) في أ: أتاه.
(١٣) في أ وب وس ود وهـ: وابنِ زحر. كذا وقع، والصواب: «وإلى زَحْر». وانظر تاريخ الطبري ٦/١٩٧ ـ ١٩٨.
(١٤) زاد في س و ف: له.

وحُرَمِكُمْ، فأقام منهم قومٌ وتَسَلَّلَ منهم ناسٌ كثيرٌ[1].

وكان خالدُ بنُ عبد الله خليفةَ بشرِ بنِ مروانَ، فوَجَّهَ مَوْلىً له بكتاب منه إلى مَنْ بالأهوازِ، يَحْلِفُ فيه[2] بالله مجتهداً، لَئِنْ لم يَرْجِعُوا إلى مراكزهم وآنْصَرَفُوا عُصاةً لا يَظْفَرُ بأحدٍ منهم إلاَّ قَتَله، فجاء مولاه فجعل يقرأُ الكتابَ عليهم[3] ولا يَرَى في وجوههم قَبُولَه، فقال: إنّي لَأَرَى وُجوهاً ما القبولُ من شَأْنِها! فقال له ابنُ زَحْرٍ: أيُّها العبدُ، اقرأْ ما في الكتاب[4] وآنْصَرِفْ إلى صاحبِك، فإنك لا تدري ما في أنفسنا، وجعلوا يَسْتَحِثُّونه بِقِراءَتِه[5]، ثم قَصَدُوا قَصْدَ الكوفة، فنزلوا النُّخَيلةَ، وكَتبوا إلى خليفة بشرٍ يَسْأَلُونَه أنْ يأذنَ لهم في الدخول، فأَبَى، فدخلوها[6] بغير إذنٍ.

***

فلم يَزَلِ المهلَّبُ ومَن معه من قُوَّادِهِ وآبنُ مِخْنَفٍ في عَدَدٍ قليلٍ، فلم يَنْشَبُوا أنْ وَلِيَ الحجَّاجُ العِراقَ، فدَخَل الكوفةَ قَبْلَ البصرةِ، وذلك في سنة خمسٍ وسبعين، فخطبَهم وتهدَّدَهُمْ ـ وقد ذكرنا[7] الخطبةَ مُتَقَدِّماً[8] ـ ثم نَزَلَ فقال لوُجوهِ أهلها: ما كانتِ الوُلاةُ[9] تفعلُ بالعُصاةِ؟ فقالوا: كانت تَضْرِبُ وتَحْبِسُ، فقال الحجَّاجُ: لكنْ[10] ليس لهم عندي إلاّ السيفُ، إنَّ المسلمين لو لم يَغْزُوا المشركين

---

(١) في ف و ظ: وتسلل قوم كثير منهم.

(٢) من أ وحدها.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) في الأصل: ما في كتابك، وفي ف: ما في هذا الكتاب.

(٥) في أ: يستعجلونه في قراءته.

(٦) في الأصل و ف و ظ و س: فدخلوا.

(٧) كذا في أ و س. وفي سائر النسخ: ذكرتُ.

(٨) انظر ما سلف ص ٤٩٣ ـ ٤٩٥.

(٩) زاد في الأصل: «قبلُ».

(١٠) في أ و س و د و ظ: ولكن. وزاد في ف و ظ: «والله».

لغزاهُم المشركون، ولو ساغتِ المعصيةُ لأهْلِها ما قُوتِلَ عدوٌ ولا جُبِيَ فَيْءٌ ولا عَزَّ دِينٌ.

ثم جَلَسَ لتوجيه الناسِ، فقال: قد أَجَّلْتُكُمْ ثلاثاً، وأُقسم بالله لا يَتَخَلَّفُ أحدٌ من أصحاب ابنِ مِخْنَفٍ بعدَها ولا مِن أهل[1] الثُّغورِ إلّا قَتَلْتُهُ، ثم قال لصاحب حَرَسِهِ وصاحبِ شُرَطِهِ: إذا مَضَتْ ثلاثةُ أيامٍ فاتَّخِذَا سيوفَكما عِصِيّاً، فجاءَهُ عُمَيْرُ بنُ ضَابِىءٍ البُرْجُمِيُّ[2] بابنِهِ، فقال: أصلح الله الأميرَ، إنَّ هذا أنفعُ لكم مِنِّي، هو أشدُّ بني تميمٍ أَيْداً، وأجمعُهم سلاحاً، وأَرْبَطُهم جَأْشاً، وأنا شَيخٌ كبيرٌ عَليلٌ، وآستَشْهَدَ جُلَساءَهُ، فقال له[3] الحجاجُ: إنَّ عُذْرَكَ لَواضِحٌ، وإنَّ ضَعْفَك لَبَيِّنٌ، ولٰكِنِّي أكرهُ أن يَجْتَرِىءَ بك الناسُ عليَّ، وبعدُ فأنتَ [٢/٢٦٣] ابنُ ضابىءٍ صاحبُ عثمانَ، ثم أَمَر به فقُتِلَ، فآحْتَمَلَ الناسُ، وإنَّ أحدَهُم لَيُتْبَعُ بزادِه وسلاحِه[4]، ففي ذلك يقول آبنُ الزَّبِيرِ[5] الأَسَدِيُّ: [٦٦٥]

أقـولُ لـعـبـد الله يَـوْمَ لَـقِـيتُـهُ ... أَرَى الأَمرَ أَمْسَى مُنْصِباً مُتَشَعِّبَـا[6]
تَخَيَّرْ فـإمَّـا أنْ تَـزورَ آبنَ ضـابىءٍ ... عُـمَيْـراً وإمَّـا أن تَـزورَ الـمـهـلَّبَـا
هـمـا خُـطَّتـا خَسْفٍ نَجاؤُكَ منهمـا ... رُكـوبُـكَ حَـوْلِيّـاً مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَـا

---

(١) في الأصل و ف و ظ و ب و ي: ابن مخنف بعد هؤلاء من أهل، وهو تحريف.
(٢) من الأصل و أ.
(٣) ليس في أ.
(٤) في الأصل و ب: وبسلاحه.
(٥) شعره ق ٤/١، ٣، ٤، ٥، ٦ ص ٥٤ ـ ٥٦. وقد سلف الثاني والثالث والخامس ص ٤٩٦.
(٦) في هـ: لما لقيته.

وقال الشيخ المرصفي: «هذا غلط صوابه كما سلف: أقول لإبراهيم. يريد إبراهيم بن علمر أحد بني غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وكان لقي ابن الزبير في السوق فسأله عن الخبر فقال ابن الزبير: أقول لإبراهيم... الأبياتَ. وقد سلف بيانها». رغبة الآمل ٨/٧٢ وانظر ٤/٧٨.

فَمَا إن أرَى الحجاجَ يَغْمِدُ سَيْفَهَ يَدَ الدهرِ حتى يتركَ الطِّفْلَ أشْيَبَا
فأضْحَى ولو كانتْ خُراسانُ دونَه رآها مَكانَ السُّوقِ أو هِيَ أقْرَبَا

وهَرَبَ سَوَّارُ بنُ المُضَرَّبِ السَّعْدِيُّ من الحجاجِ وقال:

أَقَاتِلِيَ الحجاجُ إنْ لم أَزُرْ لَه دَرابَ وأتْرُكْ عندَ هندٍ فؤادِيَا

وقد مرت هذه الأبياتُ[1].

***

فخرج[2] الناسُ عن الكوفة، وأتى الحجاجُ البصرةَ؛ فكان عليهم[3] أشدَّ إلحاحاً، وقد كان أتاهُم خبرُه بالكوفة، فَتَحمَّلَ الناسُ قبلَ قُدُومِهِ، فأتاه رجلٌ من بني يَشْكُرَ[5]، وكان شيخاً كبيراً أعورَ، وكان[6] يَجعلُ على عينه العوراءِ صوفةً، فكان يُلقَّبُ ذا الكُرْسُفَةِ، فقال: أصلحَ الله الأميرَ! إنّ بي فَتْقاً[7]، وقد عَذَرَنِي بِشْرٌ، وقد رَدَدتُ العطاءَ، فقال: إنَّك عندي لَصَادِقٌ، ثم أَمَر به فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ[8]، ففي ذلك يقول كَعْبٌ الأشْقَرِيُّ[9] أو الفَرزدقُ[10]:

---

(١) انظر ص ٦٢٨. وفي الأصل و ظ: هذه القصة. وفي ب و د و ف و ي: القصيدة.
(٢) في أ و س و هـ: وخرج.
(٣) في هـ: عليها.
(٤) في الأصل: وهو بالكوفة.
(٥) بهامش الأصل ما نصُّه: «هو زياد بن يشكر بن عمرو أحد بني ثعلبة».
(٦) كذا في أ و د و هـ. وفي سائر النسخ: فكان.
(٧) في الأصل: قَبْعاً؟ وهو تحريف.
(٨) بهامش أ ما نصُّه: «قال ابن السكيت: العُنُق مؤنث في قول أهل الحجاز، وتصغيرها عُنَيْقَةٌ. وأسَدُ تُذكِّره، وإذا حقَّروه قالوا: هذا عُنَيِّقٌ طويلٌ».
(٩) في د و ي و هامش الأصل: «الأشعري» وعليه بهامش الأصل «ع» يعني رواية أبي عليّ. والصواب ما في المتن، انظر ما سلف من التعليق ص ٤٥٥.
(١٠) لم أجد البيت في مجموع شعر كعب ولا في ديوان الفرزدق (ط: دار صادر).

لقد ضَرَبَ الحَجَّاجُ بالمِصْرِ ضربةً تَقَرْقَرَ[1] منها بطنُ كلِّ عَرِيفِ

ويُروى عن ابن مِيرَةَ[2] قال: إنَّا لَنَتَغَدَّى معه يوماً إذ جاءه[3] رجلٌ من بَنِي[4] سُلَيْمٍ برجلٍ يقودُهُ، فقال: أصلح الله الأميرَ! إنَّ هذا عاصٍ، فقال له الرجلُ: أَنْشُدُك الله أيُّها الأميرُ في دَمِي، فوالله ما قَبَضْتُ دِيواناً قطُّ، ولا شهدتُ عسكراً، وإنِّي لَحَائِكٌ أُخِذْتُ من تحتِ الحَفِّ[5]، فقال: اضربوا عنقَه، فلمَّا أحسَّ بالسيف سَجَدَ، فلَحِقَه السيفُ وهو ساجدٌ، فأمسكنا عن الأكل[6]، فأقبل علينا الحجاجُ فقال: مالِي أراكم صَفِرَتْ أيديكم واصْفَرَّتْ وجوهُكم وحَدَّ نظرُكم مِن قتلِ رجلٍ واحدٍ؟! إنَّ العاصِيَ يَجمعُ خِلالاً: يُخِلُّ بِمَرْكَزِهِ، ويَعْصِي أميرَه، ويَغُرُّ المسلمينَ من نفسِه[7] وهو[8] أَجِيرٌ لهم[9]، وإنما يأخذُ الأُجرةَ لِمَا يَعملُ، والوالِي مُخيَّر فيه، إن شاءَ قَتَلَ وإن شاء عَفَا. [٦٦٦]

ثم كَتب[10] إلى المهلَّبِ: أمَّا بعدُ؛ فإنَّ بِشْراً رحمه الله [١/٢٦٤] اسْتَكْرَهَ نَفْسَه عليك، وأَراك غِناهُ[11] عنك، وأنا أُرِيكَ حاجتي إليك، فأَرِنِي الجِدَّ في قتالِ

---

(١) في الأصل و ف و ظ: يُقَرْقِر. وبهامش الأصل: يقضقض.
(٢) في أ و د: مَيْرة. وفي ب: ميسرة؟
(٣) في أ و س: جاء. وفي الأصل: أتاه.
(٤) ليس في أ و هـ.
(٥) الحف: المنسج.
(٦) في أ: الطعام.
(٧) «من نفسه» ليس في أ و س و ي و هـ.
(٨) زاد في الأصل: بعدُ.
(٩) في ب و د و ف و ظ و ي و هـ: لكم.
(١٠) زاد في أ: الحجاج.
كذا في الأصل و ف و ي، وهو الصواب. وفي سائر النسخ «غناه».
وبهامش أ ما نصُّه: «يقال: ما يُغني عنك غناءُ أي ما يُجْزِئُ عنك، والغَنَاء مثل الجَدَاءِ، والغَنَاءُ: الإجْزَاءُ، وتقول: رجل مُغْنٍ أي مُجْزِئٌ، والفعل غنيَ فهو غانٍ». ا هـ. والصواب «غِناه» كما أثبت، وانظر قول الحجاج: «وأنا أريك حاجتي إليك».

عدوِّك، ومَنْ خِفْتَهُ على المعصيةِ مِمَّن قِبَلَكَ فاقتُلْه، فإنِّي قاتلٌ مَنْ قِبَلِي ومَنْ كان عندي مِن وَلِيٍّ لِمَنْ[1] هَرَبَ عنك فأعلمني مكانَه[2]، فإنِّي أَرَى أن آخُذَ السَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ والوَلِيَّ بالوَلِيِّ[3].

فكَتَب إليه المهلَّبُ: ليس قِبَلي إلَّا مُطيعٌ، وإنَّ الناسَ إذا خافُوا العقوبةَ كبَّرُوا الذَّنبَ، وإذَا[4] أمِنُوا العقُوبةَ صَغَّروا الذنبَ، وإذا يَئِسُوا من العفو أَكْفَرَهُم ذلك، فهَبْ لِي هؤلاء الذين سَمَّيتَهم عصاةً، فإنَّهم[5] فُرْسانٌ[6] أبطالٌ، أرجو أن يَقْتُلَ الله بهم العدوَّ وأَكْثَرُهم[7] نادِمٌ على ذَنْبِه.

***

ولما[8] رأى المهلَّبُ كثرةَ الناس عليه[9] قال: اليومَ قُوتِلَ هذا العدوُّ. ولمَّا رأى ذلك قَطَرِيٌّ قال: انْهَضُوا بِنَا نُرِيدُ السَّرْدَنَ[10] فَنَتَحَصَّنُ فيها، فقال عُبَيْدةُ[11] ابنُ هِلالٍ: أو نَأْتِي سَابُورَ،[12] فَنَأْخُذُ مِنْها ما نُرِيدُ ونَنْهَضُ إلى كَرْمانَ، فأَتَوْا سَابُورَ[12]. وخرج المهلَّبُ في آثارهم، فأَتَى أُرَّجَانَ، وخاف أن يكونوا قد[13] تحصَّنُوا

---

(١) في أ وهـ: من وليّ من هرب.

(٢) في هـ: ومن كان عندي أو هرب منك حيث توجّه فاعلمني مقامه.

(٣) في أ: أن آخذ الولي بالولي والسميّ بالسميّ. وفي هـ: أرى أخذَ السمي إلخ.

(٤) قوله «وخافوا... وإذا» من أ وحدها.

(٥) في أ وف: فإنما هم.

(٦) في ب وس ود: فريقان؟ وهو تحريف.

(٧) «أكثرهم» من الأصل وحده.

(٨) في أ: فلما.

(٩) من أ وحدها.

(١٠) في أ: «السردان» وهو خطأ. والسردن: موضع ببلاد فارس بإزاء كازرون. انظر معجم ما استعجم ٧٣٢ ومعجم البلدان ٣/٢١٠

(١١) في ب: عَبيدة. انظر ما سلف من التعليق عليه ص ١١٨٣.

(١٢ - ١٢) من هـ.

(١٣) ليس في الأصل وأ.

بالسَّرْدَنِ، وليست بِمَدِينَةٍ، ولكنْ[1] جِبالٌ مُحْدِقَةٌ مَنِيعَةٌ، فلم يُصِبْ بها أحداً، فخرج نحوَهم فَعَسْكَرَ بكازَرُونَ[2]، وآستَعَدُّوا لقتالِهِ، وخَنْدَقَ على نفسِه، ثم وَجَّهَ إلى عبد الرحمن بنِ مِخْنَفٍ: خَنْدِقْ على نفسِك، فوجَّهَ إليه: خنادقُنا سُيوفُنا، فوجَّه إليه المهلَّبُ: إنِّي لا آمَنُ عليك[3] البَيَاتَ، فقال آبنُه جعفرٌ: ذاك أهوَنُ علينا من ضَرْطَةِ جملٍ! فأقبلَ المهلَّبُ على آبنه المغيرةِ فقال:

[٦٦٧] لم يُصيبوا الرأيَ ولم يأخذوا بالوَثِيقةِ، فلما أصبحَ القومُ غادَوْه الحربَ، فبَعَثَ إلى آبنِ مِخْنَفٍ يستمدُّه، فأمَدَّه بجماعةٍ، وجعل عليهمُ آبنَه جعفراً، فجاؤوا وعليهم[4] أَقْبِيَةٌ بِيضٌ جُدَدٌ، فقاتَلوا يومئذٍ حتى عُرِفَ[5] مكانُهم، وحَارَبَهُم المهلَّبُ، وأبْلَى بنوه يومئذٍ[6] كبَلاءِ الكوفِيِّينَ أو أشَدَّ، ثم نَظَر إلى رئيسٍ منهم يقال له صالحُ بنُ مِخْراقٍ[7]، وهو يَنْتَخِبُ قوماً من جِلَّةِ العسكرِ، حتى بلغوا أَرْبَعمِائَةٍ، فقال لابنه المُغيرةِ: ما يُعِدُّ هؤلاءِ إلاَّ لِلْبَيَاتِ، وانكشف[8] الخوارجُ والأمرُ للمهلَّبِ عليهم، وقد كَثُرَ فيهم القتلُ والجِراحُ.

***

وقد كان الحجَّاجُ في كل يومٍ يتفقَّدُ العُصاةَ ويُوَجِّهُ الرجالَ، فكان يَحْبِسهم نهاراً، ويَفْتَحُ لهم[9] الحَبْسَ ليلاً، فيَنْسَلُّ[10] الناسُ إلى ناحيةِ المهلَّبِ، وكَأَنَّ

---

(١) في ب وي: ولكنها.

(٢) كازرون مدينة بفارس بين البحر وشيراز. معجم البلدان ٤/٤٢٩.

(٣) في ي وهـ: عليكم.

(٤) في الأصل وس وي: عليهم، بلا الواو.

(٥) في الأصل: وعُرف.

(٦) من أ وهـ.

(٧) «ابن مخراق» من الأصل وأ.

(٨) في ف وهـ: فانكشف.

(٩) من الأصل وب.

(١٠) في س وهـ: فيتسلل.

الحجاجَ لا يَعلم، فإذا رأى الحجاجُ[1] إسْراعَهُمْ تَمَثَّلَ:

إنَّ لهـا لَسَـائِقـاً عَشَنْـزَرَا[2] إذا وَنَـيْـنَ وَنْـيَـةً تَـغَـشْـمَـرَا

«العَشَنْزَرُ»: الصُّلْبُ[3]. و«الغَشْمَرَةُ»[4]: رُكوبُ الرَّأسِ، و«المُتَغَشْمِرُ» الجادُّ على ما خَيِّلَتْ[5].

وكَتَبَ إلى المهلَّب مِن[6] قَبْلِ الوَقْعةِ: أما بعدُ؛ فإنَّه بلغني[7] أنَّك قد[8] أقبلتَ على جِبايةِ الخَراجِ، وتركتَ قتالَ العدوِّ، وإنِّي وَلَّيْتُكَ وأنا أرَى مكانَ [١/٢٦٤] عبدِ الله بنِ حَكيمٍ المُجاشِعيِّ وعَبَّادِ بنِ حُصَيْنٍ[9] الحَبَطِيِّ، وآخترتُك وأنتَ من أهلِ عُمانَ، ثُم رجلٌ من الأَزْدِ، فالْقَهُمْ يومَ كذا في مكانِ كذا، وإلاَّ أَشْرَعْتُ إليكَ صَدْرَ الرُّمح!!

فشاوَرَ بَنِيهِ فقالوا: إنه أميرٌ، فلا تَغْلُظْ عليه في الجواب.

فكَتب إليه المهلَّبُ: ورَدَ عليَّ كتابُك تَزعم أنِّي أقبلتُ على جِباية الخَراج وتركتُ قتالَ العدوِّ، ومَنْ عَجَزَ عن جباية الخراج فهو عن قتال العدوِّ أَعْجزُ، وزعمتَ أنَّك وَلَّيتَني وأنت تَرَى مكانَ عبد الله بنِ حكيمٍ[10] وعَبَّادِ بنِ حُصَين[11]،

---

(١) ليس في أ وس.

(٢) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: العَشَنْزَرُ: السريعُ».

(٣) قوله «العشنزر: الصلب. و» من أ وهـ.

(٤) في أ: التغشمر.

(٥) في هـ: «العشنزر الصلب والمتغشمر الخابط على خيلت».

(٦) ليس في س وي.

(٧) في د وي: فقد.

(٨) ليس في أ وهـ.

(٩) في الأصل ود وهـ: الحصين.

(١٠) زاد في وس: المجاشعي.

(١١) زاد في أ: الحبطي. وفي س: وعباد بن الحصين.

[٦٦٨] ولو وَلَّيتَهما لكانا مُسْتَحِقَّيْنِ لذلك في فَضْلهما وغَنائِهما وبَطْشِهما، وآخرتني[1] وأنا رجلٌ من الأَزْدِ، ولَعَمْرِي إنّ شَرّاً من الأَزْدِ لَقَبِيلَةٌ تَنازَعَها ثلاثُ قَبائلَ، لم تَسْتَقِرَّ في واحدةٍ منهنَّ، وزعمتَ أنّي إنْ لَم أَلْقَهم في يومٍ كذا في مكانِ[2] كذا أشرعتَ إليَّ صدرَ الرمح، فلو فعلتَ لَقَلَبْتُ لك[3] ظَهْرَ المِجَنِّ[4] والسلامُ.

ثم كانت الوقعةُ. فلما آنصرف الخوارجُ قال المهلَّب لابنه المُغيرةِ: إني[5] أَخافُ البَيَاتَ على بني تميمٍ، فآنْهَضْ إليهم فَكُنْ فيهم، فأتاهُم المغيرةُ، فقال له الحَرِيشُ بنُ هلالٍ: يا أبا حاتمٍ، أَيَخافُ الأميرُ أن يُؤْتَى من ناحيتنا؟ قُلْ له فَلْيَبِتْ آمناً، فإنَّا كَافُوهُ مَا قِبَلَنا إن شاء الله. فلما آنتصفَ الليلُ، وقد رَجَعَ المغيرةُ إلى أبيه، سَرَى صَالِحُ بنُ مِخْراقٍ في القوم الذين كان[6] أَعَدَّهُم إلى ناحية بني تميمٍ، ومعه عَبِيدةُ بنُ هلالٍ، وهو يقولُ[7]:

إنِّي لَمُذْكٍ لِلشُّرَاةِ نَارَهَا ... ومَانِعٌ مِمَّن أَتَاهَا دَارَهَا
وغاسِلٌ بالطَّعْنِ عنها عارَهَا

فوجدَ بني تميمٍ أيقاظا مُتَحَارِسِينَ، فخرج إليهم الحَرِيشُ بنُ هلالٍ وهو يقولُ:

لقد وَجَدْتُمْ وُقُراً أَنْجادَا ... لاكُشُفاً مِيلاً ولا أَوْغَادَا

---

(١) كذا في الأصل وأ وب. وفي سائر النسخ: فاخترتني.
(٢) كذا في أ وهـ. وفي سائر النسخ: موضع.
(٣) كذا في أ وهـ. وفي سائر النسخ: إليك.
(٤) زاد في أ: والسلام.
(٥) كذا في الأصل وأ وهـ. وفي د: قال المهلب للمغيرة إني. وفي سائر النسخ: قال المهلب للمغيرة ابنه إني.
(٦) ليس في أ.
(٧) انظر ما سلف من التعليق على ضبط عبيدة ص ١١٨٣. والأبيات في شعر الخوارج ٩٧.

هَيْهـاتَ لا تُلْفُـونَنَـا رُقَّـادَا[1] لا بَـلْ إذا صِيحَ بنـا آسَـادَا[2] [٦٦٩]

ثم حَمَلَ عليهم[3] فرجَعوا عنه، فاتَّبَعَهم، ثم صاح[4] بهم: إلى أينَ يا كلَابَ النار؟ فقالوا: إنما أُعِدَّت[5] لك ولأصحابك، فقال الحَرِيشُ: كلُّ مملوك لي حُرٌّ إن لم تَدْخُلُوا النارَ إنْ دخلَها مَجُوسيٌّ فيما بين سَفَوَانَ وخُراسانَ.

قوله: «لقد[6] وَجَدْتُم وُقُراً» جمعُ وقُورٍ. و «النَّجْدُ» ضـدُّ البَليدِ، وهـو المتيقِّظُ الذي لا كَسَل عندَه ولا فُتورَ. و«الأَمْيلُ» فيه قولانِ: قالوا: الذي لا يَسْتَقِرُّ على الدابة[7]، وقالوا: الذي[8] لا سَيْفَ معه. و«الأَكْشَفُ»: الذي لا تُرْسَ معه. و«الأَجَمُّ»: الذي لا رُمْحَ معه. و«الحاسِرُ»: الذي لا دِرْعَ عليه. و«الأَعْزَلُ»: الذي لا يَتَقَوَّمُ على ظَهرِ الدابَّةِ[9].

ثم قال بعضُهم لبعض: نأتِي عسكرَ آبنِ مِخْنَفٍ فإنَّه لا خَنْدَقَ عليهم، وقد

---

(١) ليس هذا البيت في أ وهـ. وفيهما مكانه: «هيهـات إنا إذا صيح بنا أتينا»؟.

(٢) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شَاذَان: يقال رجلٌ نَجْدٌ وَنجِيدٌ بَيِّنُ النَّجْدَةِ: إذا كان جَلْداً. قال: وحدثني أبو عُمَرَ الزاهدُ عن ثَعْلَب قال: الوَغدُ: الضَّعِيفُ من الرجال، والجماعةُ أَوْغَادٌ، وقد وَغُدَ الرجلُ وَغَادَةً. قال ثعلبٌ: وحدثني الأَثْرَمُ عن أبي عُبيدَةَ قال: قال أَفْلَتُ بن لَقِيطٍ: كنتُ وَغْداً يومَ الكُلَابِ، أي ضعيفاً. قال أبو عُبيدةَ: قلت لأُمِّ الهيثم: ما الوَغْدُ؟».

كذا، ولم يتم كلام أبي عبيدة، وذكر رايت أنّ سطراً من الحاشية قد أتى عليه القطع في الورق فلم يستبن منه إلا كلمة «منه» في آخره.

وفي اللسان (وغد) عن أبي حاتم قال: «قلت لأم الهيثم: أو يقال للعبد وَغْدٌ؟ قالت: ومن أَوْغَدُ منه».

(٣) في أ: على القوم.

(٤) في أ وس ود: وصاح.

(٥) زاد في أ وب وس ود: النّار.

(٦) ليس في أ.

(٧) في ف: على ظهر الدابة.

(٨) في أ: هو الذي.

(٩) قال الشيخ المرصفي: «تفرد به أبو العباس. والمعروف أنه الذي لا سلاحَ معه فهو يعتزل الحرب..» رغبة الأمل ٨/٧٩.

وزاد بعده في أ: «والوغد: الضعيف».

تَعِبَ[1] فرسانُهم اليومَ [١/٢٦٥] مع المهلَّب، وقد زَعموا أنَّا أَهْوَنُ عليهم من ضَرْطةِ جَملٍ، فأَتَوْهُم، فلم يَشْعُرِ ابنُ مِخْنَفٍ وأصحابُه بهم[2] إلَّا وقد خَالَطُوهم في عسكرِهم، وكان آبنُ مِخْنَفٍ شريفاً، يقولُ[3] رجلٌ من غامِدٍ لرجلٍ يعاتِبُه ويَضْرِبُ بآبنِ مِخْنَفٍ المَثَلَ:

تَرُوحُ وتَغْدُو كلَّ يومٍ معَظَّماً كأنك فينا مِخْنَفٌ وآبنُ مخنَفِ

فَتَرَجَّلَ عبدُ الرحمن بنُ مِخْنَفٍ فجالدَهم فَقُتِلَ، وقُتِلَ معه سبعون من القُرَّاءِ، فيهم نَفَرٌ من أصحاب عليِّ بن أبي طالبٍ صلوات الله عليه، ونفرٌ من أصحابِ آبن مسعودٍ، وبَلَغَ الخبرُ المهلَّبَ، وجعفرُ بنُ عبد الرحمن بنِ مِخْنَفٍ عندَ المهلَّبِ، فجاءَهم مُغِيثاً، فقاتَلَهم[4] حتى آرْتُثَّ[5] وصُرِعَ[6]، ووَجَّهَ المهلَّبُ إليهم ابنَه حبيباً فكَشَفَهم، ثم جاء المهلَّبُ حتى صَلَّى على آبنِ مِخْنَفٍ وأصحابِه رحمهم الله، وصار جُنْدُه في جُنْدِ المهلَّبِ، فضمَّهم إلى ابنه حبيبٍ، فَعَيَّرهم البصريون، [٦٧٠] فقال رجلٌ لجعفرِ بنِ عبد الرحمن:

تركتَ أصحابَنا تَدْمَى نُحُورُهُمُ[7] وجِئتَ تَسْعَى إلينا خَضْفَةَ الجَمَلِ[8]

---

(١) في د وهـ: تعبت.

(٢) «وأصحابه بهم» ليس في ف و «وأصحابه» ليس في هـ.

(٣) في هـ: وفيه يقول. وبهامش الأصل ما نصّه: «هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي والي خراسان».

(٤) في ف: وجالدهم.

(٥) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: حدثني أبو عُمَرَ عن ثعلب عن ابن الأعرابيِّ قال: يقالُ آرْتُثَّ الرجلُ ارْتِثاثاً: إذا حُمِلَ من المَعْرَكَةِ وبه رَمَقٌ. قال ابنُ شاذان: قال النَّضْرُ بنُ شُمَيلٍ: آرْتُثَّ: صُرِعَ».

وقال عليّ بن حمزة في التنبيهات ١٦٣: «إنما الارتثاث أن ينقل الجريح من مصرعه إذا كان به رمقٌ... وقد يستعمل الارتثاث في نقل كل شيء ثقل... فجعل أبو العباس ارتث في غير موضعه».

(٦) في هـ: أي صرع.

(٧) في د وي: كُلُومُهم.

(٨) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: حدثني أبو عُمَرَ عن ثعلب قال: يقال: خَضَفَ الحمارُ وغيره يَخْضِفُ خَضْفاً وخُضافاً: إذا ضَرَط، ويقال للمرأة: يا خضافِ».

قوله «خَضْفَةَ الجمل»[1] يعني ضَرْطَةَ الجمل[2]، يقال خَضَفَ البعيرُ[3]، قال[4] أنشدني الرِّيَاشِيُّ لأعرابيٍّ يذمُّ رجلاً آتَّخَذَ وليمةً:

إنَّـا وَجَـدْنَـا خَلَفـاً بِئْسَ الخَلَفْ أغْـلَقَ عَـنَّـا بـابَـهُ ثـم حَـلَفْ
لا يُـدْخِـلُ البـوابُ إلّا مَنْ عَـرَفْ عَبْداً[5] إذا ما ناءَ بالحِمْلِ خَضَفْ

يقال «نَاءَ بِحِمْلِه»: إذا حَمَلَهُ في ثِقَلٍ وتَكُلفٍ، وفي القرآنِ: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ﴾[6] والمعنى أنَّ العُصْبَةَ تَنُوء بالمفاتيح[7]، وقد مَضَى[8] تفسيرُ هذا[9].

فلَامَهُم المهلَّبُ، وقال: بِئْسَمَا قُلتم، والله ما فَرُّوا ولا[10] جَبُنوا، ولكنهم خَالَفُوا أَمِيرَهم، أفلا تذكرون فِراركم يومَ دُولابَ، وفِرارَكم بدارِشَ[11] عن عثمان، وفِرارَكم عني؟!

***

(١) «الجمل» ليس في الأصل وب ود وي وهـ.
(٢) من أ وس. وفي أ: يريد ضرطة الجمل. وفي ود وهـ: أي ضرطة.
(٣) زاد في الأصل وهـ: إذا ضرط.
(٤) ليس في أ، وفيها: «وأنشدني». وفي هـ: قال أبو العباس وأنشدني. وفي الأصل: أنشدنا.
(٥) في أ وهـ: «عبدٌ».
والأبيات في المثلث ١/٥٠٩، والفرق بين الأحرف الخمسة ٢١٩، واللسان (خضف)، والبيتان ١، ٤ في اللسان (خلف).
(٦) سورة القصص: ٧٦.
(٧) في الأصل وب وي: بالمفاتح.
(٨) انظر ما سلف ص ٢٨٣، ٤٧٥.
(٩) بعده في زيادات ر من س وي - وهو ثابت في الأصل، وهو حاشية بهامش ف -: «ويقول العرب: حبج الرجل [الرجل ليس في الأصل] وحبق وخضف وردم، كل ذلك إذا ضرط». وأغلب الظن أنه حاشية كما في ف أقحمت في متن الكتاب.
(١٠) في الأصل: وما.
(١١) كذا في د وحدها، ولعله الصواب. فقد نص البكري في معجم ما استعجم ٥٣٣ أنه بكسر الراء وبالشين المعجمة، وهو موضع ناحية مسرقان وهي قرية من أعمال البصرة.
وفي أ وهـ: «بدارس». وفي سائر النسخ: «بفارس»؟.
وعثمان هذا قال المرصفي: «هو عثمان بن قطن بن عبيد الله أحد بني الحارث بن كعب وكان الحجاج بعثه إلى شبيب الخارجي فانهزم أصحابه عنه وقاتل حتى قتل» رغبة الآمل ٨/٨١.

ووَجَّهَ الحجاجُ البَراءَ بنَ قَبيصةَ إلى المهلَّب يَسْتَحِثُّهُ في مُناجزةِ القوم، وكتب[1] إليه[2]: إنَّك تُحِبُّ[3] بقاءَهم لتأكلَ بهم. فقال المهلَّبُ لأصحابه: حَرِّكوهم، فَخرج فرسانٌ من أصحابِه[4]، فخرج إليهم من الخوارج جَمْعٌ، فاقتتلوا إلى الليل، فقال لهم الخوارجُ: ويْلَكُمْ أمَا تَمَلُّونَ[5]؟ فقالوا: لا، حتى تَمَلُّوا، قالوا: فمن أنتم؟ قالوا: تَميمٌ، قالت الخوارجُ: ونحن بنو تَميم. فلما أمْسَوُا افترقوا، فلما كان الغَدُ خرج عشَرةٌ من أصحاب المهلَّبِ وخرج إليهم من الخوارج عشرةٌ[6]، فاحتَفَر كلُّ واحدٍ منهم حَفِيرَةٍ وأثبتَ قدَمَه، فيها، فكُلما قُتِلَ رجلٌ جاءَ رجلٌ من [٦٧١] أصحابه فاجْتَرَّهُ وقام[7] [٢/٢٦٥] مكانَه، حتى أعْتَمُوا، فقال لهم الخوارجُ: ارجِعُوا، فقالوا: بلِ ارجِعوا أنتم، قالوا[8]: ويلكم! مَنْ أنتم؟ قالوا[9]: تميمٌ، قالوا: ونحن بنو تميم[10]. فرجَع البَراءُ بنُ قَبِيصةَ إلى الحجاج، فقال له: مَهْ؟ قال: رأيتُ قوماً لا يُعينُ عليهم إلَّا الله تعالى.

وكَتب إليه المهلَّبُ: إنِّي منتظرٌ بهم إحدَى ثلاثٍ: موتٌ ذَرِيعٌ، أو جُوعٌ مُضِرٌّ، أو اختلافٌ مِن أهوائهم.

وكان المهلَّبُ لا يَتَّكِلُ في الحراسة على أحدٍ، كان يتولَّى ذلك بنفسه، ويستعين بولده وبمن[11] يَحُلُّ مَحَلَّهُمْ في الثقةِ عندَه.

---

(١) كذا في أ وهـ، وفي سائر النسخ: فكتب.
(٢) من الأصل وأ وهـ.
(٣) في أ: لتحبّ.
(٤) زاد في أ: إليهم.
(٥) في الأصل: ويلكم لا تملون. وفي ف وهـ: ويلكم ما تملون.
(٦) في أ: عشرة من الخوارج.
(٧) في أ: ووقف.
(٨) في أ وب ود: فقالوا.
(٩) في أ: فقالوا.
(١٠) في أ: ونحن تميم.
(١١) في د وهـ: ومن.

قال[1] أبو حَرْملةَ العَبْديُّ يهجو المهلَّبَ:

عَـدِمْتُـكَ يـا مُهَلَّبُ مِن أميـر ... أمَـا تَنْـدَى يَمِـينُـكَ لـلفقيـرِ

بِدُولابٍ أَضْعتَ دماءَ قـومي[2] ... وطِـرْتَ على مُواشِكَـةٍ دَرُورِ[3]

فقال[4] المهلَّبُ: ويحكَ! والله إني لأُقِيكُمْ بنفسي ووَلَدِي، قال: جعلني الله فداءَ الأميرِ، فَذَاكَ الذي نَكْرَهُ منك، ما كلُّنا يُحِبُّ الموتَ، قال: ويحكَ! وهل عنه مَحِيصٌ؟ قال: لا، ولكنَّا نَكْرَهُ التَّعجيلَ، وأنت تُقْدِمُ عليه إقْدَاماً، قال المهلَّبُ: أَمَا سمعتَ قولَ الكَلْحَبةِ اليَرْبُوعِيِّ[5]:

فقلتُ لِكَـأْسٍ أَلْجِميهـا فـإنَّمـا ... نَـزَلْنا[6] الكَثِيبَ مِن زَرودَ لِنَفْـزَعَـا

قال: بلى واللهِ قد سمعتُه، ولكنْ قولي أَحَبُّ إليَّ منه، وهو[7]:

فـلمَّـا وقَـفْـتُـمْ غُـدْوةً وعَـدُوُّكُـمْ ... إلى مُهْجَتي وَلَّيْتُ أعـداءَكم ظَهْـرِي

وطِـرْتُ ولم أَحْفِـلْ مَقـالَـةَ عـاجـزٍ ... يُسـاقِي المنَـايَـا بِـالـرُّدَيْنِيَّـةِ السُّمْـرِ

فقال له[8] المهلَّبُ: بئس حَشْوُ الكَتِيبَة واللهِ أنتَ، فإن شئتَ أذِنْتُ لك فانصرفتَ إلى أهلك، قال[9]: بل أُقِيمُ معك أيُّها الأميرُ، فوهبَ له المهلَّبُ

---

(١) في أ: وقال.

(٢) في أ: قوم.

(٣) سلف البيت ص١٢٤٧ وعزاه هناك لرجل من بني منقر بن عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم. والرواية ثمة «بسولاف أضعت».

وبهامش أ ما نصُّه: «ابنَ شاذان: يقال: فرسٌ دَرُورٌ ودَرِيرٌ أي سريعٌ، قال امرؤ القيس:

دريـرٌ كـخـذروف الـولـيـد أمَـرّه ... تَـتَـابُـعُ كـفـيـه بـخـيـط مـوصَّـل».

(٤) زاد في ف وهـ: له.

(٥) كذا في الأصل وأ وهـ. وفي سائر النسخ: «قول هبيرة الكلحبة اليربوعي».

وقد سلف البيت ص ٣ ـ ٤.

(٦) في هـ: حللنا.

(٧) ليس في أ. وفي هـ: ولكن أحبّ إلي منه قولي.

(٨) ليس في أ وهـ.

(٩) في أ وهـ: فقال.

[٦٧٢] وأعطاه، فقال يمدحُه:

يَـرَى حَتْمـاً عليـه أبـو سَعيـدٍ جِـلادَ القـومِ في أُولَى النَّفيـرِ
إذا نـادَى الشُّـراةُ أبـا سعيـدٍ مَشَى في رِفْـلِ مُحْكَمةِ القَتِيرِ[1]

«الرِّفْلُ»[2] الذَّيْلُ.

***

وكـان المهلَّبُ يقول[3]: مـا يَسُرُّنِي أنَّ في عسكـرِي أَلْفَ[4] شجـاعٍ مكان[5] بَيْهَسِ بن صُهَيْبٍ، فيقال له: أيها الأميرُ، بيهسٌ[6] ليس بشجاعٍ، فيقول: أَجَلْ، ولكنه سَديدُ[7] الرأيِ مُحْكَمُ العقل، وذو الرأيِ حَذِرٌ سَؤُولٌ، فأنَا آمَنُ أن يُغْتَفَلَ، فلو كانَ مكانَه أُلف شجاعٍ قلتُ إنَّهم يَنْشامُون[8] حينَ[9] يُحْتاجُ إليهم.

---

(١) بهامش الأصل ما نصُّه: «زاد المدائنيُّ:

فـشـدّ عـليـهـم بـالـسـيـف صـلـتـاً ويـطـعـنـهـم بـمـسـنـون ظـفـيـرِ
إذا ضـجّ الـكـمـاة وضـعـضـعـتـهـم دواهٍ صـال كـالأسـد الـعـقـورِ
وكـل الـدهـر أنت لـزاز حـرب أمـام الـقـوم في الـسـلف المـغـيرِ».

(٢) بكسر الراء كذا ضبط في هـ وهو ما نصُّوا عليه. وضبط في الأصل ور بالفتح وعلى «الرفل الذيل» في الأصل «ع» يعني رواية أبي علي، وهما ثابتان في جميع النسخ غير هـ. فمكانهما في هـ ما نصه: «القتير أطراف مسامير الدرع، والرِّفل ثوب الرجل إذا فضل فيه، وعنى ههنا فضلة الدرع». ولعلهما مما زاده الرواة.

(٣) في أ: وقال المهلب.

(٤) في هـ: أن يكون في عسكري ألف شجاع.

(٥) كذا في هـ وحدها. وفي أ: بدل. وفي سائر النسخ: «مثل» وهو خطأ.

(٦) في هـ: إنَّ بيهساً.

(٧) بهامش أ ما نصُّه: «يقال: رأيٌ سديدٌ وأمر سديدٌ وأَسَدٌّ أي قاصد، وكذلك رجلٌ سديدٌ من السَّدادِ وهو قَصْدُ الطريقة».

(٨) قال الشيخ المرصفي: «من انشام [في] الشيء دخل فيه واختبأ كتشيّم، يريد أنهم يكونون بمعزل مخافة أن يغتفلوا» رغبة الآمل ٨/٨٣.

وبهامش أ ما نصّه: «قال الشيخ أبو يعقوب: يَنْشامُون أي يَنْغابُون، ينفعلون، من شامه يشيمه: إذا غابَه».

وفي الأصل وي: يَنسامُوْن، وفي س وهامش الأصل: يتشامون، وفي ف: يسأمون، وفي هـ: سينامون.

وفي ف وهـ: «... ألف شجاع لخلت أنهم».

(٩) في أ وهـ: حتى، ولعله تحريف.

ومَطَرَتِ السماءُ ليلةً مطراً شديداً وهم بسابورَ، وبين المهلَّبِ وبين الشُّراةِ عَقَبةٌ، فقال المهلَّبُ: من يكفينا هذه العقبة[1] الليلة[2] ؟ فلم يَقُمْ أحدٌ، فلبس المهلبُ سِلاحهُ وقام إلى العقبة [١/٢٦٦] واتَّبعه ابنُه المغيرةُ. فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عبدُ الله: دعانا الأميرُ إلى ضبط العقبة، والحظُّ في ذلك لنا، فلم نُطِعْهُ، فلبس سلاحَه واتَّبعه جماعةٌ من أهل العسكرِ فصاروا إليه، فإذا المهلبُ والمغيرةُ لا ثالثَ لهما، فقالوا: انصرفْ أيُّها الأميرُ فنحن نكفيك إن شاء الله، فلما أَصْبَحُوا إذا بالشُّراةِ[3] على العقبة، فَخرج إليهم غلامٌ من أهل عُمَانَ على فرسٍ، فجعل يَحْمِل وفرسُهُ يَزْلَقُ[4]، وتَلَقَّاهُ مُدْرِكُ بنُ المهلَّبِ فقال له: انْصَرِفْ، فليس هذا بيَوْمِك، فحاربَهُم مُدْرِكٌ[5] في جماعةٍ معه حتى رَدَّهم.

فلما كان يومُ النَّحْرِ والمهلبُ على المنبر يخطبُ الناسَ[6] إذَا الشُّراة[7] قد تألَّبُوا، فقال المهلَّبُ: سبحانَ الله! أَفِي مثلِ هذا اليوم؟ يا مُغيرةُ اكْفِنِيهِمْ، فَخرج إليهم المغيرةُ بنُ المهلَّبِ وأمامَه سَعْدُ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِيُّ - وكان سعدٌ[8] متقدِّماً[9] في شجاعتِه[10]، وكان الحجّاجُ[11] إذا ظَنَّ برجلٍ أن نفسَه قد[12] أعْجَبَتْه قال له[13]:

---

(١) في الأصل: أمر العقبة.

(٢) في د: هذه الليلة.

(٣) في هـ: فإذا هم بالشراة.

(٤) في الأصل وب وس ود: تزلق.

(٥) قوله «فقال له.. مدرك» من هـ وحدها.

(٦) في الأصل وظ: والمهلب يخطب الناس على المنبر. وفي ب وس وي وف: يخطب على المنبر الناس.

(٧) في س: فإذا بالشراة. وفي ف: فإذا الشراة.

(٨) ليس في الأصل.

(٩) في أ وس وف: شجاعاً متقدماً. وفي ظ: متقدماً شجاعاً.

(١٠) «في شجاعته» ليس في ف وظ.

(١١) في أ وس: المهلب؟.

(١٢) ليس في الأصل.

(١٣) ليس في الأصل وب وس وي وهـ.

[٦٧٣] لو كنتَ سعدَ بنَ نَجْدٍ القُرْدُوسِيَّ ما عَدَا، وقُرْدُوسٌ من الأَزْدِ[١] ـ فَخرجَ أَمامَ المغيرةِ، وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسان المهلَّب، فَالْتَقَوْا، وأمامَ الخوارجِ غلامٌ جامعُ السلاحِ، مَدِيدُ القامةِ، كريهُ الوجْهِ، شديدُ الحَمْلةِ، صحيحُ الفُروسِيَّةِ، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناس وهو يقولُ:

نحنُ صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ النَّحْرِ بالخَيْلِ أمثالِ الوَشِيجِ تَجْرِي[٢]

فخرج إليه سعدُ بنُ نجدٍ القُرْدُوسِيُّ من الأزدِ فتَجَاولا[٣] ساعةً، ثمَّ طَعَنَه[٤] سعدٌ فقتَلَه، وٱلْتَقَى الناسُ، فُصرِعَ المغيرةُ يومئذٍ[٥] فحامَى عليه سعدُ بنُ نجدٍ وذُبْيانُ السِّخْتِيَانِيُّ وجماعةٌ مِنَ الفُرْسانِ حتى رَكِب، وانكشفَ الناسُ عند سَقْطةِ المُغيرةِ، حتى صاروا إلى المهلَّب[٦]، فقالوا: قُتِلَ المغيرةُ، ثم أتاه ذُبْيانُ السِّخْتِيَانِيُّ، فأخبره بسلامتِه، فأعْتَقَ كلَّ مملوكٍ بحضرتِه[٧].

***

ووجَّهَ الحجاجُ الجَرَّاحَ بنَ عبد الله إلى المهلبِ يَسْتَبْطِئُه في مُناجزة القومِ، وكتبَ إليه: أما بعدُ، فإنَّك جَبَيْتَ الخَرَاجَ بالعِلَلِ، وتَحَصَّنْتَ بالخَنادق، وطاوَلْتَ القومَ، وأنت أعزُّ ناصراً، وأكثرُ عدداً، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبْناً،

---

(١) قوله «وقردوس من الأزد» جعله في ر بين حاصرتين ولم يعلق عليه، وهو ثابت في الأصل وف وظ.

(٢) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: الوَشِيجُ: القنا، وسُمِّيَ وشيجاً لتَداخُلِ بعضه في بعضٍ واشتباكه. ويقال: وَشَجَتِ العروقُ وشَيجاً: إذا تداخل بَعضُها في بعض».

(٣) في أ وب: ثم تجاولا.

(٤) في أ: فطعنه.

(٥) في أ: يومئذ المغيرة.

(٦) في أ وهـ: إلى أبيه المهلب.

(٧) في أ وس وهـ: كان بحضرته. وزاد في هـ: «الوشيجُ الرماح، شبّه الخيل الضُّمْرَ بها. وقال غيره: الوشيجُ أصل القناة، والخَطِّيُّ فروعها، وإنما تنسب الخطّي وشيجه [كذا] وينسب الخطي إلى قرية باليمن تعرف بالخط تنبت بها الرماح». وهذه زيادة مقحمة في الكتاب، وفي هذه النسخة كثير من الزيادات التي هي حواشٍ مقحمة في متن الكتاب.

ولكنك اتَّخَذْتَهم[1] أُكْلاً[2]، وكان بقاؤُهم أيسرَ عليك[3] من قِتالِهم، فناجِزْهُمْ وإلاَّ أنكرتَني، والسلامُ.

فقال المهلَّبُ للجرَّاحِ: يا أبا عُقْبَةَ، والله ما تركتُ حِيلةً إلاّ آحتَلْتُها، ولا مكيدةً إلاّ أعْملتُها، وما العَجَبُ من إبطاء النصرِ وتَراخِي الظّفرِ، ولكنَّ العجبَ أن يكونَ الرأيُ لمن يَمْلِكُه دونَ من يُبْصِرُهُ[4]!! ثم ناهَضهم ثلاثةَ أيامٍ، يُغَادِيهم القتالَ، فلا[5] يـزالون كـذلك إلى العصرِ، وينصرفُ أصحـابُه وبهم قَـرْحٌ[6]، وبالخوارج قَرْحٌ [٢/٢٦٦] وقَتْلٌ، فقال له الجَرَّاحُ[7]: قد أَعْذَرْتَ.

فكَتَبَ المهلَّبُ إلى الحجاج: أتاني كتابُك تَسْتَبْطِئُني في لقاء القوم، على [٦٧٤] أنك لا تَظُنُّ بي معصيةً ولا جُبْناً، وقد عاتَبْتَني مُعَاتَبَةَ الجبان، وأَوْعَدْتَني وَعِيدَ العاصي، فَآسْأَلِ[8] الجَرَّاحَ، والسلامُ[9].

فقال الحجَّاجُ للجرَّاح: كيف رأيتَ أخاك؟ قال واللهِ أيها الأميرُ ما رأيتُ[10] مثلَه قَطُّ ولا ظننتُ أنَّ أحداً يَبْقَى على مثلِ ما هو عليه، ولقد شهدتُ أصحابَه أياماً

---

(١) في ر: «اتخذت» وهو خطأ من رايت، ففي جميع النسخ «اتخذتهم»، وقد صححه في جزء التعليقات.

(٢) بهامش أ ما نصّه: «ابن شاذان: قال أبو عُمَرَ: الأُكْلُ: الرزقُ، يقال: إنَّه لعظيم الأُكْلِ في الدنيا أي عظيم الرزق، ومنه قيل للميت: انقطع أُكْلُه».

(٣) في ف وس: عليك أيسر.

(٤) في الأصل: لا لمن يبصره.

(٥) في أ وس وهـ: ولا.

(٦) في س: قرح وقتل.

(٧) ليس في أ.

(٨) في الأصل وف وظ: «فَسَلِ»، ورسم في ي: «فَسْئَلِ».

(٩) زاد في هـ: «القرح: الجراح، وتلا: إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله». وهذه حاشية مقحمة في متن الكتاب.

(١٠) في أ: ما رأيت أيها الأمير.

ثلاثةً يَغْدُون إلى الحربِ ثم ينصرفون عنها وهُم بها[1] يَتَطاعَنُون بالرماحِ، ويَتَجالَدُون بالسيُّوف ويَتَخابَطُون بالعَمَدِ، ثم يَرُوحُونَ كأَنْ[2] لم يصنعوا شيئاً، رَواحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتُهم. فقال له[3] الحجاجُ: لَشَدَّ مَا مَدَحْتَهُ أبا عُقْبَةَ[4]! قال: الحقُّ أَوْلَى.

وكانت رُكُبُ الناسِ قديماً من الخَشَبِ، فكان الرجلُ يُضْرَبُ رِكابُهُ فينقطعُ، فإذا أراد الضَّرْبَ أو الطَّعْنَ لم يكن له مُعْتَمَدٌ فأمر المهلَّبُ فضُرِبَتِ الرُّكُبُ من الحديد، وهو[5] أولُ مَنْ أمر بطَبْعِها، ففي ذلك يقول عِمْرانُ بنُ عِصامٍ العَنْبَرِيُّ[6]:

ضَرَبُوا الدَّراهمَ في إمارَتِهِمْ ... وضَرَبْتَ للحَدَثانِ والحَرْبِ
حَلَقاً تُرَى منهبا مَرافِقُهم ... كَمَناكِبِ الحَمَّالةِ[7] الجُرْبِ

***

وكَتب الحجاجُ إلى عَتَّابِ بن وَرْقاءَ الرِّياحيِّ، من بني رِياحِ بنِ يربوعِ بنِ حَنْظَلَة، وهو وَالِي أَصْبَهَانَ[8]، يأْمُرُه بالمسير إلى المهلَّب وأن يَضُمَّ إليه جُنْدَ عبدِ الرحمن بنِ مِخْنَفٍ، فكلُّ بلدٍ تَدْخُلانِه[9] من فتوح أهل البصرة فالمهلَّبُ أميرُ

---

(١) من أ وب وس و هـ.
(٢) في هـ: كأنهم.
(٣) ليس في أ وب وس ود وهـ.
(٤) في ف و د: يا أبا عقبة.
(٥) في الأصل وف وظ وهـ وي: فهو.
(٦) في أ وب و هـ: «العَنَزِيُّ»، وفي د: «العبري»، وفي الأصل: «العبدي»؟.
(٧) في أ وي وهـ: «الجمَّالة»؟ وانظر الحاشية (٥) من الصفحة التالية. ولعل الصواب ما أثبت. وفي الأصل: مرافقها. وضبط في الأصل ود وي: تَرى منها مرافقَها.
(٨) بهامش أ ما نصّه: «قال أبو يعقوب: هي إصْبَهان بكسر الهمزة، إصْبَه هو العسكر بالفارسية، وإصبهان: العساكر». قلت: قد نصّ ياقوت على أنّ منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها آخرون. انظر معجم البلدان ١/٢٠٦.
(٩) في أ وهـ: يدخلانه.

الجماعة فيه، وأنتَ على أهل الكوفة، فإذا دَخَلْتُم بلداً فَتْحُهُ لأهل الكوفة فأنتَ أميرُ الجماعة فيه[1]، والمهلّب على أهل البصرة.

فقَدِمَ عَتّابٌ في إحدى جُمادَيَيْنِ من سنة سِتٍّ وسبعين على المهلّب، وهو بسابورَ، وهي[2] من فُتوح أهل البصرة فكان المهلّبُ أميرَ الناسِ[3]، وعتابٌ على أصحاب آبنِ مِخْنَفٍ، والخوارجُ في أيديهم كِرْمانُ[4]، وهم بإزاءِ المهلَّب بفارسَ يحاربونه من جميع النَّواحي[5]. [٦٧٥]

فوَجَّهَ الحجاجُ إلى المهلَّبِ رجلين يَسْتَحِثَّانِهِ بمُناجَزَةِ[6] القوم، أحدُهما يقال له زِيادُ بنُ عبد الرحمن، من بني عامرِ بنِ صَعْصَعةَ، والآخرُ من آل أبي عَقِيلٍ جدِّ الحجاجِ، فضَمَّ زياداً إلى آبنِهِ حَبيبٍ، وضَمَّ الثَّقَفيَّ إلى ابنه يزيد[7]، وقال لهما: خُذَا يزيدَ وحبيباً بالمناجَزَةِ، فَغَادَوُا الخوارجَ فآقْتَتَلُوا أشدَّ قتالٍ، فقُتِلَ زيادُ بنُ عبد الرحمن، وفُقِدَ الثَّقَفيُّ، ثم بَاكَرُوهُمْ في اليوم الثاني وقد وُجِدَ الثقفيُّ، فدَعَا به المهلَّبُ ودَعَا بالغَدَاء، فجعل النَّبْلُ يقع قريباً منهم، والثقفيُّ يَعْجَبُ من أمر المهلَّبِ، فقال الصَّلتَانُ العَبْدِيُّ:

---

(١) ليس في أ وب و ي وهـ.

(٢) في الأصل وف وظ ود: وهو.

(٣) في الأصل: الجماعة.

(٤) بهامش أ ما نصُّه: «قال الشيخُ أبو يعقوب: هي كِرْمان بكسر الكاف لا غير، ومعناها دِبدانٌ جمع دُودٍ، كِرْم: دودٌ، وكِرْمان: ديدان». قلت: قد نصّ ياقوت على أنه بالفتح قال: وربما كسرت، والفتح أشهر بالصحة. معجم البلدان ٤/٤٥٤.

(٥) زاد في هـ: «قال أبو العبا [س يقال جمّا] لةٌ لأصحاب الجمال كما يقال بغّالة لأصحاب الـ[بغال]... أن يكون عنى أن هذه الركب الحديد تؤثر... كتأثير الكدّ في مناكب الحمالين وقد... يصك الراجل بركابه الحديد فيوهن مرفقه حتى يصير كمنكب الجمل الأجرب كما قال:

إذا شئت لاقيتني مسلماً تزاحم كالجمل الأجرب

قال: والجمل الأجربُ يُتَوَقَّى لجربه كما يُتَوَقَّى هذا في الحرب»؟!.

(٦) في أ وس: يستحثانه مناجزة.

(٧) في أ: إلى يزيد ابنه.

أَلاَ ياصْبَحاني[1] قَبْلَ غَوْقِ العَوائق ... وقبلَ آخْتراطِ القَوْمِ مِثلَ العَقَائِقِ [١/٢٦٧]
غـداةَ حَبيبٌ في الحَدِيـد يَقُـودُنـا ... نَخوضُ المَنايا في ظِلال الخَـوَافِقِ
حَرُونٌ إذا ما الحَرْبُ طار شَرارُها ... وهاجَ عَجاجُ الحَرْبِ فَوْقَ البَوارِقِ
فَمَنْ مُبْلِغُ الـحَجَّـاجِ أَنَّ أَمِينَـهُ ... زِيـاداً أَطـاحَـتْـهُ رِمـاحُ الأَزارِقِ

قوله: وقَبْلَ اختراطِ القوم مثلَ العقائِق

يعني السُّيوفَ، و«العقائِقُ» جمع عَقِيقَةٍ، يقال: سيف كأنه عَقِيقَةُ بَرْقٍ[2]، أي كأنه لَمْعَةُ برقٍ، ويقال: انْعَقَّ البرقُ: إذا تَبَسَّمَ. وللعقيقةِ مواضعُ، يقال: فلانٌ بعَقِيقَةِ الصَّبَى[3]، أي بالشَّعْرِ الذي وُلِدَ به لم يَحْلِقْه، ويقال: عَقَقْتُ الشيء أي قطعتُه، ومِنْ ذا يَعُقُّ[4] أَبَوَيْهِ، وكذا[5] عَقَقْتُ عن الصبي: إذا ذبحتَ عنه، وقال أعرابيٌّ[6]:

أَلم تَعْلَمِي يـا دارَ بَـلْجَـاءَ أَنَّنـي ... إذا أَجْدَبَتْ أو كان خِصْباً جَنَابُهـا
أَحَبُّ بـلادِ الله ما بين مُشْـرِفٍ[7] ... إليَّ وسَلْمَى أنْ يَصُـوبَ سَحـابُهـا
بـلادٌ بهـا عَقَّ الشبـابُ تَميمَتي[8] ... وأولُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرابُها[9]

---

(١) في ب وهـ: ألا فاصبحاني.
(٢) من أ وحدها.
(٣) في ي: الصَّبِيِّ.
(٤) في أ وهـ: فلان يعقُّ.
(٥) في س و ف: وكذلك.
(٦) بهامش الأصل ما نصُّه: «هو أبو الصعبي [كذا] واسمه رفاعة بن قيس». وقد سلفت الأبيات ص ٨٤٢ ونقلنا ثمة أنها تنسب لرفاع بن قيس الأسدي ولأبي النضير الأسدي ولامرأة طائية.
و«رفاع» كذا وقع في اللسان ووقع في التاج «رقاع» ولعل الصواب: «رفاعة» كما قال صاحب الحاشية.
(٧) في ب و س ود وي وهامش الأصل: «مشرق» وعليه بهامش الأصل «ف» يعني رواية ابن الإفليلي. وهو في الأصل بالفاء وعليه «ع» يعني رواية أبي علي.
وانظر ما سلف.
(٨) في الأصل: تمائمي.
(٩) بعده في ف: «وقال العنبريُّ:

فلم يَزَلْ عَتَّابُ بنُ وَرْقاءَ مع المهلَّب ثمانيةَ أشهرٍ، حتى ظَهَرَ شَبِيبُ، فكَتب الحجاجُ إلى عتّابٍ يأمره بالمصير[1] إليه ليوجِّهه إلى شبيب، وكَتب إلى المهلَّب [٦٧٦] يأمُرُه[2] بأنْ يَرْزُقَ الجنْدَ، فرزَق المهلَّبُ أهلَ البصرة، وأَبَى أنْ يرزقَ أهلَ الكوفة، فقال له عتَّابٌ: ما أنا ببارحٍ حتى ترزقَ أهلَ الكوفة[3]، فأبَى، فجَرتْ بينهما غِلْظَةٌ، فقال عتَّابٌ: قد كان يبلُغني أنَّك شجاعٌ فرأيتُك جَباناً، وكان يبلُغني أنَّك جوادٌ فرأيتُك بخيلاً، فقال له المهلَّبُ: يابن اللَّخْنَاءِ! فقال له عتَّابٌ: لكنَّك مُعَمٌّ مُخْوَلٌ[4] !! فغضبتْ بَكْرُ بنُ وائلٍ للمهلَّبِ لِلْحِلْفِ، فوثَبَ[5] ابنُ نُعَيْمِ بنِ هُبَيْرَةَ ابنِ أخي[6] مَصْقَلَةَ على عتّابٍ فشتَمه، وقد كان المهلَّب كارهاً للحِلْفِ، فلما رَأَى نُصْرَةَ بكرِ بنِ وائل له سَرَّهُ الحِلْف وآغتَبَطَ به، ولم يزل يُؤَكِّدُه، فغضبتْ تميمُ البصرةِ لعتَّاب، وغضبت أَزْدُ الكوفةِ للمهلَّبِ[7].

فلما رأى ذلك المغيرةُ بنُ المهلَّب مَشَى بين أبيه وبين عتَّابٍ، فقال لعتَّابٍ:

= وكيف يضلّ العنبري ببلدة ... بها قطعت عنه سبور التمائم»
وهو تعليق أدخل في المتن.

(١) في س وف وي وهـ: بالمسير.

(٢) ليس في أ.

(٣) «فقال له.. الكوفة» ليس في د و ي.

(٤) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: حدثني أبو عمر عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يقال: رجل مُعَمٌّ مُخَوَّلٌ ومُعِمٌّ مُخَوِّلٌ: إذا كان كريم الأعمام والأخوال».

(٥) في أو هـ: ووثب.

(٦) في د: أبي، وهو تحريف. فنعيم ومصقلة ابنا هبيرة بن شبل بن يثربيّ بن امرىء القيس بن ربيعة بن مالك ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. انظر جمهرة أنساب العرب ٣٢١.
وابن نعيم اسمه بسطام كما في هامش الأصل.

(٧) بعده في هـ: «قال أبو العباس: تحالف الأزد وربيعة بعد الإسلام، وادَّعَوْا أنّ ذلك كان قديماً في الجاهلية، لقول النبي عليه السلام: «لا حِلْفَ في الإسلام، وكلُّ حِلْفٍ في الجاهلية فلن يزيده الإسلام إلا شدةً. والحِلْفُ العهد والصحبة، والحليف الصاحب. وإنما نهى رسول الله ﷺ عن الحِلْف في الإسلام لئلا يعين مِسْلمٌ على مسلمٌ، فأما ما مضى فقد ثبت به حرمة لا يزيدها الإسلام إلا شدة».

يا أبا ورْقاءَ، إنَّ[1] الأمير يَصِيرُ لك[2] إلى كُلِّ ما تُحِبُّ، وسأل أباه أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة، فأجابه، فصَلَحَ الأمْرُ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعَتّابُ بنُ ورقاءَ يَحْمَدُونَ المُغيرةَ ابنَ المهلَّب، وقال عتّابٌ: إني لأعرفُ فضلَه على أبيه، وقال رجلٌ من الأزد من بني إيَادِ بنِ سُودٍ:

أَلَا أَبْـلِغْ أبـا[3] وَرْقَـاءَ عنَّـا ... فـلولا أنَّنـا كُـنَّـا غِـضَـابَـا
على الشَّيْخِ المهلَّبِ إذْ جفانا ... لَـلاَقَتْ خيلُكم مِنَّـا ضِـرابَـا

***

وكان المهلَّبُ يقولُ لبنيه: لا تَبْدَؤُوهُم بقتالٍ حتى يَبْدؤُوكم [٢/٢٦٧] فيَبْغُوا عليكم، فإنَّهم إذا بَغَوْا نُصِرْتُمْ عليهم.

فَشَخَصَ عَتَّابٌ[4] إلى الحجاج في سنة سبعٍ وسبعين[5]، فوجَّهَه إلى شَبيبٍ، فقتله شَبيبٌ، وأقام المهلَّبُ على حربهم، فلما انقضَى من مُقامِهِ ثمانيةَ عشَر شهراً آختلفوا[6].

وكان سببُ آختلافهم أنَّ رجلاً حدَّاداً من الأزارقة كان يَعْمَلُ نِصَالاً
[٦٧٧] مسمومةً، فَيُرْمَى بها أصحابُ المهلَّبِ، فرُفِعَ ذلك إلى المُهَلَّبِ فقال: أنا أكْفِيكُمُوه إن شاء الله. فوَجَّهَ رجلاً من أصحابه بكتابٍ وألف درهمٍ إلى عسكرِ قَطَرِيٍّ فقال: ألْقِ هٰذَا الكِتابَ في العسكرِ[7] واحْذَرْ على نفسِك، وكان الحدَّادُ

---

(١) ليس في الأصل.
(٢) ليس في الأصل وهـ وي.
(٣) في أ: بني.
(٤) في أ وس: عتاب بن ورقاء.
(٥) في الأصل ود وي: وتسعين، وهو خطأ.
(٦) بهامش الأصل: اختلفت كلمتهم.
(٧) في أ وهـ: في عسكر قطري.

يقال له أَبْزَى[1]، فمَضى[2]، وكان[3] في الكتاب: أما بعدُ، فإنَّ نِصَالكَ قد وَصَلَتْ إليَّ، وقد وجَّهْتُ إليك بألفِ درهمٍ، فاقْبِضْها وزِدْنَا من هذه النِّصَالِ. فوَقَعَ الكتابُ والدَّراهمُ[4] إلى قطريٍّ، فَدَعَا بأَبزَى، فقال: ما هذا الكتابُ؟ قال: لا أَدْرِي، قال: فهذه الدراهمُ؟ قال: ما أَعْلَمُ عِلْمها، فأمر به فَقُتِلَ، فجاءه عبدُ رَبِّهِ الصغيرُ مَوْلَى بني قيسِ بنِ ثَعْلَبَة فقال له: أَقَتَلْتَ رجلاً على غير ثقةٍ ولا تَبَيُّنٍ؟! قال[5]: فما[6] حالُ هذه الدراهمِ؟ قال: يجوز أن يكون أمرُها كَذِباً ويجوزُ أن يكون حقّاً، فقال له قطريٌّ: فَقَتْلُ[7] رجلٍ في صلاح الناس غيرُ مُنْكرٍ، وللإمام أن يَحكم بما رآه[8] صلاحاً، وليس للرعية أن تعترضَ عليه، فَتَنَكَّرَ له عبدُ رَبِّهِ في جماعةٍ معه[9]، ولم يُفارِقوه.

فبلغَ ذلك المهلَّبَ فَدَسَّ إليه رجلاً نصرانيّاً، فقال له: إذا رأيت قَطَرِيّاً فاسْجُد له، فإذا نَهَاكَ فقل: إنما سجدتُ لك، ففعلَ النصرانيُّ، فقال له قطريٌّ: إنما السجودُ لله، فقال: ما سجدتُ إلاَّ لك، فقال له رجلٌ من الخوارج: قد عَبَدَكَ من دُونِ الله، وتَلَا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[10] فقال له[11] قطريٌّ: إنَّ هؤلاء النصارى قد عَبدُوا عيسى ابنَ مريمَ[12]

---

(١) في هـ: وكان يقال للحداد أبزى.

(٢) في أ: فمضى الرسول.

(٣) في الأصل وس وي وف وهـ: فكان.

(٤) من أ وهـ.

(٥) في أ و هـ: فقال. وزاد في أ وس وهـ: له.

(٦) في أ: ما. وفي ب و د: فما بال. وفي هـ: فقال له قطري فما.

(٧) في أ: قتلُ.

(٨) في هـ: يراه.

(٩) ليس في أ و س ود.

(١٠) سورة الأنبياء: ٩٨.

وبهامش أ ما نصُّه: «قال ابن شاذان: قال أبو عُبَيْدَة: كلُّ شيء ألقيتَه في النار فهو حَصَبٌ لها. ويقال: حَصَبْتُ النارَ أَحْصِبُها حَصْباً: إذا ألقيتَ فيها حطباً». اهـ. وانظر مجاز القرآن ٢/٤٢.

(١١) ليس في أ وهـ.

(١٢) في هـ: قد عبدوا ابن مريم من دون الله.

فما ضَرَّ عيسى ذلك[1] شيئاً، فقام رجل من الخوارج إلى النصرانيِّ فقتَلَه، فأنكر ذلك عليه قَطَرِيٌّ[2] وقال[3]: أَقَتَلْتَ ذِمِّيّاً؟! فاختلفتِ الكلمةُ فبلَغَ ذلك المهلَّبَ، فوَجَّهَ إليهم رجلاً يسألهم عن شيءٍ تَقَدَّم به إليه، فأتاهم الرجلُ فقال: أرأيتم رجلين خَرَجَا مُهَاجِرَين إليكم، وماتَ[4] أحدُهما في الطريق وبَلَغَكُمُ الآخَرُ فأمْتَحَنْتُمُوه فلم يُجِزِ المحنةَ، ما تقولون فيهما؟ فقال بعضُهم: أمَّا الميِّتُ فمؤمنٌ من أهل الجنة، وأمَّا الذي[5] لم يُجِزِ المحنةَ فكافرٌ حتى يُجيزَها، وقال قومٌ[6] آخرون: بل هما كافران حتى يُجيزَا المحنةَ، فكثُر الاختلافُ. [٦٧٨]

فخرج قطريٌّ إلى حدود إصْطَخْرَ، فأقام شهراً والقومُ في اختلافهم، ثم أقبلَ، فقال لهم صالح بنُ مِخْراقٍ[7]: يا قومِ [١/٢٦٨]! إنكم قد أَقْرَرْتُم أَعْيُنَ عدوِّكم وأَطْمَعْتُمُوهم فيكم، لِمَا ظهرَ من آختلافكم، فعودوا إلى سلامة القلوب وآجتماعِ الكلمة.

وخرج عَمْرُو القَنَا فنادَى: يا أيها المُجلُّونَ! هل لكم في الطِّرَادِ فقد طال العهد به[8]؟ ثم قال:

ألم تَـرَ أنَّـا مُـذْ ثـلاثـون ليلةً قَريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْضِ

فَتَهايَجَ القومُ وأسرعَ بعضُهم إلى بعضٍ، فأبْلَى يومئذ المغيرةُ بنُ المُهَلَّبِ،

---

(١) في أ وب ود: ذلك عيسى. وفي هـ: مما ضر عيسى من ذلك شيء.
(٢) من أ وهـ. وفي هـ: فأنكر ذلك قطري عليه.
(٣) زاد في ب ود وف: له.
(٤) في أ و د وهـ: فمات.
(٥) في أ: الآخر الذي.
(٦) في ب ود وي وف وظ والأصل: فقال له قوم.
(٧) بهامش الأصل ما نصُّه: «هومولى قريش. وقال بعضُهم: مولى آل مَصْقَلَة الشيبانيّ».
(٨) من أ وهـ.

وصار في وسَطِ الأزارقة، فجعلت الرِّماحُ تَحُطُّهُ وتَرْفَعُه، وآعْتَوَرَتْ رأسَه السُّيوفُ، وعليه ساعدُ حديدٍ، فوضع يَدَه على رأسِه، فجَعَلت السيوفُ لا تَعمَل فيه[1] شيئاً، وآستنقذه فُرْسانٌ من الأزدِ بعدَ أنْ صُرِعَ، وكان الذي صَرَعَهُ عَبِيدَةُ بنُ هِلالٍ، وهو يقولُ:[2]

أنـا آبنُ خَيْـرِ قـومِـهِ هِـلالِ شيـخٍ على دِيـنِ أبي بِـلالِ
وذاكَ دِيني آخرَ اللّيالي

فقال رجلٌ للمغيرة: كُنَّا نَعْجَبُ كيف تُصْرَعُ، والآنَ نعجبُ كيف تَنْجُو!!

وقال المهلَّبُ لِبَنِيهِ: إنَّ سَرْحَكم لغَارٌّ، ولستُ آمَنُهم عليه، أفوَكَّلْتُمْ بـه أحداً؟ قالوا: لا، فلم يَسْتَتِمَّ[3] الكلام حتى أتاه آتٍ فقال: إنَّ صالحَ بنَ مِخْراقٍ قد أغارَ على السَّرْحِ، فشَقَّ ذلك[4] على المهلَّبِ، وقال: كلُّ أمرٍ لا أَلِيهِ بنفسي فهو ضائعٌ، وتَذَمَّرَ عليهم، فقال له بِشْرُ بنُ المغيرة: أرِحْ نفسَك، فإنْ كنتَ إنما تريدُ مِثْلَك فوالله لا يَعْدِلُ أحدُنا شِسْعَ[5] نَعْلِكَ، فقال: خُذُوا عليهم الطَّريقَ، فثار بِشْرُ ابنُ المغيرة ومُدْرِكٌ والمُفَضَّلُ ابنا المهلَّبِ، فسَبَقَ بشرٌ إلى الطريق، فإذا رجلٌ أسودُ [٦٧٩] من الأزارقة يَشُلُّ السَّرْحَ[6]، أي يَطْرُدُهُ، وهو يقولُ:

---

(١) من أ وس ود.

(٢) انظر ما سلف من التعليق على ضبط عبيدة ص ١١٨٣ والأبيات في شعر الخوارج ٩٧.

(٣) في هـ: يُتِمّ.

(٤) من أ و ف وظ.

(٥) في د وي: بشسع.

(٦) بهامش أ ما نصُّه: والمُهلَّبِيُّ: السَّرْحُ: المالُ الذي يُسَامُ في المَرْعَى من الأنعامِ، يقال: سَرَحَ القومُ إبلَهُمْ سَرْحاً، وسَرَحَتِ الإبلُ سَرْحاً، والمَسْرَحُ: مَرْعَى السَّرْحِ، ولا يُسَمَّى من المالِ سَرْحاً إلاَّ ما يُغْدَا بِه ويُراحُ، والجمعُ السُّرُوحُ، والسَّارِحُ يكونُ اسماً للرّاعي الذي يَسْرَحُ الإبلَ، ويكونُ السَّارِحُ اسماً للقومِ الذين لهم السَّرْحُ».

نحنُ قَمَعْناكُمْ بِشَلِّ السَّرْحِ وقد نَكَأْنا القَرْحَ بعدَ القَرْحِ [1]

«الشَّلُّ» الطَّرْدُ، ويقال: «نَكَأْتُ القَرْحَةَ» مهموزٌ، و«نَكَيْتُ العَدُوَّ» غيرُ مهموزٍ مِنَ النِّكايَةِ، و«نَكَأْتُ القَرحةَ نَكْأً» قال ابنُ هَرْمَة [2]:

ولا أرَاها تَزالُ ظالِمةً تُحْدِثُ لي قَرْحَةً وتَنْكَؤُهَا

ولَحِقَهُ [3] المفضَّلُ ومُدْرِكٌ، فصاحَا برجل من طَيِّءٍ: اكْفِنَا الأَسْوَدَ، فاعْتَوَرَهُ [4] الطَّائِيُّ وبِشْرُ بنُ المغيرة فقتلاه، وأسرَا رجلاً من الأزارقة، فقال له المهلَّبُ: مِمَّن الرجلُ؟ قال: رجلٌ من هَمْدَانَ، قال: إنَّكَ لَشَيْنُ هَمْدانَ، وخَلَّى سبيلَه.

وكان [5] عَيَّاشٌ الكِنْدِيُّ شُجاعاً بَئِيساً [6]، فأبْلَى يومئذٍ، ثم مات بعد ذلك على فراشه [7]. فقال المهلَّبُ: لا وَأَلَتْ نفسُ الجَبَانِ بعد عَيَّاشٍ [8].

وقال المهلَّبُ: ما رأيتُ كهؤلاء [9] كلَّما يُنْقَصُ [10] منهم يَزيدُ فيهم.

***

(١) بهامش أ ما نصه: «قال ابنُ شاذانَ: قال الخليلُ: تقولُ قَمَعْتُ فلاناً فَانْقَمَعَ، اي ذَلَّلْتُهُ فَذَلَّ وأَخْبَأْ فَرَقاً. وقال مُؤَرِّجٌ: قَمَعْتُ الرجلَ أَقْمَعُهُ قَمْعاً: إذا ضربتَ رأسَهُ».

(٢) سلف البيت ص ٧٩٢.

(٣) كذا في أ وي. وفي سائر النسخ: «ولحق». والصواب ما أثبت.

(٤) بهامش أ ما نصُّه: «ابن شاذان: يقال: تَعَاوَرَ القومُ فلاناً وَاعْتَوَرُوه ضَرْباً أي كلُّها كَفٌّ واحدٌ ضَرَبَه آخر. والتَّعاوُرُ: التَّداوُلُ».

(٥) في ف: قال وكان.

(٦) بهامش أ ما نصُّه: «قال ابنُ شاذان: «بَؤُسَ الرجلُ يَبْؤُسُ بَأْساً فهو بَئِيسٌ: إذا كان شديدَ البأس».

(٧) في أ: على فراشه بعد ذلك.

(٨) بهامش الأصل ما نصه: «وألت: نجت. وعَظَّمهم بذلك، يقول: لا يجب للجبان أن يجبن عن القتال إذا مات عياش على فراشه غير مقتول».

(٩) في الأصل: مثل هؤلاء.

(١٠) في أ وهـ: كلُّ ما ينقص.

وَوَجَّهَ الحجاجُ إلى المهلَّب رجلين، أحدُهما من كَلْب، والآخَرُ من سُلَيم، يَسْتَحِثَّانه بالقتالِ، فقال المهلَّبُ متمثِّلاً: [٢/٢٦٨]. [٦٨٠]

ومُسْتَعْجِبٍ ممَّا يَرَى من أنَاتِنَا ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يتَرَمْرَمِ

الشِّعْرُ لأَوْسِ بنِ حَجَرٍ[١].

وقوله «زَبَنَتْهُ الحربُ[٢]» أي[٣]: دَفَعَتْهُ. و«لم يتَرَمْرَمِ» أي لم يَتَحَرَّكْ، يقال: قيلَ له كذا وكذا فلم يَتَرَمْرَمْ[٤].

وقال لِيَزِيدَ: حَرِّكْهُمْ، فَحَرَّكَهُمْ فَتَهَايَجُوا، وذلك في قريةٍ من قرَى إصْطَخْرَ، فحمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحاب المهلَّبِ فطَعَنه، فَشَكَّ فَخِذَهُ بالسَّرْجِ، فقال المهلَّبُ للسُّلَمِيِّ والكَلْبِيِّ: كيف[٥] نُقاتل قوماً[٦] هذا طَعْنُهم؟

وحَمَلَ يزيدُ عليهم وقد جاءَ الرُّقَادُ، وهو من فرسانِ المهلَّبِ وهو أحدُ بني مالكِ بنِ رَبيعةَ، على فرسٍ له أَدْهَمَ، وبه نيِّفٌ وعشرون جِراحةً، وقد وَضَع عليها القُطْنَ، فلما حَمَلَ يزيدُ ولَّى الجمعُ وحَمَاهم فارسانِ، فقال يزيدُ لِقَيْسٍ الخُشَنِيِّ مَوْلَى العَتيكِ: مَنْ لِهٰذَيْنِ؟ قال: أنا، فَحَمَل عليهما، فعَطَفَ عليه أحدُهما، فطعنه قيسٌ[٧] فصَرَعَه، وحملَ عليه الآخرُ فعانَقَه، فسَقَطَا جميعاً إلى الأرضِ، فصاحَ قَيْسٌ الخُشَنِيُّ، اقتُلُونا جميعاً، فحمَلَتْ خيلُ هؤلاء وخيلُ هٰؤُلاءِ فحجزوا بينهما، فإذا مُعَانِقُه امرأةٌ! فقام قيسٌ مُسْتَحْيِياً، فقال له يزيدُ: أمَّا أنت فبارَزْتَها على أنها

---

(١) ديوانه ق ٢٥/٤٨ ص ١٢١.
(٢) ليس في أ.
(٣) في أ وس: يقول.
(٤) في أ: فما ترمرم.
(٥) ليس في الأصل.
(٦) في ب وس ود وي: كيف يُقاتَلُ قومٌ.
(٧) في أ وهـ: قيس الخشني.

رجلٌ، فقال: أرأيتَ لو[1] قُتِلْتُ أمَا كان يُقالُ قَتَلَتْهُ امرأةٌ؟!

وأَبْلَى يومئذٍ ابنُ المُنْجِبِ السَّدُوسِيُّ، فقال له غلامٌ له[2] يقال له خِلاجٌ: والله لَوَدِدْنَا أنَّا فَضَضْنَا عَسْكَرَهم حتى نَصِيرَ[3] إلى مُسْتَقَرِّهِمْ فأَسْتَلِبَ مما هناك جاريتين، فقال له مولاه: وكيف تَمَنَّيْتَ اثنتين؟ قال: لأُعْطِيَكَ إحداهما وآخذَ الأُخرى! فقال ابنُ المُنْجِبِ:

أَخِلَاجُ إنَّك لَنْ تُعَانِقَ[4] طَفْلَةً ... شَرِقاً بها الجَادِيُّ كالتِّمْثَالِ
حتى تُلاقِيَ في الكَتيبةِ مُعْلِماً ... عَمْرَو القَنَا وعَبيدةَ بنَ هلالِ
وتَرَى المُقَعْطَر في الكَتيبة مُقْدِماً ... في عُصْبةٍ قَسَطُوا مَعَ الضُّلَّالِ
[٦٨١] أو أنْ يُعَلِّمَكَ المهلَّبُ غَزْوةً ... وتَرَى جِبالاً قَدْ دَنَتْ لِجِبالِ

قوله «طَفْلَةً» يقول ناعمةً، وإذا كسرتَ الطاء فقلت «طِفلةً» فهي الصغيرة. و«الجادِيُّ» الزعفرانُ. و«الكَتِيبَةُ» الجيشُ، وإنما سُمِّيَ الجيشُ كتيبةً لانضمام أهلها[5] بعضِهم إلى بعضٍ، وبهذا سُمِّيَ الكتابُ، ومنه قولهم كَتَبْتُ البغلةَ والناقةَ إذا خَرَزْتَ ذلك الموضعَ منها وكَتَبْتُ القِرْبَةَ. و«المُعْلِمُ»: الذي قد شَهَرَ نَفْسَه بعَلَامةٍ، إمَّا بعمامةٍ صَبيغٍ، وإمَّا بِمُشَهَّرةٍ، وإمَّا بغير[6] ذلك. وكان حمزةُ بن عبد المُطَّلِب رضوانُ الله عليه مُعْلِماً يومَ بدرٍ بريشةِ نَعامةٍ في صدره، وكان أبو دُجَانَةَ، وهو سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ الأنصاريُّ، يومَ أُحُدٍ لَمَّا قال رسول الله ﷺ «مَنْ يَأْخُذُ سيفي

---

(١) في الأصل وب وس: أن لو.
(٢) ليس في الأصل.
(٣) في أ: أصير.
(٤) في ي: لم تعانق، وفي هـ: لو تعانق.
(٥) من ف وظ وهـ. وفي أ: أهله.
(٦) كذا في أ وهـ. وفي سائر النسخ: أو بغيره.

هذا بِحَقِّهِ؟ فقالوا[1]: وما حَقُّهُ [١/٢٦٩] يا رسول الله؟ قال: أَنْ يُضْرَبَ[2] به في العدوِّ حتى يَنْحَنِيَ، فقال أبو دُجَانَةَ: أنا، فَدَفَعَه إليه، فَلَبِسَ مُشَهَّرَةً فأَعْلَمَ بها، وكان قومُه يَعْلَمُونَ لِما بَلَوْا منه أنه إذا لَبِسَ تلك المُشَهَّرَةَ لم يُبْقِ في نفسِهِ غايةً[3]، فخَرَجَ[4] يَتَمَشَّى[5] بين الصَّفَّيْنِ، فقال رسولُ الله ﷺ: إنها لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُها الله عزّ وجلّ إلَّا في مثل هذا الموضع»[6]. وسَمِعَ[7] عليّاً صلواتُ الله عليه يقولُ لفاطمةَ ورَمَى إليها بسيفِه فقال: هاكِ[8] حَمِيداً فاغْسِلِي الدَّمَ عنه[9]، فقال رسول الله ﷺ: «لَئِنْ كنتَ صَدَقْتَ القتالَ اليومَ لقد صَدَقَهُ معك سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ وسَهْلُ بن حُنَيْفٍ[10] والحارثُ بنُ الصِّمَّةِ»[11] وفي بعض الحديث «وقَيْسُ بنُ الرَّبِيعِ» وكلُّ هؤلاءِ من الأنصارِ.

***

عاد الحديث[12]

وعَمْرُو القَنَا من بني سعدِ بنِ زيدِ مَنَاةَ بنِ تميمٍ، وعَبِيدةُ بنُ هلالٍ من بني

---

(١) في أ: قالوا. وفي هـ. قال.

(٢) في الأصل: حقه أن يضرب.

(٣) زاد في أ وس وهـ: «ففعل».

(٤) في أ و ب ود وهـ: وخرج.

(٥) في أ: يمشي.

(٦) الحديث أخرجه ابن هشام في السيرة ٣/٧١، وانظر سير أعلام النبلاء ١/٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٧) في أ: ويروى أنّ رسول الله ﷺ سمع.

(٨) في س: هاكه.

(٩) في أ: عنه الدم.

(١٠) زاد في ب: «وهو الذي قال لرسول الله ﷺ يوم بايعه: أبايعك يا رسول الله على أن لا أخرّ إلا قائماً. قوله: على أن لا أخرّ إلا قائماً يعني أن لا أموت إلا مسلماً، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ فلما خرّ تبيّنت الجنّ ﴾» وهذه حاشية أقحمت في المتن.

(١١) الحديث بنحوه أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٤٠٩، ٤١٠ وليس فيه «قيس بن الربيع» وانظر الإصابة ٣/٢٤٦ برقم ٧١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٢٩.

(١٢) زاد في أ: «إلى ذكر الخوارج».

يَشْكُرَ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ، والذي طَعَنَ صاحبَ المهلَّبِ في فخذه فشكَّهَا مع السَّرْجِ
[٦٨٢] من بني تميمٍ، قال[١]: ولا أَدْرِي أَعَمْرٌو هو أم غيرُه، والمُقَعْطَرُ من عَبْدِ القَيْسِ.

وقوله «قَسَطُوا» أي[٢] جَارُوا، يقال[٣]: قَسَطَ يَقْسِطُ فهو قاسِطٌ: إذا جار، قال الله جلَّ ثناؤُه: ﴿ وأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهنَّمَ حَطَباً ﴾[٤]. ويقال: أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ: إذا عَدَلَ، قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الله يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾[٥].

وكان بَدْرُ بنُ الهُذَيْلِ شجاعاً، وكان لَحَّانَةً، فكان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادَى: يا خَيْلِ[٦] الله ارْكَبِي! وله يقولُ القائلُ:

وإذا طَلَبْتَ إلى المهلَّبِ حاجةً ... عَرَضَتْ تَوَابِعُ دُونَه وعَبِيدُ
العبدُ كُرْدُوسٌ وعَبْدٌ مِثْلُه ... وعِلاَجُ بابِ الأَحْمَرَيْنِ شَدِيدُ

«كُرْدُوسٌ» رَجُلٌ من الأَزْدِ، وكان حاجِبَ المهلَّبِ. وقولُه «وَعِلاَجُ بابِ الأحمرين[٧]» العربُ تُسَمِّي العَجَمَ الحمراءَ، وقد مضى هذا[٨]. وقوله «تَوَابِعُ» أرادَ به الرجالَ، فجاز في الشِّعْرِ، وإنما[٩] رَدَّهُ إلى أصله للضَّرورة، وما كان من النعوت على «فَاعِلٍ» فَجَمعه «فاعلون» لئلاَّ يلتبسَ بجمع «فاعلةٍ» التي هي نعتٌ، وقد قلنا[١٠] في هذا ولِمَ قالوا «فوارِسُ» و«هَالِكٌ في الهوَالِكِ».

---

(١) القائل هوالمبرد، ولعل الوجه حذف «قال».
(٢) من أ وب و ف وظ.
(٣) في الأصل وب وس ود وي: ويقال.
(٤) سورة الجن: ١٥.
(٥) سورة المائدة: ٤٢، وسورة الحجرات: ٩، وسورة الممتحنة: ٨.
(٦) بكسر اللام، وههنا موضع لحنه، فالصواب فتحها.
(٧) زاد في أ وهـ: شديد.
(٨) في أ: وقد مر تفسير ذا. وانظر ما سلف ص ٥٧٩، ٦٥٠.
(٩) في الأصل: فإنما.
(١٠) انظر ما سلف ص ٥٧٤ ـ ٥٧٥.

وكان بِشْرُ بنُ المغيرة أبلَى يومئذٍ بلاءً حسناً عُرِفَ مكانُهُ فيه، وكانت بينَه وبينَ بَنِي[1] المهلَّبِ جَفْوةٌ، فقال لهم: يا بني عَمِّي[2]، إنِّي قد قصَّرتُ عن شَكاةِ[3] العاتِبِ، وجاوَزْتُ شكاةَ المُسْتَعْتِب، حتى كأنِّي لا مَوْصُولٌ ولا مَحْرُومٌ، فاجعلوا لي فُرْجَةً أعشْ[4] بها، وهَبُوني امرءاً رَجَوْتُم نَصْرَهُ أو خِفْتُم لسانَه. فرَجَعُوا إليه [5] ووَصَلُوه، وكلَّموا فيه المهلَّبَ فوصلَه.

ووَلَّى الحجاجُ كَرْدَماً فارسَ، ووَجَّهَهُ إليها[6] والحربُ قائمةٌ، فقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ: [٢/٢٦٩] [٦٨٣]

ولـو رَآهـا كَـرْدَمٌ لـكَـرْدَمَـا كَـرْدَمَـةَ العَيْـرِ أَحَسَّ الضَّيْغَمَـا

«الضَّيْغَمُ»: الأسدُ. و«الكَرْدَمَةُ»: النُّفُورُ.

***

فكَتَبَ المهلبُ إلى الحجاج يسألُه أن يتجافَى له[7] عن إصْطَخْرَ ودَرَابَجِرْدَ لأرْزَاقِ الجُنْدِ، ففعل، وقد[8] كان قَطَرِيٌّ هَدَمَ مدينةَ إصْطَخْرَ، لأنَّ أهلَها كانوا يكاتبون المهلَّبَ بأخباره، وأراد[9] مثلَ ذلك بمدينة فَسَا، فاشتراها منه أزَاذْ مَرْدُ[10] بنُ

---

(١) ليس في ب وهـ وي.

(٢) في أ: عمُ.

(٣) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: الشَّكاةُ والشِّكايةُ واحدٌ، قال أبو ذؤيب: وتِلْكَ شَكَاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها
يقال: شكوتُه أشكوه شكواً وشكايةً وشكاةً».

(٤) في ب و س ود وهـ وي: أعيش.

(٥) في أ ود وهـ وف وظ: له.

(٦) في أ: فوجهه الحجاج إليها.

(٧) ليس في الأصل وس وي وهـ.

(٨) ليس في أ.

(٩) في الأصل وس ود وي: فأراد.

(١٠) في ر: آ زاذ مرد.

الهِرْبِذِ بمائةِ ألفِ درهمٍ فلم يَهْدِمْها، فواقعه المهلَّبُ فهزمه فنفاه[1] إلى كَرْمانَ، وأَتْبَعَه المغيرةُ ابنُه[2]، وقد كان دفع إليه سيفاً وَجَّهَ به الحجاجُ إلى المهلَّب، وأقسم عليه أن يتقلَّده، فدَفَعَه إلى المغيرة بعد ما تَقَلَّده[3]، فرجع به المغيرةُ إليه وقد دَمَّاه، فَسُرَّ المهلَّبُ[4] وقال: ما يَسُرُّني أن أكونَ كنتُ قد[5] دَفَعْتُه إلى غيرك من وَلَدِي، اكْفِنِي[6] جِبايةَ خَراجِ هاتين الكُورَتَيْنِ، وضَمَّ إليه الرُّقَادَ، فَجَعلا يَجْبِيَان ولا يُعْطيانِ الجُنْدَ شيئاً، ففي ذلك يقول رجلٌ منهم، وأَحْسِبُه[7] من بني تميمٍ، في كلمةٍ له:

ولو عَلِم آبنُ يوسفَ ما نُلاَقِي ... من الآفاتِ والكُرَبِ الشِّدَادِ
لفاضتْ عَيْنُهُ جَزَعاً علينا ... وأَصْلَحَ ما آستطاعَ مِنَ الفسادِ
أَلاَ قُلْ للأميرِ جُزِيتَ خيراً ... أَرِحْنَا من مُغيرةَ والرُّقَادِ
فما رَزَقَا[8] الجُنُودَ بها قَفيزاً ... وقد ساسَتْ مَطامِيرُ الحَصَادِ[9]

يقال «سَاسَ الطعامُ وأَسَاسَ»: إذا وقع فيه السُّوس، و«دَادَ وأَدَادَ» من الدُّودِ[10]، ورَوَى أبو زيدٍ «دِيدَ فهو مَدودٌ» في هذا المعنى.

---

(١) في أ: ونفاه.
(٢) في أ: ابنه المغيرة.
(٣) في أ ود: تقلد به.
(٤) زاد في ف وس: «به» وزاد في أ: «بذلك».
(٥) من الأصل وس وف وظ.
(٦) في الأصل وب وف وظ وي وهـ: فقال اكفني.
(٧) في الأصل وف وظ: «أحسبه» بلا الواو.
(٨) في أ وب وس ود: رزقوا.
(٩) بهامش الأصل ما نصُّه: «زاد المدائنيُّ:

غزونا أرض فارس في جمادى ... إلى شَعبان نقطع كل واد
نخوض الثلج فوق ذرى جبال ... وننزل مرملين بغير زاد
ترى الشيخ النحيل على حمار ... يسوق به فتى رخو النجادِ»

(١٠) في ب وف وظ: إذا وقع فيه الدود.

فحاربهم المهلَّبُ بالسَّيرَجَانِ حتى نفاهم عنها إلى جِيرَفْتَ، وأتْبعهم فنزل قريباً منهم، وآختلفت كلمتهم.

وكان سببُ ذلك أن عَبيدةَ بنَ هلالٍ اليَشْكُرِيَّ أتُّهِمَ بآمرأة رجلٍ نَجَّارٍ[1] رأوه مراراً يدخل منزلَه بغير إذنٍ، فأتَوْا قَطَرِيّاً فذكروا ذلك له، فقال لهم: إنَّ عَبيدةَ من الدِّينِ بحيثُ علمتم، ومن الجهاد بحيثُ رأيتم، فقالوا: إنَّا لا نُقَارُّ[2] على [٦٨٤] الفاحشة، فقال: انصرِفوا، ثم بَعَثَ إلى عَبيدةَ فأخبره وقال[3] له قولهم[4]: إنّا لا نُقارُّ على الفاحشة، قال[5]: بَهَتوني يا أمير المؤمنين! فما تَرَى؟ قال: إني جامِعٌ بينَك وبينَهم، فلا تَخْضَعْ خُضوعَ المُذْنِبِ، ولا تَتَطاوَلْ تَطاوُلَ البَريء، فَجَمَعَ بينهم، فتكلَّموا، فقام عَبيدةُ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ، لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ، بل هو خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ الآياتِ[6] فبَكَوْا وقامُوا إليه فآعْتَنَقُوه، وقالوا: آسْتَغْفِرْ لَنَا، ففَعَلَ، فقال[7] عبدُ رَبِّهِ الصغيرُ مولَى بني قيسِ بنِ ثَعْلَبَةَ: والله لقد خَدَعكم! فبايَعَ عبدَ ربِّه الصغيرَ[8] منهم ناسٌ كثيرٌ لم يُظْهِروا ولم يَجِدُّوا على عَبيدةَ في إقامة الحدِّ ثَبَتاً.

***

---

(١) في أ: حدّاد.

(٢) في أ: لا نقارّه. وبهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: يقال فلانٌ قارٌّ أي ساكن وما يتقارّ في مكانه. وفي الحديث: قارُّوا الصلاة، ومعناه السكون».

(٣) قوله «إنا لا نقار. . وقال» ليس في الأصل.

(٤) «له قولهم» ليس في الأصل وأ. وفي ب وس ود وي وهـ: فقال.

(٥) في أوهـ: فقال.

(٦) سورة النور: ١١ فما بعدها.

وتحسبوه» ضبط في النسخ بكسر السين وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع والكسائي من السبعة وكذا قرؤوا هذا الفعل بكسر السين حيث وقع في القرآن إذا كان مستقبلاً، وفتح السين باقي السبعة. انظر السبعة لابن مجاهد ١٩١، والكشف لمكي ١/٣١٧ - ٣١٨.

(٧) في أ: فقال لهم. وفي هـ: فقال له، وهو خطأ.

(٨) ليس في أ وب وس.

وكان قَطَرِيٌّ قد آسْتَعْمَلَ رجلاً من الدَّهَاقِينِ فظهرتْ له أموالٌ كثيرةٌ، فأَتَوْا قَطَرِيّاً فقالوا: إنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّاب لم يكن يُقارُّ عُمَّـالَهُ على مثل هذا، فقال قَطَرِيٌّ [١/٢٧٠]: إني[١] استعملتُه وله ضِيَـاعٌ وتجاراتٌ، فـأَوْغَرَ ذلـك صدورَهم، وبَلَغَ المهلّبَ ذلك[٢]، فقال: إنَّ اختلافَهم أشدُّ عليهم مِنِّي.

وقالوا[٣] لقطريٍّ: ألاَ تَخْرُجُ بنا إلى عدوِّنا؟ فقال: لا، ثم خرج، فقالوا: قد كَذَبَ وآرْتَدَّ! فآتَّبعوه يوماً فأَحَسَّ بالشَّرِّ، فدخل داراً مع جماعةٍ من أصحابه، فصاحوا به: يا دابَّةُ اخْرُج إلينا!! فخرج إليهم، فقال: رَجَعْتم[٤] بَعْدِي كفَّاراً؟! فقالوا[٥]: أَوَ لَسْتَ دابةً[٦]؟ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاّ عَلَى الله رِزْقُهَا ﴾[٧] ولكنَّك قد كَفَرْتَ بقولك أنَّـا قـد[٨] رَجَعْنا كفاراً، فَتُبْ إلى الله عزَّ وجلَّ. فشاور عَبيدةَ[٩]، فقال: إن تُبْتَ لم يَقْبَلوا منك، ولكن قُـلْ: إنَّما استفهمتُ فقلتُ أَرَجَعْتُم بعدي كفاراً، فقال ذلك لهم، فقَبِلوا[١٠] منه، فرجَع إلى منزله، وعَزَمَ أن يبايعَ المُقَعْطَرَ العَبْدِيَّ[١١]، فكَرِهَهُ القَوْمُ وأَبَوْهُ فقال له صالح بنُ مِخْراقٍ عنه وعن القوم: ابْغِ لنا غيرَ المُقَعْطَرِ، فقال لهم[١٢] قطريٌّ: أَرَى طولَ[١٣]

---

(١) ليس في الأصل. وفي د وي : إني قد.
(٢) في أ: ذلك المهلب.
(٣) في س وف: قال وقالوا.
(٤) في الأصل: قد رجعتم.
(٥) في س وف وهـ: قالوا.
(٦) في ف: بدابة.
(٧) سورة هود: ٦.
(٨) ليس في الأصل.
(٩) في ب وس وف: عبيدة بن هلال.
(١٠) في أ وب وس ود وهـ: فقبلوه.
(١١) في الأصل وب وس ود وف وظ: أن يبايع للمقعطر العبدي.
(١٢) ليس في أ.
(١٣) في الأصل وب وس ود: إنّ طول.

العهد قد غَيَّرَكُمْ، وأنتم بصَدَدِ عَدُوِّكُمْ، فاتَّقُوا الله وأَقْبِلُوا على شأنِكم، وآسْتَعِدُّوا [٦٨٥] للقاءِ القوم، فقال له صالح بن مِخْرَاقٍ: إنَّ النّاسَ قَبْلَنَا قد[١] سَامُوا عثمانَ بنَ عفَّانَ أن يَعْزِلَ سعيدَ بنَ العاصِي عنهم[٢] ففَعَلَ، ويجب على الإمام أن يُعْفِيَ الرَّعِيَّة مما كَرِهَتْ، فأَبَى قطريٌّ أن يعزلَه، فقال له القومُ: فإنّا[٣] قد[٤] خَلَعْناكَ وولّينا عَبْدَ رَبِّه الصغيرَ، فانفصل إلى عبد ربه أكثرُ من الشَّطْر، وجُلُّهُمُ الموالي والعَجَمُ، وكان[٥] هناك منهم ثمانيةُ آلافٍ، وهم القُرَّاءُ، ثم نَدِم صالِحُ بنُ مِخْرَاقٍ فقال لقطريٍّ: هذه نَفْحَةٌ من نفحات الشيطان، فأَعْفِنَا من المُقَعْطَرِ وسِرْ بنا إلى عدوِّك، فأَبَى قطريٌّ إلاَّ المُقَعْطَرَ، فَحَمَلَ فَتىً من العرب على صالِحِ بنِ مخراقٍ فطعنه فأنفذَه وأَجَرَّهُ الرمحَ فقَتَله.

ومعنى «أَجَرَّهُ»: الرمحَ[٦] طَعَنَه[٧] وتركَ الرمحَ فيه، قال عَنْتَرَةُ[٨]:

وآخَرَ مِنْهُمُ أَجْرَرْتُ رُمْحِي ... وفي البَجْلِيِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيعُ[٩]

---

(١) ليس في أ.

(٢) في أ: أن يعزل عنهم سعيد بن العاصي.

(٣) ليس في ف وظ. وفي أ وهـ وي: إنا.

(٤) ليس في أ.

(٥) في الأصل: وقد كان.

(٦) ليس في الأصل وف وظ وي.

(٧) في الأصل وب وس ود وي: أي طعنه.

(٨) سلف البيت ص ٤٤٦.

(٩) بهامش الأصل ما نصُّه: «البَجْليّ منسوبٌ إلى بَجْلَةَ من بني سُلَيْم. والمِعْبَلَةُ: السهمُ الذي نَصْلُه عريضٌ. والوقيعُ: الذي ضُرِب بالميقعة وهي المطرقة. والمُذارُ النصل من السهام الحديد يقال له سَرْوَة. أبو عليٍّ في النوادر: السَّرْوَةُ: النصل إذا كان مدوراً مُدَمْلكاً لا عرض له».

وبهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: بَجْلَةُ بطن من العرب وهم حُلَفاء لبني سُلَيْم، عنده «وفي البَجْليّ» بإسكان الجيم، قال: وبَجِيلَةُ حيٌّ من اليمن. وبنو بجالة بطن من بني ضبة، قال الأخفش...» وقد أتى على قول الأخفش القطع في الورق وليته بقي وضاعت الحاشية كلّها، فقد سلف ص ٤٤٧ قول له في بجيلة شككنا ثمة أن يكون صحيحاً عنه، فلو بقي قوله ههنا لاستبان لنا قوله ثمة.

فَنَشِبَتِ[1] الحربُ بينهم، فتهايجُوا، ثم انحاز كلُّ قومٍ إلى صاحبهم، فلما كان الغدُ اجتمعوا فاقتتلوا[2] ، فأجْلت الحربُ عن ألفي قتيلٍ، فلما كان الغدُ باكَرُوهم القِتَالَ[3]، فلم ينتصفِ النهارُ حتى أُخْرَجَتِ العجمُ العربَ من المدينة، وأقام عَبْدُ رَبِّهِ بها، وصار قَطَرِيٌّ خارجاً من مدينة جِيرَفْتَ بإزَائِهم، فقال له عَبيدَة[4]: يا أميرَ المؤمنين، إنْ أقمتَ لم آمَنْ هذه العبيدَ عليك إلَّا أن تُخَنْدِقَ، فَخَنْدَقَ على باب المدينة، وجعل يُناوِشُهم.

وارْتَحَلَ المهلَّبُ فكان منهم على ليلةٍ، ورسولُ الحجاج معه يَسْتَحِثُّه، فقال له: أَصلحَ الله الأميرَ، عاجِلْهُمْ قبلَ أنْ يَصْطَلِحُوا، فقال المهلَّبُ: إنهم لَنْ يَصْطَلِحُوا، ولكن دَعْهُمْ، فإنَّهم سيصيرون إلى حالٍ [٢/٢٧٠] لا يُفْلِحُون معها، ثم دَسَّ رجلاً من أصحابه فقال: ايتِ عَسْكَرَ قَطَرِيٍّ فقلْ: إني لم أَزَلْ أَرَى[5] قطريّاً يُصِيبُ الرَّأيَ حتَّى نزلَ منزِلَه هذا، فبانَ خَطَؤُه، أيُقِيمُ[6] بين المهلَّبِ وعَبْدِ رَبِّهِ، يغاديه هذا القتالَ ويُراوِحُهُ هذا؟! فَنَمى الكلامُ إلى قَطَرِيٍّ، فقال: صَدَقَ، تَنَحَّوْا بنا عن هذا الموضع، فإن اتَّبَعَنا المهلبُ قاتَلْناه، وإن أقام على عَبْدِ رَبِّهِ رأيتُم فيه ما تُحِبُّون، فقال له الصَّلْتُ بنُ مُرَّةَ: يا أمير المؤمنين، إنْ كنتَ إنما[7] تريدُ الله فَأَقْدِمْ على القوم، وإن كنت إنما تريد الدنيا فَأَعْلِمْ أصحابَك حتى يَسْتامِنُوا، وأنشأ الصَّلْت يقولُ[8]: [٦٨٦]

---

(١) في الأصل: فشبت.
(٢) في أ: فاقتتلوا قتالاً شديداً.
(٣) من أ.
(٤) في الأصل: عبيدة بن هلال.
(٥) في الأصل وف وظ ود وي: أعرف.
(٦) في أ وب: أنقيم.
(٧) ليس في أ وس. وفي الموضع التالي ليس في أود.
(٨) الأبيات أنشدها الجاحظ في البيان والتبيين ١/٤٢ لزيد بن جندب الإيادي.

قُـلَ لِلْمُجِلِّينَ قـد قَـرَّتْ عُيـونُكُمُ بِفُـرْقَـةِ القـومِ والبَغْضـاءِ والهَـرَبِ
كنـا أُنـاسـاً على دِينٍ ففَـرَّقَنـا[1] طُولُ الجِدالِ وخَلْطُ الجِدِّ باللَّعِبِ
مـا كَان أغْنَى رجـالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ عن الجدالِ وأغناهُم عَنِ الخُطَبِ
إنِّي لأَهْوَنُكُمْ في الأرضِ مُضْطَرَباً مالِي سِوَى فَرَسِي والرُّمْحِ مِن نشَبِ

ثم قال: أصبحَ المهلَّبُ يرجو مِنَّا ما كنَّا نطمعُ فيه منه، فآرتحل قطريٌّ، وبلغ ذلك المهلَّبَ، فقال لِهُرَيْمِ بنِ عَدِيِّ بنِ أبي طَحْمَةَ المُجَاشِعِيِّ: إنِّي لا آمَنُ أن يكونَ قطريٌّ كادَنا بتركِ موضعه، فآذهبْ فَتَعَرَّفِ الخبر، فمَضى هُرَيْمٌ في اثني عشر فارساً، فلم يَرَ في العسكر إلَّا عبداً وعِلْجاً، فسألهما عن قطريٍّ وأصحابه، فقالا: مَضَوْا يرتادون غيرَ هذا المنزلِ[2]، فرجَع هُرَيْمٌ إلى المهلَّبِ فخَبَّره[3]، فآرتحلَ المهلَّبُ[4] حتى نزلَ خَنْدَقَ قطريٍّ، فجعل يقاتلهم أحياناً بالغداةِ، وأحياناً بالعشيِّ، ففي ذلك يقولُ رجلٌ من بني[5] سَدُوسَ، يقالُ له المُعْنِقُ[6]، وكان فارساً:

ليتَ الحـرائرَ بـالعراقِ[7] شَهِـدْنَنا ورأَيْنَنـا بـالسَّفْـحِ ذي الأَجْبـالِ
فَنَكُنَّ أهـلَ الجَزْءِ من فُـرْسـانِنـا والضَّـارِبينَ جَمـاجِمَ الأَبْـطالِ[8]

***

(١) في أ وب وف وظ وهـ: فغيّرنا.
(٢) في ف وظ وي: الموضع.
(٣) في أ وس وهـ: فأخبره.
(٤) من أ ود وي وهـ.
(٥) ليس في أ.
(٦) بهامش الأصل ما نصُّه: «المُعْنِق بالنون، وبالتاء. قال المدائنيُّ: مُعْنِقُ بن سلام أو سلام بن معنق».
ووقع في ف وظ وهـ: «المعتق» بالتاء.
(٧) في هـ: في العراق.
(٨) أهل الجزء: هم أهل الغناء والكفاية في القيام بأمر الحرب. رغبة الأمل ٨/١٠٥.

ووجه المهلَّبُ يزيدَ[1] إلى الحجاج يُخْبِرُهُ بأنَّه[2] قد نَزَلَ منزلَ قطريٍّ، وأنَّه مقيمٌ على عبدِ رَبِّهِ، ويسألُه أنْ يُوَجِّهَ في إِثْرِ قَطَرِيٍّ رجلاً جَلْداً في جيشٍ، فسَرَّ ذلك الحجاجَ سروراً أظْهَرهُ، ثم كَتب إلى المهلَّبِ يستحثُّه مع عُبَيْدِ بن مَوْهَبٍ، وفي الكتابِ: [٦٨٧]

أمَّا بعدُ، فإنَّكَ تَتَراخَى عن الحرب[3] حتى تَأْتيَك رُسُلِي، فَيَرْجِعُوا[4] بعُذْرِكَ، وذلك[5] أنَّك تُمْسِكُ حتى تَبْرَأَ الجِراحُ، وتُنْسَى القتلَى، ويَجِمَّ النَّاسُ، ثم تَلْقَاهم فَتَحْتَمِلُ منهم مثلَ[6] ما يَحْتَمِلُونَ منك، مِن وَحْشَةِ القتل، وأَلَمِ الجراحِ، ولو كنتَ تُقاتِلُهُم[7] بذلك الجِدِّ لكان الداءُ قد حُسِمَ، والقَرْنُ قد قُصِمَ[8]، ولَعَمْرِي ما أنتَ والقومُ سَواءً؛ لأنَّ مِن ورائك [١/٢٧١] رجالاً وأمامَك أموالاً، وليس للقوم إلَّا ما معهم، ولا يُدْرَكُ الوَجيفُ[9] بالدَّبِيبِ، ولا الظَّفَرُ بالتَّعْذيرِ.

= وأورد بهامش الأصل أبياتاً بعد هذين، وهي:

فتركن أعناس الرجال بشكلهم عظماً وإن كانوا ذوي أموالِ
إنّ الحرائر لو شهدن رابني وعليّ من رجع السيوف ظِلالُ
أغشى الكتيبة معلماً فأردّها بالسيف دون حوامل الأذالِ
وكذاك كان أبي سدوسٌ في الوغى يعتام كلّ متوّج رئبالِ»

(١) في د وي: يزيداً، وهو خطأ. وفي الأصل وف وظ وب: بريداً؟ وهو تصحيف.
(٢) في أ وهـ: أنه.
(٣) في الأصل: القتال.
(٤) في أ: فترجع.
(٥) في ف وب وس: وذاك.
(٦) ليس في ب وس ود.
(٧) في أ وهـ: تلقاهم.
(٨) بهامش أ ما نصه: «ابنُ شاذانَ: قَصَمْتُ الشيءَ أَقْصِمُهُ قَصْماً: إذا كَسَرْتَه. جَمَّ الشيءُ جَمّاً بفتح الجيم: إذا كَثُرَ، وَجَمَّ الفَرَسُ جَمّاً: إذا تَرَكَ الضِّرَابَ».
(٩) بهامش أ ما نصه: «ابنُ شاذانَ: الوَجيفُ: ضربٌ من سَيْرِ الإبل، وَجَفَ البَعيرُ يَجِفُ وَجْفاً وَوَجيفاً، وربما استُعْمِلَ في الخَيلِ».

فقال المهلَّبُ لأصحابه: إنّ الله عزَّ وجلَّ قد أَرَاحكُمْ من أقرانٍ أربعَةٍ: قطريِّ بنِ الفُجَاءَةِ، وصالِحِ بنِ مِخراقٍ، وعَبيدةَ بنِ هِلَالٍ، وسعْدِ الطَّلائع، وإنما بينَ أيديكُم عبدُ رَبِّهِ، في خُشَارَةٍ من خُشَارَةِ[1] الشيطانِ، تقتلونَهم إن شاء الله.

فكانوا يَتَغَادَوْنَ القتالَ وَيَتَرَاوَحُون، فتصيبُهم الجراحُ، ثم يتحاجَزُون كأنما آنصرفوا عن[2] مجلس كانوا يتحدثون فيه، فيضحكُ بعضُهم إلى بعضٍ، فقال عُبَيْدُ بنُ مَوْهَبٍ للمهلَّبِ: قد بانَ عُذْرُكَ، وأنا مُخبِرٌ الأميرَ، فكتب المهلَّبُ[3] إليه:

أمَّا بعدُ، فإنِّي لم أُعْطِ رُسُلَك على قول الحقِّ أجراً، ولم أَحْتَجْ منهم مع المشاهدة إلى تَلْقِينٍ، ذكرتَ أنِّي أُجِمُّ القومَ، ولا بدَّ من راحةٍ يستريحُ فيها الغالبُ، ويحتالُ فيها المغلوب، وذكرتَ أنَّ في ذلك الجَمامِ ما يُنْسِي القَتْلَى، وتبرأُ منه[4] الجراحُ، وهيهاتَ أن يُنْسَى ما بيننا وبينهم، يَأْبَى[5] ذلك قَتْلَى لم تُجَنَّ، وقُروحٌ لم [٦٨٨] تَتَقَرَّفْ[6]، ونحنُ والقومُ على حالةٍ، وهُم يَرْقُبونَ مِنَّا حالاتٍ، إن طَمِعُوا حَارَبُوا، وإن مَلُّوا وَقَفُوا، وإن يَئِسُوا انْصَرَفُوا، وعلينا أن نُقاتِلَهم إذا قاتلوا، ونَتَحَرَّزَ[7] إذا وَقَفُوا، ونَطْلُبَ إذا هَرَبُوا، فإن تَرَكْتَنِي والرأيَ كان القَرْنُ مَقْصُوماً، والداءُ بإذنِ الله مَحْسُوماً، وإن أعجلتَنِي لم أُطِعْكَ ولم أَعْصِ[8]، وجعلتُ وَجْهِي إلى بَابِكَ، وأنا

---

(١) في أ وهـ: في خشارٍ من خشار الشيطان. وبهامش أ ما نصُّه:

«ابنُ شَاذانَ: قال الأمَويُّ: الخُشَارُ: الرَّديءُ من كلِّ شيء، وقال أبو زيدٍ: الخُشَارةُ: ما بَقِيَ على المائدةِ وغيرها ممَّا لا خيرَ فيه. يقالُ: خَشَرْتُ أخشِرُ خَشْراً: إذا نَقَّيْتَ الرديءَ منه».

(٢) في أ وهـ: من.

(٣) من أ وحدها.

(٤) من أ. وفي د وي: ما تبرأ الجراح به. وفي هـ: ويبرأ الجراح.

(٥) في أ وب وي: تأبى.

(٦) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: كلُّ شيءٍ استَتَر عنك فقد جُنَّ عنك، وبه سُمِّيَتِ الجِنُّ، وسُمِّيَ القبرُ جَنَناً من هذا، والطِّفْلُ ما دام في بطن أمه جَنِينٌ. ويقال: قَرَفْتُ القَرْحَةَ وغيرَها أقرِفها قَرْفاً: إذا نَكَأْتَها حتى تَدْمَى».

(٧) في س: ونحترز.

(٨) في س ود وف وي: ولم أعصك.

أعوذ بالله من سَخَطِ الله، ومَقْتِ الناسِ.

***

ولما آشتدَّ الحِصارُ على عبدِ رَبِّه قال لأصحابه: لا تَفْتَقِرُوا إلى مَن ذهب عنكم من الرجال، فإنَّ المسلمَ لا يَفْتَقِرُ مع الإسلام إلى غيره، والمُسْلِمُ إذا صَحَّ توحيدُه عَزَّ بِرَبِّه. قد[1] أَرَاحَكُم الله من غِلْظَةِ قَطَرِيٍّ، وعَجَلَةِ صالِحِ بنِ مخراقٍ ونَخْوتِهِ، وآختلاطِ عَبِيدةَ بنِ هِلالٍ، ووَكَلَكُمْ إلى بَصائِرِكم[2]، فالقَوْا عَدُوَّكم بصَبْرٍ ونِيَّةٍ، وآنتقلوا عن منزلكم هذا، مَنْ قُتِلَ منكم قُتِلَ شهيداً، ومَنْ سلِمَ من القتلِ فهو المَحْرُومُ.

وقَدِمَ في هذا الوقتِ على المهلَّبِ[3] عُبَيْدُ بنُ أبي رَبيعةَ بنِ أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ، يَسْتَحِثُّه بالقتال، ومعه أَمِينَانِ، فقال له: خالفتَ وصيةَ الأمير، وآثرتَ المدافعةَ والمطاولةَ. فقال له المهلَّبُ: ما تركتُ جُهْداً، فلما كان العَشِيُّ خرج الأزارِقةُ وقد حَمَلُوا حُرَمَهُمْ وأموالَهم وخِفَّ مَتَاعِهم لِيَنْتَقِلوا، فقال المهلَّبُ لأصحابه: الْزَمُوا مَصَافَّكُمْ، وأَشْرِعُوا رِماحَكم[4]، ودَعوهم والذَّهَابَ [٢/٢٧١]، فقال [٦٨٩] له عُبَيْدٌ: هذا لعمْرِي أَيسَرُ عليك، فقال للناس: رُدُّوهُم عن وَجْهِهِم[5]، وقال لِبَنِيهِ: تَفَرَّقُوا في الناس، وقال لعُبَيْدِ بنِ أبي ربيعة: كُنْ مَعَ يزيدَ فَخُذْهُ بالمحاربة

---

(١) في أ: وقد.

(٢) بهامش أ ما نصُّه: «وابنُ شاذانَ: يقالُ: وَكَلْتُ فلاناً إلى كذا وكذا أَكِلُهُ وَكْلاً ووُكُولاً، وتقول: كِلْني إلى كذا وكذا، أي: دَعْنِي أَقُمْ به، ومنه اشتقاقُ الوكيلِ. ويقالُ فلانٌ حَسَنُ البَصِيرَةِ: إذا كان مُسْتَبْصِراً في دِينِهِ».

(٣) في هـ: من عند الحجاج إلى المهلب.

(٤) بهامش أ ما نصُّه: «والمُهَلَّبِيُّ: يقالُ أَشْرَعَ القَوْمُ الرماحَ: إذا صَوَّبُوها للطَّعْنِ.

قال ابنُ شاذانَ: قال الخليلُ: يقالُ أَشْرَعْنَا الرماحَ نحوَهُم إشْرَاعاً فهي مُشْرَعةٌ، وشَرَعَتِ الرماحُ أَنْفُسُها فهُنَّ شَوَارِعُ، ولغةٌ أخرى: شرعْنَاهَا فهي مَشْرُوعَةٌ. وحكى النَّضْرُ بن شُمَيْل: أَشْرَعَتِ الرماحُ فهي مُشْرِعَةٌ».

(٥) في أ: وجهتهم. وفي ي: وجوههم.

أشدَّ الأَخْذِ، وقال لأحدِ الأَمِينَيْنِ : كن مع المغيرةِ ولا تُرَخِّصْ له في الفُتور، فاقْتَتَلُوا قتالاً شديداً، حتى عُقِرَتِ الدوابُّ[1]، وصُرِعَ الفُرسانُ، وقُتِلَتِ الرجالُ. فجعلتِ الخوارجِ تقاتِلُ على[2] القَدَحِ يؤخذ منها والسَّوطِ والعِلْقِ الخسيسِ أشدَّ قتالٍ، وسَقَطَ رمحٌ لرجلٍ من مرادٍ من الخوارجِ، فقاتَلوا عليه حتى كَثُرَ الجراحُ والقتلُ[3]، وذلك مع المَغْرِبِ، والمُرَادِيُّ يقولُ:

الـلَّيْـلُ لَيْـلٌ فِيـهِ وَيْـلٌ وَيْـلُ وسـالَ بـالقَـوْمِ الشُّـرَاةِ السَّيْـلُ
إنْ جاز للأعْداءِ فينا قَوْلُ

فلما عَظُم الخَطْبُ فيه بعثَ المهلَّبُ إلى المغيرة: خَلِّ لهم[4] عن الرُّمحِ عليهم لَعْنَةُ الله[5]، فَخَلَّوْا لهم عنه.

ومَضَتِ[6] الخوارجُ حتى نَزَلُوا على أربعةِ فراسخَ من جِيرَفْتَ، ودَخَلَها المهلَّبُ، وأَمر بِجَمعِ ما كان لهم فيها من المَتَاعِ، وما خَلَّفُوه من دقيقٍ[7]، وخَتَمَ عليه هو والثَّقفيُّ والأَمِينَانِ، ثم اتَّبَعهم، فإذا هُم قد نَزَلُوا على عينٍ لا يَشْرَب منها إلاّ قَوِيٌّ، يأتِي الرجلُ بالدَّلْوِ قد شَدَّها في طَرَفِ رُمْحِه فيسْتقِي بها، وهناك قريةٌ فيها أهلُها، فغاداهُم القتالَ، وضمَّ الثقفيَّ إلى يزيدَ[8]، وأحدَ الأَمِينَيْنِ إلى المغيرةِ، فاقْتَتَلَ القومُ[9] إلى نصف النهار، فقال المهلَّبُ لأبي عَلْقمةَ العَبْدِيِّ ـ وكان شجاعاً

---

(١) في ف: الخيل.
(٢) في الأصل وف وظ: عن.
(٣) في ب وس وف: والقتل.
(٤) ليس في أ وب ود.
(٥) في أ: عليهم لعنهم الله، وهو خطأ.
(٦) في أ: ثم مضت.
(٧) في أ: رقيق، وهو تحريف.
(٨) في الأصل: يزيد ابنه.
(٩) في الأصل: فاقتتلوا. وفي أ وب وس ود وي: واقتتل.

عاتياً ـ: أَمْدِدْ بِخَيْلِ الْيَحْمَدِ[1]، وقُلْ لهم: فلْيُعِيرُونَا جمَاجِمَهُمْ ساعةً، فقال له[2]: [٦٩٠] إنَّ جَمَاجِمَهُمْ ليست بفَخَّارٍ فتُعَارَ[3] وليستْ أعناقُهم كَرَادِنَ فتَنْبُتَ [قال أبو الحسن الأخفشُ[4]: تقول العربُ لأعْنَاقِ[5] النَّخْلِ: كَرادِنُ، وهو فارِسِيٌّ أُعْرِبَ[6]] وقال لِحَبِيبِ ابنِ عَوْفٍ[7]: كُرَّ على القومِ، فلم يفعلْ، وقال[8]:

يقــولُ لِيَ الأميــرُ بغيــر علمٍ ... تَقَــدَّمْ حين جَـدَّ بــه المِـرَاسُ
فمــالِي إنْ أَطعتُــكَ من حيــاةٍ ... ومـالِي غَيْرَ هـذا الـرأسِ راسُ

نَصبَ «غير» لأنَّه استثناءٌ مُقَدَّمٌ، وقد مَضَى تفسيرُه[9].

وقال لِمَعْنِ بنِ المغيرة بنِ أبي صُفْرَةَ: احْمِلْ، فقال: لا، إلاّ أن تُزَوِّجَنِي أمَّ مالكٍ بنتَ المهلّبِ[10]، ففَعَلَ، فحَمَلَ على القوم فكَشَفَهم، وطَعَنَ فيهم، وقال:

---

(١) في ي: امرر، وبهامش أ ما نصُّه: «في أخرى: امْرُر بخيل اليحمد».
(٢) ليس في الأصل وف وظ وس.
(٣) زاد في ف وي: ساعة.
(٤) كذا في أ وحدها. وقوله «قال أبو الحسن الأخفش» ليس في د وي. وفي سائر النسخ «قال أبو العباس»؟ ولا ريب أنّ هذا ليس من كلام المبرد. وقوله فتنبت مؤخر في ب وي إلى ما بعد تمام كلام أبي الحسن.
(٥) كذا في أ وهـ. وفي سائر النسخ: «لأعناق»؟ وقوله «تقول العرب لأعناق النخل كرادن» لم أجده، والمعروف أنّ الكرد ـ وأصله كردن ـ هو العنق أو أصلُه. انظر اللسان والتاج (كرد).
(٦) من أ وف وظ. وبهامش أ ما نصُّه: «قال ابن شاذان: الكَرْدُ: العنق، وهو فاسي معرّب، وكان أصله الكردنَ».
(٧) كذا في ب وف، وكذا في جميع النسخ فيما سيأتي ص ١٣٥٧. وفي سائر النسخ هنا: حبيب بن أوس.
(٨) البيتان بلا نسبة في البرصان والعرجان ٣١١، وزاد محققه تخريجهما من مجموعة المعاني ٤٣، وبهجة المجالس ١/٤٧٩. وهما في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ١٨٣٩، والتبريزي ٤/١٦٢، ونقلا بعض كلام المبرد.
(٩) انظر ما سلف ص ٦١٣ ـ ٦١٤، ٧٠٩.
(١٠) بهامش أ: «المغيرة» وعليه «صح».

ليتَ مَنْ يَشْتَرِي الغَدَاةَ بمالٍ هُلْكَهُ[1] اليومَ عندَنا فَيُرَانَا
نَصِلُ الكَرَّ عندَ ذاكَ بطَعْنٍ إنَّ لِلْمَوْتِ عندَنا أَلْوَانَا[2]

ثم جَالَ الناسُ جَوْلَةً عند حَمْلَةٍ حَمَلَها عليهم الخوارجُ، فالتفتَ عند ذلك المهلَّبُ فقال للمغيرة[3]: ما [١/٢٧٢] فَعَلَ الأَمينُ الذي كان معك؟ قال: قُتِلَ، وكان الثَّقَفِيُّ قد هَرَبَ، فقال[4] ليزيدَ: ما فعلَ عُبَيْدُ بنُ أبي ربيعةَ؟ قال: لم أَرَهُ منذُ كانت الجولةُ، فقال الأَمينُ الآخرُ للمغيرةِ: أنت قتلتَ صاحبي، فلما كان العَشِيُّ رجَعَ الثقفيُّ، فقال رجلٌ من بني عامِر بن صَعْصَعَةَ:

ما زلتَ يا ثَقَفِيُّ تَخْطُبُ بيننَا وتَغُمُّنا بوَصِيَّةِ الحَجَّاجِ
حتى إذا ما الموتُ أقبلَ زَاحِراً وسَمَا لنا صِرْفاً بغيرِ مِزَاجِ [٦٩١]
وَلَّيْتَ يا ثَقَفِيُّ غيرَ مُنَاظِرٍ تَنْسَابُ بين أَحِزَّةٍ وفِجَاجَ
ليستْ مقارعةُ الكُماةِ لَدَى الوَغَى شُرْبَ المُدَامَةِ في إنَاءِ زُجَاجِ

قوله «بَيْنَ أَحِزَّةٍ» هو[5] جمع حَزِيرٍ، وهو مَتْنٌ يَنْقَادُ من الأرض ويَغْلُظُ و«الفِجَاجُ»: الطُّرُقُ، واحدُها فَجٌّ.

وقال المهلَّبُ للأمين الآخَرِ: ينبغي أن تَتَوَجَّهَ مع ابني حَبِيبٍ في ألفِ رجلٍ حتى تُبَيِّتُوا عسكرَهم، فقال: ما تُرِيدُ أَيُّها الأميرُ إلَّا أن تَقْتُلَنِي كما فَعَلْتَ بصاحِبي[6]! قال: ذاكَ إليكَ، وضَحِكَ المهلَّبُ. ولم تَكُنْ[7] للقوم خَنادِقُ، فكان

---

(١) في الأصل وف: ملكه.
(٢) زاد في ف: «المعنى: ليت من يشتري النكاح بمال أي بمهر يرانا بأي شيء نشتريه» وهي زيادة مقحمة.
(٣) في أ: المهلب إلى المغيرة فقال.
(٤) في أ: وقال.
(٥) ليس في الأصل وهـ وي.
(٦) في أ: كما قتلت صاحبي.
(٧) كذا في الأصل وأ. وفي سائر النسخ: يكن.

كلٌّ[1] حَذِراً من صاحبه، غيرَ أنَّ الطعامَ والعُدَّةَ مع المهلَّبِ، وهم في زهاءِ ثلاثين ألفاً، فلما أصبح أشْرَفَ على وادٍ فإذا هو برجل معه رمحٌ مكسورٌ وقد خَضَبَه بالدِّماءِ، وهو يُنْشِدُ:

جَزَانِي دِوَائِي[2] ذُو الخِمَارِ وصَنْعتِي ... إذا باتَ أَطْوَاءُ بَنِيَّ الأصاغِرُ
أُخَادِعُهم عَنْهُ لِيُغْبَقَ دُونَهم ... وَأَعْلَمُ غيرَ الظَّنِّ أَنِّي مُغاوِرُ
كأنِّي وأَبْدانَ السِّلاح عَشِيَّةً ... يَمرُّ بنا في بَطْنِ فَيْحَانَ طائِرُ

فدعاه المهلَّبُ فقال: أَتَمِيمِيٌّ أنت؟ قال: نعم، قال: أَحَنْظَلِيٌّ؟ قال: نعم. قال: أَيَرْبُوعِيٌّ؟ قال: نعم، قال: أَثَعْلَبِيٌّ[3]؟ قال: نعم، قال: أَمِنْ آلِ نُوَيْرَةَ؟ قال: نعم، أنا مِنْ وَلَدِ مالكِ بنِ نُوَيْرَةَ، وسبحانَ الله أيُّها الأميرُ! أيكونُ مِثْلِي في عسكرك لا تعرفه؟! قال: قد[4] عَرَفْتُك بالشِّعْرِ!!

قوله: «ذُو الخِمَارِ» يعني فرساً. وكان ذو الخمارِ فَرَسَ مالكِ بنِ نُويرةَ، قال جريرٌ[5]:

بيَرْبوعٍ فَخَرْتُ وآلِ سَعْدٍ ... فلا مَجْدِي بَلَغْتَ ولا آفتخاري[6]
بيربوعٍ فَوارسُ كلِّ يومٍ ... يُوارِي شَمْسَهُ رَهَجُ الغُبارِ
[٦٩٢] عُتَيْبَةُ، والأَحَيْمِرُ، وآبنُ عَمْرٍو ... وعَتَّابٌ، وفارِسُ ذي الخِمَارِ[7]

---

(١) في س: كلّ واحد.
(٢) الدِّواء: مصدر داوى الفرس إذا عالجها بالتضمير والحنذ ونحوه.
(٣) في الأصل وف وظ وهـ: أتغلبي، وهو تصحيف.
(٤) من الأصل وهـ وي.
(٥) في أ: قال جرير يهجو الفرزدق. والأبيات في تذييل ديوانه ق ١٤/١٤ - ١٦ جـ ٢/٨٥٥.
(٦) في د: ولا فخاري.
(٧) بهامش أ ما نصّه: «المُهلَّبيُّ: الرَّهَجُ: الغُبَارُ، بفتح الهاءِ وتسكينها. وعُتَيْبَةُ ابنُ الحارثِ بنِ شِهَابٍ اليَرْبُوعِيُّ، والأَحَيْمِرُ ابنُ أبي مُلَيْلٍ اليَرْبُوعِيُّ، وابنُ قَيْسٍ: مَعْقِلُ بنُ قَيْسٍ اليَرْبُوعِيُّ. وعَتَّابُ ابنُ هَرَمِيٍّ اليَرْبُوعِيُّ. وفارِسُ ذي الخِمَار: مالكُ بنُ نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعِيُّ».

قوله: «أَطْوَاءُ» يقال: رجلٌ طَوِي البَطنِ، أي مُنْطَوٍ، يُخْبِرُ أنَّه كان يُؤْثِرُ فَرَسَه على وَلَده، فيُشْبِعُه وهم جياعٌ، وذلك قوله:

أُخَادِعُهُمْ عنه لِيُغْبَقَ دُونَهُمْ

و«الغَبُوقُ»: شُرْبُ آخر النهارِ، وهذا شيءٌ تَفْخَرُ[1] به العربُ، قال الأَسْعَرُ[2] الجُعْفِيُّ:

لَكِنْ قَعِيدَةُ بيتِنا مَجْفُوَّةٌ [٢/٢٧٢] بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِها ولَهَا غِنَى[3]
تُقْفِي بِعِيشَةِ أهلِها وَثَّابَةً أَوْ جُرْشُعاً نَهْدَ المَرَاكِلِ والشَّوَى[4]

المَرْكَلُ والمَعَدُّ: موضعُ رِجْلِ الفارس من الفرس[5].

***

قال: فَمَكَثُوا أياماً على[6] غيرِ خَنادقَ، يتحارسون ودوابُّهم مُسْرَجةٌ، فلم

= قوله «والأحيمر وابن عمرو» كذا وقع، ورواية النقائض ٢٤٧ «وابن قيس» وهي الموافقة لما نقلناه من هامش أ. ووقع في تذييل ديوان جرير «وابن سعد» وهو خطأ من المحقق فهو إنما نقل القصيدة من النقائض.

(١) في أ: تفتخر.

(٢) في س وف وي: الأشعر، وهو تصحيف.

(٣) سلف البيت ص ٣٤٠، وانظر التخريج ثمة.

وبهامش أ ما نصّه: «المهليُّ: الجناجنُ: عظام الصدر التي تبدو من الإنسان إذا هُزِل، واحدها جِنْجِنٌ وجَنْجَن».

(٤) في ي: نقفي. وبهامش أ ما نصّه: «رواية ابن شاذان:

تقفي بعيشة أهلها وثابةً أو جرشعٌ ...

قال: والجرشع المنتفخ الجنبين ويروى: غَبْل المحارم. والمراكل والمعدّ: موضع رجل الفارس من الفرس».

(٥) قوله «المركل.. الفرس» ليس في أ. و«من الفرس» ليس في ب وس.

وفي ف: «الجناجن أطراف ضلوع الصدر واحدها جنجن. ولها غنى أي مستغنية. هي جرشع ممتلىء الجنبين. والمركل والمعدّ موضع رجل الفارس من الفرس».

(٦) في الأصل وهـ: في.

يزالوا على ذلك حتّى ضَعُفَ الفريقان، فلما كانت الليلةُ التي قُتِلَ في صَبِيحَتِها[1] عبدُ رَبِّهِ جَمَعَ أصحابَه وقال: يا معشرَ المهاجرين، إنَّ قَطَرِيّاً وَعَبِيدَةَ هَرَبَا طَلَبَ البقاءِ[2]، ولا سبيلَ إليه، فألْقَوْا عدوَّكم، فإنْ غَلَبُوكم على الحياةِ فلا يَغْلِبُنَّكم على الموتِ، تَلَقَّوُا[3] الرماحَ بنُحوركم، والسيوفَ بوجوهكم، وهَبُوا أنفسَكم لله في الدنيا يَهَبْهَا لكم في الآخرة.

فلما أصبحوا غَادَوُا المهلَّبَ فاقْتَتَلُوا[4] قتالاً شديداً، نُسِيَ به ما كان قَبْلَه، فقال رجل من الأَزْدِ من أصحاب المهلَّبَ: مَنْ يُبايِعُني على الموتِ؟ فبايعه أربعونَ رجلاً من الأزدِ وغيرهم، فصُرِعَ بعضهُم، وقُتِلَ بعضٌ، وجُرِحَ بعضٌ. وقال عبدُ الله ابنُ رِزَامٍ الحارثيُّ لأصحابِ المهلَّبِ: احْمِلُوا، فقال المهلَّبُ: أعرابيٌّ مجنونٌ! وكان من أهل نَجْرانَ، فَحَمَلَ وحدَه، فاخترقَ القومَ حتى نَجَمَ من ناحيةٍ[5] أخرى، ثم رجع، ثم كَرَّ ثانيةً، ففَعَلَ فَعْلَتَهُ الأُولَى[6]، وتَهَايَجَ الناسُ، فَتَرَجَّلَتِ الخوارجُ
[٦٩٣] وعَقَرُوا دوابَّهم، فناداهم عَمْرُو القَنَا، ولم يَتَرَجَّلْ هو وأصحابُه من العرب، وكانوا زُهَاءَ أَرْبَعِمِائَةٍ: مُوتُوا[7] على ظهور دوابِّكم، ولا تَعْقِرُوها، فقالوا: إنَّا إذا كُنَّا على الدوابِّ ذَكَرْنَا الفِرَارَ.

فاقتتلوا، ونادى المهلَّبُ بأصحابه[8]: الأرضَ الأرضَ، وقال لبنيه: تَفَرَّقُوا في النَّاسِ لِيَرَوا وجوهَكم، ونادى الخوارجُ: ألَا إنَّ العيالَ لمن غَلَبَ، فَصَبَرَ بَنُو

---

(١) كذا في أ وظ. وفي الأصل صُبْحها. وفي سائر النسخ: صُبْحَتها.
(٢) في د وف وي: لطلب. وفي الأصل وي: البغاء، وهو تحريف.
(٣) في أ وس: فتلقوا.
(٤) في أ وس: فقاتلوه.
(٥) في الأصل: جهة.
(٦) في ب وس ود وي وهـ: في الأولى.
(٧) في ف: فقال لهم موتوا.
(٨) في الأصل وهـ: أصحابه.

المهلَّبِ، وَصَبَر يزيدُ بين يَدَيْ أبيه، وقاتل قتالاً شديداً أبَلى فيه، فقال له أبوه: يا بُنَيَّ إني أَرَى[1] مَوْطِناً لا يَنْجُو فيه إلاَّ مَنْ صَبَر، وَمَا مَرَّ بِي يومٌ مثلُ هذا مُذْ[2] مارَسْتُ الحروبَ.

وكَسَرَتِ الخوارجُ أجفانَ سيوفِها، وتَجاولوا، فأَجْلَتْ جَوْلَتُهم عن عبد رَبِّه مقتولاً، فهَرَبَ عَمْرُو القَنَا وأصحابُه، وآستأمنَ قومٌ، وأجْلَتِ الحربُ عن أربعةِ آلاف قتيلٍ، وَجَرْحَى كثيرٍ من الخوارج، فأَمَرَ المهلَّبُ بأن يُدْفَعَ كلُّ جريحٍ إلى عشيرته، وظَفِرَ بعسكرهم فَحَوَى ما فيه، ثم انصرفَ إلى جِيرَفْتَ، فقال: الحمد لله الذي رَدَّنَا إلى الخَفْضِ والدَّعَةِ، فما كان عيشُنا بعيشٍ، ثم نَظَرَ إلى قومٍ في عسكره لم يعرفْهُم، فقال: ما أشدَّ عادةَ السِّلاحِ! ناوِلُوني دِرْعِي، فلبسها، ثم قال: خُذوا هؤلاء، فلما صيرَ بهم إليه قال: ما أنتم؟ قالوا: نحن قومٌ جئنا لِنَطْلُبَ غِرَّتَكَ [١/٢٧٣] لِنَفْتِكَ بك، فأمَر بهم فقُتِلوا.

***

ووَجَّهَ[3] كَعْبَ بنَ مَعْدَانَ الأَشْقَرِيَّ[4]، ومُرَّةَ بنَ تَلِيدٍ الأَزْدِيَّ من أَزْدِ شَنوءةَ، فَوَرَدَا[5] على الحجاج، فلما طَلَعَا عليه تقدَّم كَعْبٌ فأنشده[6]:

يا حَفْصَ إنِّي عَدَانِي عنكُم السَّفَرُ وقد سَهِرْتُ فأَرْدَى نَوْمِي السَّهَرُ[7]

---

(١) في الأصل: لأرى.

(٢) في أ وس وهـ: منذ

(٣) في ف: قال أبو العباس ووجّه. وزاد في أ وب وس: «المهلبُ».

(٤) كذا في الأصل وأ، وهو الصواب. انظر ما سلف من التعليق عليه ص ٤٥٥.
وفي سائر النسخ: «الأشعري» وهو تحريف.

(٥) في أ: فوفدا.

(٦) انظر شعر كعب في شعراء أمويون ٢/٣٩٦، وسمط اللآلي ٥٨٩، والأغاني ١٤/٢٨٤.

(٧) لم يرد عجز البيت في أ وهـ. وفي الأصل: «فأودى» وهو تحريف.
ورواية البيت: «فأردى عيني السهر» ويروى «فأذى عيني».

فقال له الحجاجُ: أشاعرٌ[1] أم خطيبٌ؟ قال: كلاهما، ثم أنشده القصيدة، ثم أقبل عليه فقال: خَبِّرني[2] عن بَني المهلبِ؟ قال: المغيرةُ فارِسُهم وسَيِّدُهم، وكَفَى بيزيدَ فارساً شجاعاً، وجوادُهم وسَخِيُّهم قَبيصةُ، ولا يَسْتَحْيِي الشجاعُ أن يَفِرَّ
[٦٩٤] مِنْ مُدْرِكٍ، وعبدُ الملك سُمٌّ نَاقِعٌ، وحبيبٌ موتٌ زُعافٌ، ومحمدٌ ليثُ غابٍ، وكفاك[3] بالمفضَّلِ نَجْدةً، قال: فكيف خَلَّفْتَ جَماعةَ الناس؟ قال: خلَّفْتُهم بخيرٍ، قد أَدْرَكُوا ما أَمَّلُوا، وأَمِنُوا ما خافُوا، قال: فكيف كان بَنُو المهلَّبِ فيهم[4]؟ قال: كانوا حُماةَ السَّرْحِ[5] نهاراً، فإذا أَلْيَلُوا ففُرسانُ البَيَاتِ، قال: فأيُّهم كان أَنْجَدَ؟ قال: كانوا كالْحَلْقَةِ المفْرَغةِ، لا يُدْرَى أين طَرَفاها[6]، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوُّكم؟ قال: كُنَّا إذا أَخَذْنا عَفْوَهُم طَمِعْنا فيهم وإذا أَخَذُوا عَفْوَنا يَئِسنا منهم، وإذا اجْتَهَدُوا واجْتَهَدْنا بَلَغْنا فيهم آمالنا بإدراك الفُرْصَةِ منهمَ[7] فقال الحجاجُ: إنَّ العاقبة للمتَّقين، كيف أَفْلَتَكُمْ قَطَرِيٌّ؟ قال: كِدْناه ببعض ما كَادَنَا به، فَصِرْنا منه إلى التي[8] نُحِبُّ، قال: فهَلَّا اتَّبَعْتُمُوه؟ قال: كان الحَدُّ عندنا آثَرَ من الفَلِّ، قال: فكيف كان لكم المهلبُ وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شَفَقَةُ الوالدِ، وله مِنَّا بِرُّ الولَدِ، قال: فكيف آغْتِبَاطُ الناسِ[9]؟ قال: فَشَا فيهمُ الأَمْنُ، وشَمَلَهُمُ النَّفَلُ. قال: أَكُنْتَ

---

(١) زاد في س وف: «أنت».

(٢) في أ وب وس: فقال له أخبرني.

(٣) في الأصل: وكفى.

(٤) ليس في هـ. وفي أ: فيكم.

(٥) في الأصل وب وس ود: حماة للسرح.

(٦) في أ وس وي وهـ وف وظ: طرفها.

(٧ ـ ٧) في أ وب وهـ: «قال كنا إذا أخذنا عَفْوَنا وإذا أخذوا يئسنا منهم، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج الخ».

وعبارته كما في الأغاني: «كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم فعفوُهم تأنيس منهم، فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم».

(٨) في أ: الذي.

(٩) في الأصل: فكيف كان اغتباط الناس.

أعدَدْتَ لي هذا الجوابَ؟ قال: لا يعلمُ الغيبَ إلاَّ الله. قال: فقال: هكذا والله يكونُ[1] الرِّجالُ! المهلَّبُ كان[2] أعْلَمَ بكَ حيثُ وَجَّهَكَ[3].

وكان كِتَابُ المهلبِ إلى الحجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الكافي بالإسلام فَقْدَ مَا سِوَاهُ، الذي وَصَلَ المزيدَ بالشُّكْرِ والنِّعْمَةَ بالحَمْدِ وقَضَى ألاَّ يَنْقَطِعَ[4] المَزِيدُ منه حتى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ من عبادِه. أمَّا بعد؛ فقد كان من أَمْرِنا ما قد بَلَغَكَ، وكنا نحن وعدوُّنا على حالين مختلفَين[5]، يَسُرُّنا منهم أكثرُ مما يَسُوءُنَا، ويَسُوءُهُم مِنَّا أكثرُ مما يَسُرُّهُم، على آشْتِداد شَوْكَتِهم، فقد كان عَلَنَ أمرهُمُ حتى آرتاعتْ له الفَتاةُ، ونُوِّمَ به الرَّضيعُ، فآنتَهَزْتُ منهم الفُرْصَةَ في وقتِ إمكانها، وأدنيتُ السَّوَادَ من السَّوادِ، حتى تعارفَتِ الوجوهُ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الكتابُ أَجَلَهُ ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَالحمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[6].

فكتب إليه الحجاج:

أَمَّا بعدُ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد فَعَلَ بالمسلمين خيراً، [٢/٢٧٣]، وأراحهم من حَدِّ الجهادِ، وكنتَ أعلمَ بما قِبَلَكَ، والحمد[7] لله رب العالمين. فإذا[8] ورَدَ [٦٩٥] عليك كتابي هذا[9] فآقْسِمْ في المجاهدين فَيْئَهُمْ، ونَفِّلِ الناسَ على قَدْرِ بَلائِهِمْ،

---

(١) في أ: هكذا تكون والله.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) زاد في هـ: إليّ.

(٤) في أ: فقدما سواه الذي حكم بأن لا ينقطع. وفي هـ: فقدما سواه بأن حكم ألا ينقطع.

(٥) في الأصل ود وهـ: مختلفتين.

(٦) سورة الأنعام: ٤٥.

(٧) في الأصل وهـ: فالحمد.

(٨) كذا في أ، وفي سائر النسخ: وإذا.

(٩) ليس في الأصل وب وس ود وي.

وفضِّلْ مَنْ رأيتَ تفضيله، وإن كانتْ بقيَتْ من القوم بَقِيَّةٌ فَخَلِّف خيلاً تقومُ بإزائِهم، واسْتَعْمِلْ على كِرْمانَ مَنْ رأيتَ، وولِّ الخيلَ شهمْاً من وَلَدِكَ، ولا تُرَخِّصْ لأحدٍ في اللَّحاقِ بمنزله دونَ أنْ تَقْدَم بهم عليَّ، وعَجِّل القُدوم، إن شاءَ الله.

فَوَلَّى المهلبُ ابنَه يزيدَ كِرْمانَ، وقال له: يا بُنَيَّ، إنكَ اليومَ لستَ كما كنتَ، إنما لَكَ من مالِ كِرْمانَ ما فَضَلَ عن الحجَّاج، ولن تُحْتَمَلَ إلَّا على ما احْتُمِلَ عليه أبوك، فَأَحْسِنْ إلى مَنْ معك، وإنْ أَنْكَرْتَ من إنسانٍ شيئاً فوَجِّهْهُ إليَّ وَتَفَضَّلْ على قَوْمِك، إن شاء الله[1].

وَقَدِمَ[2] المهلَّبُ على الحجاج فأجلسه إلى جانبه، وأظهر إكرامَه وبِرَّهُ، وقال: يا أهلَ العراقِ، أنتم عبيدُ المهلب، ثم قال: أنتَ والله كما قال لَقِيطٌ الإيادِيُّ[3]:

وقَـلِّدوا أمـرَكـم لله دَرُّكُـمُ ... رَحْبَ الذِّراعِ بأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعَا[4]
لا يَـطْعَمُ النَّـوْمَ إلَّا رَيْثَ يَبْعَثُـهُ ... هَمٌّ يكـادُ حَشاهُ يَقْصِمُ الضُّلَعَـا[5]
لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العيشِ ساعَـدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مَكْـرُوهٌ بـه خَشَعَـا
ما زال يَحْلُبُ هذا الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ[6] ... يكـونُ مُتَّبِعـاً طَـوْراً ومُتَّبَـعَـا
حتَّى اسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مَـرِيرَتُـهُ ... مُسْتَحْكِمَ الرأيِ لا قَحْماً ولا ضَرَعَا[7]

فقام إليه رجلٌ، فقال: أصلحَ الله الأمير، والله لَكَأَنِّي أسمعُ الساعةَ قَطَرِيّاً وهو يقولُ[8]: المهلَّبُ كما قال لَقِيطٌ الإياديّ، ثم أنشد هذا الشعرَ، فَسُرَّ الحجاجُ

---

(١) «إن شاء الله» ليس في أ.

(٢) في ب: قال أبو العباس وقدم.

(٣) ديوانه ص ٤٧ ـ ٤٩، ٥٥. وقد سلفت الأبيات غير الثاني ص ٦٨٢.

(٤) بهامش أ ما نصّه: «المهلبيُّ: رحبُ الذراع: واسعُ الصدر بالأمور. ومُضْطَلِعٌ: مُحْتَمِلٌ».

(٥) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: الحشا: البُهْر».

(٦) بهامش أ ما نصه: «ويروَى: ما انفكَّ يحلب درّ الدهر».

(٧) بهامش أ ما نصُّه: «المهلبيُّ: هذا مَثَلٌ لإحكامه. والقَحْم: الكبيرُ: والضَّرَعُ: الصغيرُ الضعيفُ».

(٨) زاد في ف: لأصحابه.

حتى امتلأ سروراً.

قوله «نَفِّل» أي[1] اقْسِمْ بينهم، والنَّفَلُ: العطيةُ التي تَفْضُلُ[2]، كذا كان الأصلُ، وإنما تفضَّلَ الله عز وجل بالغنائِم على عبادِه، قال لَبيدٌ[3]: [٦٩٦]

إنَّ تَقْوَى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ ... ... [4]

وقال جل جلاله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ﴾[5] ويقال: نَفَّلْتُكَ كذا وكذا أي: أعطيتُك[6]، ثم صار النَّفَلُ لازماً واجباً[7]

وقول الإياديّ «رَحْبَ الذراع» فالرَّحْبُ: الواسعُ، وإنما هذا مَثَلٌ، يريد: واسعَ الصدرِ، متباعِدَ ما بين الذراعين[8]، وليس المعنى على تَباعُدِ الخَلْقِ، ولكنْ على سهولة الأمر عليه، قال الشاعرُ:

رَحيبُ الـذراعِ بـالتي لا تَشِينُـهُ وإن قيلَتِ العَوْراءُ ضاقَ بهـا ذَرْعَا

وكذلك قوله جل وعز: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[9]. وقوله «مضطَلِعاً» إنما هو «مُفْتَعِلٌ» من الضَّلِيع، وهو الشديد، يريدُ أنه قويٌّ على أمر الحرب، مستقلٌّ بها.

---

(١) من أ وف وظ.

(٢) في ف: هي تفضل.

(٣) ديوانه ص ١٣٩.

(٤) عجزه: وبإذن الله ربي وعَجَلْ

وقد ورد البيت بتمامه في ف وس وب.

(٥) سورة الأنفال: ١.

(٦) زاد في الأصل وب وس ود وف وظ: كذا. وزاد في هـ: كذا وكذا.

(٧) في الأصل وهـ: واجباً لازماً.

(٨) في أ: ما بين المنكبين والذراعين.

(٩) سورة الأنعام: ١٢٥. وقوله «حرجاً» قرىء بفتح الراء وكسرها. وقد سلف التعليق عليها ص ٣٨٣.

وقوله: يكون متّبِعاً طوراً ومتّبَعاً

أي قد اتّبَعَ الناسَ فعَلِمَ ما يَصْلُحُ به أمرُ الناس، واتُّبِعَ فعَلِمَ ما يُصْلِحُ [١/٢٧٤] الرئيس، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قد أُلِّنَا وَإِيلَ علينا، أي قد أَصْلَحْنا أُمورَ الناس، وأُصْلِحَتْ أُمورُنا(١).

وقوله: «عَلَى شَزْرٍ(٢)» فهذا مَثَلٌ، يقال شَزَرْتُ الحبلَ: إذا كَرَرْتَ فَتْلَه بعدَ ٱستحكامِه راجعاً عليه، والمَريرةُ: الحبلُ. و«الضَّرَعُ»: الصَّغِيرُ الضعيف(٣). و«القَحْمُ»: آخرُ سِنِّ الشيخ، قال العَجّاجُ(٤):

رأينَ قَحْماً شَابَ وٱقْلَحَمَّا طالَ عليه الدهرُ فاسْلَهَمَّا

وَالْمُقْلَحِمُّ مثلُ القَحْمِ، وهو الجافُّ، ويقال للصبيِّ مُقْحَمٌ(٥): إذا كان سَيِّءَ الغِذاءِ، أو ٱبنَ هَرِمَيْنِ، وكذلك(٦) يقال: رجلٌ إنْقَحْلٌ وٱمرأةٌ إنْقَحْلَةٌ: إذا أَسَنَّ حتى يَبِسَ(٧)، والمُسْلَهِمُّ الضامرُ، قال(٨):

لمَّا رَأَتْنِي خَلَقاً إنْقَحْلا

ويقال في معنى قَحْمٍ: قَحْرٌ، ويقال بعيرٌ قُحَارِيَةٌ، في هذا المعنى.

وقوله: لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلاّ رَيْثَ يَبْعَثُهُ(٩)

---

(١) سلف قول عمر وتفسيره ص ١٠٩٢.

(٢) في ا: على شزر مريرته.

(٣) من أ وس.

(٤) سلف البيتان وتفسيرهما ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٥) في أ وف وظ: مقلحم، وهو خطأ. وانظر اللسان (قحم).

(٦) ليس في أ وب وس.

(٧) في ر وف: ييبس.

(٨) البيت بلا نسبة في خلق الإنسان للأصمعي (الكنز اللغوي ١٦٢)، واللسان (قحل).

(٩) زاد في أ: همُّ.

فَرَيْتُ وَعَوْض[1] مما يضافُ إلى الأفعال، وتأويلُه أنَّه[2] لا يَطْعَمُ النومَ إلاّ يسيراً حتى يَبْعَثَه الهمُّ، فمعناه مقدارُ ذلك. ومما يضافُ إلى الأفعال أسماءُ الزمانِ، [٦٩٧] كقوله عز ذكره: ﴿ هذا يومُ يَنْفَعُ الصادِقينَ صِدْقُهُمْ ﴾[3] فأسماء الزمان كلُّها تضافُ إلى الفعل[4]، نحو قولك[5]: آتيكَ يومَ يخرجُ زيدٌ، وجئتُك يومَ قامَ عبدُ الله. وما[6] كان منها في معنى الماضي جاز أن يضافَ إلى الابتداء والخبر، فتقولُ: جِئْتُكَ يومَ زيدٌ أميرٌ، ولا يجوز ذلك في المستقبل، وذلك لأنَّ الماضي في معنى إذْ، وأنت تقول: جئتك إذْ زيدٌ أميرٌ، والمستقبلُ في معنى إذا[7]، فلا يجوز أن تقول: أجيئُك إذا زيدٌ أمير، فلذلك[8] لا يجوزُ أجيئك يومَ زيدٌ أميرٌ. فأما الأفعال في إذا وإذْ فهي بمنزلةٍ[9] واحدةٍ، تقول: جئتك إذْ قام زيد، وأجيئك إذا قام زيد، فهذا واضحٌ بَيِّنٌ.

ومما يضافُ إلى الفعل «ذُو» في قولك افْعَلْ ذاكَ[10] بِذِي تَسْلَمُ، وافْعَلا ذاكَ[11] بِذِي تَسْلَمَانِ، معناه: بالذي[12] يُسْلِمُكُمَا، ومن ذلك «آيةٌ» في قوله[13]:

---

(١) قوله «وعَوْض» كذا وقع! ولا أعرف أحداً قال بإضافته إلى الفعل. فإن لم يكن هذا خطأ من الرواة فهو سهو من المبرد، ولعله أراد «مُنْذُ»، وهو مما يضاف إلى الفعل. انظر الكتاب ١/٤٦٠.

(٢) ليس في الأصل وب وس ود.

(٣) سورة المائدة: ١١٩.

(٤) في الأصل: الأفعال.

(٥) من أ وب وس.

(٦) في الأصل وف وظ وي وهـ: فما.

(٧) قوله «وأنت تقول... أمير» ليس في الأصل. وقوله «وأنت تقول... في معنى إذا» ليس في هـ وي.

(٨) في ب: فكذلك. وفي ف: كذلك.

(٩) كذا في أ وحدها، وهو الصواب. وفي سائر النسخ: «فأما الأفعال ففي إذا وإذ بمنزلة»؟ ولعلُّ الصواب على ما فيها: فأما الأفعال فهي في إذا وإذ بمنزلة إلخ.

(١٠) في س ود وهـ: ذلك.

(١١) في أ وب: وافعلاه.

(١٢) في أ وهـ: أي بالذي.

(١٣) البيت في الكتاب ١/٤٦٠ (بولاق) و٣/١١٨ (هارون)، وشرح أبيات مغني اللبيب ٦/٢٢٧، والخزانة -

بـآيَـةٍ تُقْـدِمُـونَ الخَيْـلَ شُعْثـاً كـأنَّ على سَنَـابِكِهـا مُـدَامَـا

والنحو[1] يَتَّصِلُ وَيَكْثُرُ، وإنَّما تَرَكْنا الاسْتِقْصَاءَ لأنَّه موضعُ اختصارٍ[2].

فقال المُهَلَّبُ: إنّا والله ما كنَّا أشدَّ على عَدَوِّنا[3] ولا أحَدَّ[4] ولكنْ دَمَغَ الحقُّ الباطلَ، وَقَهَرَتِ الجماعةُ الفِئَةَ،[5] والعاقبةُ للتقوى،[6] وكان مَا كَرِهناهُ من المطاولة خيراً لنا[7] مما أَحْبَبْناهُ من العَجَلة. فقال له الحجاجُ: صدقتَ، اذْكُرْ ليَ القومَ الذين أَبْلَوْا[8] وصِفْ لي[9] بَلاءَهُمْ. فأَمَرَ الناسَ فكتبوا ذلك للحجاج، وقال[10] لهم المهلَّبُ: ما ذَخَرَ الله لكم - إن شاء الله[11] - خيرٌ لكم من عاجلِ
[٦٩٨] الدنيا. ثم ذَكَرهم للحجاج على مَرَاتِبهم في البلاءِ وتَفاضُلِهِمْ في الغَنَاءِ، وقَدَّمَ بَنيهِ المُغيرَةَ ويزيدَ ومُدْرِكاً وحَبِيباً وقَبِيصَةَ والمُفَضَّلَ وعبدَ الملك ومحمداً، وقال: إنَّه والله

= ١٣٥/٣. وهو بلا نسبة في مطبوعة بولاق، ووقع منسوباً إلى الأعشى في نسختين من النسخ التي اعتمد عليها الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقه للكتاب، وكذا وقع فيما نقله البغدادي من كلام سيبويه، وكذا وقع أيضاً في ثلاث نسخ من مخطوطات الكتاب التي وقف عليها الدكتور خالد عبد الكريم جمعة (انظر شواهد الشعر في كتاب سيبويه ١٣٩ - ١٤٠).

وقال البغدادي: والبيت الشاهد لم أره منسوباً إلى الأعشى إلا في كتاب سيبويه وفي غيره غير منسوب إلى أحد، والله أعلم.

(١) في ب وف وظ وي: قال أبو العباس والنحو إلخ.

(٢) في س: وإنما تركنا الاستقصاء ولو شئنا لأملينا لأنه موضع اختصار وقد أتينا على جميع هذا في الكتاب المقتضب. وفي د: الاستقصاء وله شُعَب ومفتّقات ولو شئنا لأملينا نهاية الاستقصاء ولكنا اختصرنا لأنه موضع اختصار.

وانظر المقتضب ١٧٦/٣ و ٣٤٧/٤ - ٣٤٨.

(٣) في الأصل: أعدائنا.

(٤) في الأصل وس ود وي: أجدّ.

(٥) في أ وهـ: الفتنة؟ ولعله تحريف.

(٦) في ف وهـ: للمتقين.

(٧) ليس في أ.

(٨) زاد في ف وس: معك.

(٩) ليس في الأصل.

(١٠) في أ: فقال.

(١١) «إن شاء الله» موضعها في أ بعد قوله «عاجل الدنيا».

لو تَقَدَّمَهُمْ أحدٌ في البلاءِ [٢/٢٧٤] لَقَدَّمْتُهُ عليهم، ولولا أَنْ أَظْلِمَهم لأَخَّرْتُهم فقال[١] الحجاج[٢]: صدقتَ، وما أنتَ بأعلمَ بهم مِنِّي وإنْ حَضَرْتَ وغِبْتُ، إنَّهم لَسُيوفٌ من سُيوفِ الله. ثم ذَكَرَ مَعْنَ بنَ المُغيرة بنِ أبي صُفْرَةَ والرُّقَادَ وأشباهَهُما، فقال الحجاجُ: أينَ الرُّقَادُ؟ فدخَلَ رجلٌ أَجْنَأُ[٣]، فقال المهلَّبُ: هذا فارسُ العربِ، قال[٤] الرُّقَادُ: أيها الأمير، إني كنتُ أُقاتل مع غير المهلَّب فكنتُ كبعض الناسِ، فلما صِرْتُ مع مَنْ يُلْزِمُني الصَّبرَ ويجعلُني إسْوَةَ نفسِه وولدِه ويجازيني على البَلاءِ، صرتُ أنا وأصحابي فُرْساناً؛ فأمر الحجاجُ بتفضيلِ قومٍ على قومٍ على قَدْرِ بلائِهم، وزادَ وَلَدَ[٥] المهلَّبِ ألفينِ ألفين[٦]، وفعل بالرُّقَادِ وجماعةٍ شبيهاً بذلكَ.

قال يزيدُ بنُ حَبْنَاءَ[٧] منَ الأَزَارِقَةِ:

دَعِي اللَّوْمَ إنَّ العَيْشَ ليس بدائِمِ ... ولا تَعْجَلي باللَّومِ يا أُمَّ عاصِمِ!
فإنْ[٨] عَجِلَتْ مِنْكِ المَلامَةُ فاسْمَعِي ... مقالةَ مَعْنِيٍّ بحقِّكِ عالِمِ
ولا تَعْذُلِينَا في الهَدِيَّةِ إنَّما ... تكونُ الهدايا مِنْ فُضولِ المغانِمِ
فليس بمُهْدٍ مَنْ يكون نَهَارُهُ ... جِلَاداً ويُمْسِي ليلُهُ غيرَ نائِمِ
يريدُ ثوابَ الله يوماً بطَعْنةٍ ... غَمُوسٍ كَشِدْقِ العَنْبَرِيِّ بنِ سالِمِ
أَبِيتُ وسِرْبالِي دِلَاصٌ حَصينةٌ ... ومِغْفَرُها والسيفُ فوقَ الحَيازِمِ[٩]
حَلَفْتُ بِرَبِّ الواقفينَ عَشِيَّةً ... لَدَى عرفاتٍ حَلْفَةً غيرَ آثِمِ

---

(١) في أ وس وهـ: قال.
(٢) ليس في الأصل وف وظ وي وهـ.
(٣) الأجنأ: الذي في كاهله انحناء على صدره وليس بالأحدب.
(٤) في أ: فقال.
(٥) في د وف وي وظ: بني.
(٦) ليس في أ.
(٧) انظر شعر الخوارج ٨٦ - ٨٧.
(٨) كذا في ف وظ، وهو الصواب. وفي سائر النسخ: «فإذا» وهو تحريف.
(٩) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: الدِّلِصُ من كل شيء: البَرَّاقُ الأملسُ، ومنه سُمِّيتِ الدروعُ دِلاصاً».

لقد كان في القوم الذين لَقِيتُهمْ بِسَابُورَ شُغْلٌ عَنْ بُزُوزِ الْلَطَائِمِ
[٦٩٩] تَوَقَّدُ في أيديهمُ زاعِبيَّةٌ ومُرْهَفَةٌ تَفْرِي شُؤُونَ الجَمَاجِمِ

قوله «مَنْ يكونُ نهارُه جلاداً ويُمْسِي ليلُه غيرَ نائِمِ» يريد: يمسي هو في ليله ويكونُ هو[1] في نهاره، ولكنه جعلَ الفعلَ لِلَّيل والنهارِ على السَّعة، وفي القرآن ﴿ بل مَكْرُ الَّليْلِ والنَّهارِ ﴾[2] والمعنى: بل مكرُكم[3] في الليل والنهار، وقال رجلٌ من أهل[4] البَحْرَيْنِ من اللُّصوصِ:

أمَّا النهارُ ففي قَيْدٍ وسِلْسِلَةٍ والليلُ في جوفِ مَنْحوتٍ مِنَ السَّاجِ

وقال جَرِيرٌ[5]:

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلَانَ في السُّرى ونِمْتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائِمِ

ولو قال: «مَنْ يكونُ نَهارَه جلاداً ويُمْسِي ليلَهُ غيرَ نائم» لكان جيداً، وذلك[6] أنه أرادَ: من يكون نهارَه يُجَالِدُ جِلاداً، كما تقول: إنما أنت سَيْراً، وإنما أنتَ [١/٢٧٥] ضَرْباً، تريد: تَسِيرُ سَيْراً، وتضرب ضرباً، فأُضْمِرَ لعلم المخاطَب أنَّه لا يكونُ هو[7] سيراً، ولو رَفَعَه على أن يَجْعَلَ الجِلَادَ في موضع المُجَالِدِ، على قوله: أنت سيْرٌ، أي سائِرٌ[8]، كما قالت الخنساءُ[9]:

. . . . . فإنَّما هِيَ إقْبالٌ وإدْبَارُ

وفي القرآن ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ أَصْبَحَ ماؤُكم غَوْراً ﴾[10] أي غائراً، وقد مضى

---

(١) من أ وب وس ود.
(٢) سورة سبأ: ٣٣.
(٣) في الأصل: مكرهم.
(٤) ليس في هـ وي. وفي ف: رجل من اللصوص من أهل البحرين.
(٥) سلف البيت ص ١٧٦، ٢٨٥. وفي أ: وقال آخر.
(٦) في أ وهـ ود: وذاك.
(٧) من أ وحدها.
(٨) في أ: أي أنت سائر.
(٩) سلف البيت ص ٣٧٤، وسيأتي في كلمة ص ١٤١٢.
(١٠) سورة الملك: ٣٠.

تفسير هذا بأكثرَ من هذا الشرح[1]. ولو قال «ويُمْسِي ليلُهُ غيرُ نائمٍ» لجازَ[2] يُضْمِرُ[3] اسمه في «يُمْسِي» ويجعل «ليلُه» ابتداءً، و«غيرُ نائِمٍ» خبرُهُ على السَّعَةِ التي ذكرت[4] لك[5].

وقوله «غَمُوسٍ» يريدُ واسعةً مُحيطةً. و«العَنْبَرِيُّ بن سالم» رجلٌ منهم، كان يقال له الأشدَقُ. و«اللَّطَائِمُ» واحدتُها «لَطِيمةٌ» وهي الإبلُ التي تَحْمِلُ البَزَّ والعِطْرَ. وقوله: «تَوَقَّدُ في أَيْدِيهِمُ زَاعِبِيَّةٌ» يعني رماحاً[6]، والتَّوَقُّدُ للأسِنَّةِ[7]، والزاعِبِيَّةِ منسوبةٌ إلى زاعِبٍ، وهو رجلٌ من الخَزْرَجِ كان يعملُ الرماح[8]، و«تَفْرِي»: تَقُدُّ، يقال: فَرَىٰ: إذا قَطَعَ، وأَفْرَىٰ: إذا أَصْلَحَ[9].

وقال حَبِيبُ بنُ عَوْفٍ من قُوَّادِ المهلَّبِ: [٧٠٠]

أَبَا سَعِيدٍ جَزَاكَ اللهُ صالحةً ... فقد كَفَيْتَ ولم تَعْنُفْ على أَحَدِ!

دَاوَيْتَ بالحِلْمِ أهلَ الجهلِ فانْقَمَعُوا ... وكنتَ كالوالدِ الحاني على الولَدِ[10]

وقالَ عَبِيدةُ بنُ هلالٍ في هَزَبِهم مع قَطَرِيٍّ:

---

(١) انظر ما سلف ص ١٥٦، ١٢٥١.

(٢) في الأصل وف وظ ود وي: جاز.

(٣) كذا في الأصل وف وظ وس. وفي سائر النسخ «يُصير». وفي الأصل: أن يضمر.

(٤) في أ ود وي وهـ: ذكرنا.

(٥) من ب وس وف.

(٦) في أ: الرماح.

(٧) «والتوقد للأسنة» ليس في أ.

(٨) قال المبرد فيما سلف ص ٩٧: «هذا قول قوم. وأما الأصمعي فكان يقول الزاعبي هو الذي إذا هزَّ فكأن كعوبه يجري بعضها في بعض للينه وتثنيه...».

(٩) منهم من ذهب إلى أنَّ فرى إذا قطع للإصلاح وأفرى إذا قطع للإفساد. انظر اللسان (فرى) والتنبيهات ١٦٤.

(١٠) بهامش الأصل ما نصُّه: «بعدهما:

لا تسمعن مقال الجاهلين وقم ... فيها وليت وقوّمهم على السُّدَدِ

والقَ العدوّ إذا لاقيتَهم حذراً ... أذكِ العيون ولا تغفل عن الرُّصَدِ».

مـا زالتِ الأَقـدارُ حتَّى قَـذَفْنَني بقُـومِسَ بين الفُرَّجَـانِ[1] وصُولِ

ويُرْوىٰ أَنَّ قَاضِيَ قَطَرِيٍّ، وهو رجلٌ من عبد القيسِ[2] سمع قول عَبِيدةَ بنِ هلالٍ[3]:

عَـلا فوقَ عَـرْشٍ فَوْقَ سَبْـعٍ ودُونَـهُ سَماءٌ تَرَى الأَرْوَاحَ مِنْ دُونِهـا تَجْرِي

فقال له العبديُّ: كَفَرْتَ إلَّا أن تَأْتِيَ بمَخْرَجٍ، قال: نعم، رُوحُ المؤمنِ تَعْرُجُ إلى السماء، قال: صدقتَ. وقال يذكرُ رجلاً منهم:

يَهْـوِي وتَـرْفَعُـهُ الـرِّمـاحُ كـأَنَّـه شِلْوٌ تَنَشَّبَ في مَخـالِبِ ضَـارِ[4]

فَتَـوىٰ صَـرِيعـاً والـرِّمـاحُ تَنُـوشُـهُ إنَّ الـشُّـرَاةَ قَـصِـيـرَةُ الأَعْـمَـارِ

«تَنُوشُهُ»: تأخذُه وتتناولُه، قال الله عز وجل: ﴿ وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[5] أي التناولُ. ومثلُ بَيْتِهِ هذا قولُ حَبِيبٍ الطائيِّ[6]:

فِيمَ الشَّمَـاتَةُ إعْـلانـاً بـأُسْـدِ وَغىً أَفْنَـاهُمُ الصَّبْـرُ إذْ أَبْقَـاكُمُ الجَـزَعُ

وقال[7] أيضاً في شبيهٍ بهذا المعنى:

إنْ يَنْتَخِلْ[8] حَدَثَانُ الموتِ[9] أنفسَكُمْ ويَسْلَمِ الناسُ بيْنَ الحوْضِ والعَطَنِ

---

(١) كذا في هـ وحدها. وفي الأصل وأ: «الفُرْخان». وفي سائر النسخ: «العُرَّجان». ؟ وذكره البكري في معجم ما استعجم ١٠١٨، ١١٠٣ نقلاً عن الكامل بروايتين: «الفَرْجان» بفتح الفاء، و«الفُرَّجان» بقاف مضمومة، وأنشد بيت عبيدة، وهو في شعر الخوارج ٩٩. وصُول مدينة في بلاد الخزر، وقُومِس كورة كبيرة في ذيل جبال طبرستان، انظر معجم البلدان ٣/٤٣٥ و٤/٤١٤.

(٢) في أ وس: من بني عبد القيس.

(٣) البيت من أبيات تنسب له ولسبرة بن الجعد، انظر شعر الخوارج ٩٥، ١٢٤.

(٤) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: الشِّلْوُ: شِلْوُ الإنسان وغيره وهو جَسَدُه بعد بِلاه، والجمع أشلاءُ». والبيتان في شعر الخوارج ٩٩.

(٥) سورة سبأ: ٥٢. وفي الأصل: قال عزَّ وجلّ ﴿ وأنّ لهم التناوش ﴾ أي التناول من مكان بعيد. وقوله «أي التناول» ليس في ف وهـ.

(٦) هو أبو تمام. ديوانه ق ١٩٥/١٤ جـ ٤/٩١.

(٧) ديوانه ق ٢٠٦/٣، ٤ جـ ٤/١٣٩ - ١٤٠.

(٨) كذا في الأصل وظ، وهو الصواب. وينتخل: يختار ويصطفي. وفي سائر النسخ «ينتحل» وهو تصحيف.

(٩) في ب وس وهـ: الدهر، وهي رواية الديوان.

فالماءُ ليس عَجيباً أنَّ أعْذَبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأسِنِ

وقال[1] أيضاً:

عليكَ سَلامُ الله وَقْفاً فإنَّني رَأَيْتُ الكَرِيمَ الحُرَّ ليسَ له عُمْرُ [٧٠١]

وقال القاسمُ [٢/٢٧٥] بنُ عيسى:

أُحِبُّكِ يا جَنَانُ فأنْتِ مِنِّي مكانَ الرُّوح من بَدَنِ الجَبانِ[2]

ولَوْ أنِّي أقولُ[3]: مكانَ رُوحِي لِخِفْتُ عليكِ بادِرَةَ الزمانِ[4]

لإقدامي إذَا ما الخَيْلُ جالَتْ[5] وهابَ كُماتُها[6] حَرَّ الطِّعَانِ

وقال معاويةُ بن أبي سُفيان في خلافِ هذا المعنى:

أكانَ الجَبانُ يُرَىٰ أنَّهُ يُدافِعُ عَنْهُ الفِرارُ الأجَلْ؟

فقد تُدْرِكُ الحادِثاتُ الجبانَ ويَسْلَمُ منها الشُّجَاعُ البَطَلْ

رجع الحديثُ. وقال رجلٌ من عبد القيس، من أصحاب المهلَّبِ:

سائِلْ بِنا عَمْرُو القَنا وجُنُودَهُ وأبَا نَعَامَةَ سَيِّدَ الكُفَّارِ

أبو نَعَامَة: قطريٌّ. وقال المغيرة بنُ حَبْنَاء[7] الحَنْظَلِيُّ من أصحاب المهلَّبِ:

إنِّي امْرُؤٌ كَفَّنِي رَبِّي وأكْرَمَنِي عَنِ الأمورِ التي في رَعْيِهَا وَخَمُ

وإنَّما أنا إنسانٌ أعِيشُ كما عاشَتْ رجالٌ وعاشَتْ قبلَها أُمَمُ

---

(١) ديوانه ق ١٩٢/٣٠ جـ ٤/٨٥.

(٢) الأبيات في الأغاني ٨/٢٤٨، ومعجم الشعراء ٢١٦. وفي الأصل: من جسد الجبان.

(٣) في الأصل: ولولا أن أقول. وبهامشه كما في المتن وعليه «ع» يعني رواية أبي علي.

(٤) بهامش أ ما نصُّه: «ابنُ شاذان: بادرةُ الرجل: ما بَدَرَ منه من قول او فِعْلٍ فعجل به».

(٥) في أ: إذا ما الحرب جاشت.

(٦) كذا في الأصل وحده، وهو الوجه. وفي سائر النسخ «حماتُها» ولعله تحريف.

(٧) شعره ـ شعراء أمويون ٣/٩٩ ـ ١٠٠. وانظر الأغاني ١٣/٨٧.

ما عاقني عن قُفُولِ الجُنْدِ إذْ قَفَلُوا ... غَنِّي بما صَنَعُوا عَجْزٌ ولا بَكَمُ
ولو أرَدْتُ قُفُولاً ما تَجَهَّمَني ... إذْنُ الأميرِ ولا الكُتَّابُ إذْ رَقَمُوا
إنَّ المُهَلَّبَ إنْ اشتَقْ لِرُؤْيَتِهِ ... أوْ امتَدِحْهُ فإنَّ الناسَ قد عَلِمُوا
أنَّ الأرِيبَ الذي تُرْجَى نَوافِلُهُ ... والمُسْتعانَ الذي تُجْلَى به الظُّلَمُ
القائلُ الفاعلُ الميمونُ طائرُهُ ... أبو سعيدٍ إذا ما عُدِّتِ النِّعَمُ[1]
[٧٠٢] أزْمَانَ أزْمَانَ إذْ عَضَّ الحديدُ بهم ... وإذْ تَمَنَّى رجالٌ أنَّهُمْ هُزِمُوا

قال أبو العباس: وهذا الكتابُ لم نَبْتَدِئْهُ لِنَتَّصِلَ فيه أخبارُ الخوارج ولكن رُبَّما اتصلَ شيء بشيءٍ، والحديثُ ذو شُجونٍ، ويَقْتَرِحُ المُقْتَرِحُ ما يَفْسَخُ[2] به عزمَ صاحبِ الكتابِ، ويصدُّه عن سَنَنِه، ويزيلُه عن طريقه، ونحن راجعونَ إن شاء الله إلى ما ابتدأنا له هذا الكتابَ، فإنْ مَرَّ من أخبارِ الخوارج شيءٌ مَرَّ كما يَمُرُّ غيرُه، ولو نَسَقْناه على ما جَرَىٰ من ذكرهم لكان الذي يَلِي هذا خَبَرُ نَجْدَةَ وأبِي فُدَيْكٍ وعُمارةَ الرجلِ الطَّويلِ وشَبِيبٍ، ولكان يكونُ الكتابُ للخوارجِ مُخْلَصاً.

---

(١) هذا البيت على هذه الرواية ملفق من بيتين، وهما:

إنَّ الكريم من الأقوام قد علموا ... أبو سعيد إذا ما عدّت النعم
والقائل الفاعل الميمون طائرة ... أبو سعيد وإن أعداؤه رغموا

(٢) في أ وهـ: يفسح. وفي ف وظ وي وهامش الأصل: ينفسح. وفي ب: ينسخ.